كتاب بكتاب ورأى برأى

الآيات البينات

لما في أساطير القمي من الضلال والخرافات

بقلم الدكتور

عمر عبد الله كامل

قرأه وقدم له

الدكتور يحيى إسماعيل

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

وأمين عام جبهة علماء الأزهر الشريف

مكتبة التراث الإسلامي

http://kotob.has.it

حقـوق الطبـع محفوظـة للناشـر
١٤١٨/ ١٩٩٧

الطبعة الأولى
رجب ١٤١٧ هـ
نوفمبر ١٩٩٧ م

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

صدق الله العظيم . [الأنبياء : ١٨] .

وقال رسوله ﷺ :

« سَيَكُونُ فِى آخِرِ أُمَّتِى أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ . فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يفْتِنُونَكُمْ » .

[رواه مسلم عن أبى هريرة] .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

بين يدى الكتاب :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ...

ما أقبح وجه الإلحاد وما أشأمه على أهله وعلى الساكتين عليه ، إنه فى حقيقة أمره جماع الأخلاق السافلة والطباع اللئيمة ، الأمر الذى يجعل من صاحبه قرينا لأخس الحيوانات قيمة وقدراً فى هذا الوجود ، وفيه يقول الحق جل جلاله : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الأعراف] .

فماذا يبقى للإنسان من معالم الإنسانية الراقية إن هو رضى لنفسه هذا الوصف الذى هو لصيق بالملحدين العلمانيين الذين سوّل لهم لؤم طبعهم أن باستطاعتهم أن يناطحوا الأقدار وهتفوا بذلك وتغنوا بها ، وأن يطاولوا العليم القهار ، وصدق الله العظيم ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٥] أى حرباً على دين الله وعلى عباد الله لما امتلأ به صدره من غرور أخذ عليه عقله ونفسه ، وأحاط بناظريه ، فلا يرى فى الوجود إلا نفسه ولا يسجد لغير نزواته وشهواته ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ﴾ [غافر : ٥٦] .

http://kotob.has.it

إن إلحاد الملحدين وتطاول العلمانيين لا يقوم على شيء من علم ولا ينتسب إلى حقيقة محترمة فى هذا الوجود ، بل إن أساس نشاطهم هو الريبة التى سلطها الله عليهم لحقارتهم وهوانهم عليه سبحانه ، فشعارهم دائما ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم : ٩] . فدوافعهم دائما هى الريبة التى تتمزق بها نياط القلوب وتزيغ عندها الأبصار ، ويضيع لديها الثبات وبرد اليقين ، فتعرفها عندهم فى لحن القول الذى لا يخفى على ذوى الألباب ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ ﴾ [محمد : ٣٠] .

وسوء الأخلاق « إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان »(١) ولؤم الطباع ﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٤] .

إن الإنسان الناكر لأصله القريب وهما الأبوان مطرود من رحمة الله كما جاء فى الحديث الشريف : « من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »(٢) .

ذلك أنه بهذا النكران قد تجهز للاعتداء على الحدود وهضم الحقوق ، ولذا فقد قرنه رسول الله ﷺ بالمعتدى على معالم الأرض حيث يقول ﷺ : « لعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من غير منارات الأرض » (٣) .

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخارى [٣٣] ، ومسلم [٥٩] .

(٢) حديث صحيح أخرجه ابن ماجة [٢٦٠٩] .

(٣) أخرجه مسلم [١٩٧٨/٤٤] وأوله : لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثا ... » الحديث .

http://kotob.has.it

فكيف بمن يتنكر لخالق الوجود وواهب الحياة للأصول والفروع ، فيصف الوثنية التى هى أظهر مظاهر الجحود بأنها أهم مأثرة دينية ، ويقول فى الوقوف بعرفه إنه من أهم مناسك الحج الجاهلى ، ويعارض اللّٰه رب العالمين فى كلامه فيقول : نحن أغرب أُمة أخرجت للناس بدلا من قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . بل بلغ به مكره أن يقول فى اللّٰه الخالق الذى ليس كمثله شىء أنه كان من اللواحم ! تعالى اللّٰه من ذلك علوا كبيرا ؛ فأى جرم نقترفه إذا سكتنا عن مثله وأغفلنا جرمه .

وهو الملعون بلعن اللّٰه تعالى : ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ [الأحزاب : ٦١] . ملعونون بحكم اللّٰه ووصف اللّٰه ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب] .

والملعون مطرود من ساحة الرحمة ، ينبغى أن يعامل معاملة الأجرب الحقير ، فكيف بهذا الملعون إذا جمع إلى حقارته ووضاعته التجرىء على اللّٰه علانية والهزء بدينه صراحة ؟!! ذاك الدين الذى هو قمة القيم ، وأساس العقود ومعقد صلاح الأمور .

لقد حمدت للكاتب الدكتور عمر عبد اللّٰه كامل مسارعته لمنازلة الجاحدين والناكثين ، وحمدت له أيضا جمعه لهم فى قرن واحد لتكون الفضيحة واحدة والصرخة جامعة ، وإنى أرى فى المسارعة لمنازلة المبطلين ترويعاً لهم وتشريدا لمن خلفهم ، حين يرون أن الدفاع عن حياض ديننا ليس محبوساً على فئة ولا رهيناً بمعهد أو مدرسة ، ذلك أن الذى أنزله قد تكفل بحفظه ،

http://kotob.has.it

ومن حفظه تعالى له استعمال الصالحين فى طاعته حتى يتم أمر اللّٰه ويظهر فى الميدان عدله ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] .

وحتى يتم أمر الحجة على العالمين بوجود الصابرين المجاهدين المحتسبين وهم من عامة البشر لهم ما لهم من نفوس ، ولديهم ما ليس لدى الخصوم من ثبات على أمر اللّٰه ويقين واحتساب ، وهى عدة المواجهة فى كل زمان ولدى كل نازلة ، ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ، ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥] ، ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

بيد أنى كنت أحب للمؤلف ؛ وقد سارع لمنازلة الناكثين الماكرين أن ينازلهم منازلة المحارب لا منازلة المحايد ، فباطل خصمه مهتوك وسره مفضوح ، وينبغى أن يشعر هؤلاء الآثمون فى منازلتنا لهم بحقارة وهوان أمرهم على الأمة ، ويجب أن يُفْزَّعوا بحرارة إيمان المؤمنين واتقاد يقين المؤمنين ، فإن صاحب الكبرياء فى السموات والأرض وهو الحليم العليم يقول : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : ١٨] ، فسلاح القذف ولغة الدمغ هى الأسلحة الثقيلة التى لا يصلح غيرها لمنازلة المجرمين الجاحدين .

إننا لا نخشى على ديننا كثرة النابحين عليه والممدين لهم من الساقطين ، فديننا بربنا منزل الكتاب ودستور بقائه محفوظ غير أننا نخشى على الأمة

http://kotob.has.it

بعامة ، وعلى هذا الجيل بخاصة مغبة الفرار من المواجهة والضعف عن المنازلة ، فذاك مما يؤذن بالذل المهين والغضب المقيم ، ذلك الغضب الذى لا تصلح معه الحياة ولا تنهض عنده حضارة ولا يستقيم أمامه بنيان ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ... ﴿٢٧﴾ ﴾ [النحل] .

ولقد كان الكاتب وفيا لدينه فيما فعل مؤديا عن الأمة واجبا فيما قدم ، فشكر اللّٰه له سرعة استجابته وظاهر غيرته ، وغفر لى وله ضعف السلاح وقلة العمل ، ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١١٢] .

المقطم فى ٤ من رجب الفرد ١٤١٨ هـ

وكتبه

دكتور يحيى إسماعيل

استاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

وأمين عام جبهة علماء الأزهر الشريف

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مقدمة المؤلف :

امتاز علم التوثيق الإسلامي بميزة انفرد بها عن بقية علوم التوثيق في العالم ، فالمتخصصون في علوم الحديث يهتمون بالأسانيد والرجال فيميزون بين الذي يستحيل عنده الكذب كالقرآن والأحاديث النبوية الصحيحة وبين الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

ومراتب المعرفة معلومة ، ففي القاع الوهم ، ويندرج تحته الأساطير والأحاديث المكذوبة والتلفيق ثم الشك ، وهو غلبة ضئيلة لا تفيد العلم القطعي .

ولقد ظن مثقفو العصر ممن انبهروا بمنهج النقد التاريخي الغربي أن نقد المتون لم يكن موجودا !! مع أن نقد المتون بدأ منذ عهد الصحابة ، وقد مارسته السيدة عائشة رضى الله عنها وغيرها ، ولقد كان ميدان المتون لدى المحدثين كميدان الأسانيد سواء بسواء ، بيد أن ما يطلب له الدليل يختلف باختلاف قيمته ، فحيث تكون الغاية إثبات حكم وإنباء عن الله كان تشدد الأئمة المحدثين بما لا يعرف له التاريخ مثيلًا ، وحيث كان الغرض من الرواية ما دون الأحكام كان النهج فى النقد فيه دون سابقه ، وكان الأولى انصباب الجهد والتركيز على الروايات الصحيحة ، حتى لا يقف المؤرخ أمام مشكل ما هو بمشكل إذا علم أنه ضعيف أو أنه لا أصل له ، ومما يزيد في الالتباس أن يذهب المؤرخ المعاصر بعد ذلك إلى التلفيق فيأخذ الخبر من مصدر ، ويضيف عليه من مصدر آخر ، فيخرج بذلك من مجال التأريخ إلى المجال الروائي القصصي .

http://kotob.has.it

ويزيد الأمر غرابة انطلاق المؤرخ من سوابق أفكار راسخة فى رأسه كأن يكون مادي الثقافة من أتباع ماركس وداروين وفرويد فيخرج من هذا المزيج بما يريد ، وفقا لما افترض في ذهنه فالذي تشبَّع بنظرية التحليل الجنسي « فرويد » لا بد أن يرى في كل دائرة وعصا إشارة إلى الجنس أو إلى الأعضاء التناسلية .

وأما من تشبع بأفكار « ماركس » فالعامل الاقتصادي هو المؤثر الوحيد في التاريخ غافلا عن المؤثرات الأخرى ثقافية ودينية وعاطفية ، فلا بد أن يخرج عند ذلك بتفسير طبقي للتاريخ .

وأما الذي تأثر بـ « داروين » ونظرية النشوء والارتقاء لابد أن يرى التاريخ حلقات متتابعة ، حتى الدين في نظره انطبقت عليه نظرية النشوء والارتقاء ، فيبدأ من التعددية في الآلهة واختصارها تدريجيا إلى أن يصل إلى التوحيد ويتلمس لذلك ما يوافقه من نصوص وآثار متجاهلا ما أثبتته الأديان في أن الأصل هو التوحيد ثم طرأ الشرك والتعددية ، وقد اقتنع بذلك كثير من الفلاسفة المعاصرين .

وكل مذهب من المذاهب المادية في تفسير التاريخ ينكر جانب الإعجاز وخرق النواميس ، مع أن الظواهر المخالفة للنواميس والتي نواجهها حتى اليوم ، توحي بأن هنالك شيئا وراء هذه النواميس ، فتأثير النواميس أو عدم تأثيرها بيد الله سبحانه ؛ وإلا فبماذا تفسر العيب الخلقى فى بعض الأجنة ؟ فمثلًا طفلان في بطن واحد من أب وأم ، أحدهما مكتمل الخلقة ، والآخر ناقص فمن ذا الذي أتم هذا وأنقص ذاك ؟ ومن أجرى الناموس على أحدهما وأوقفه عن الآخر ؟!

http://kotob.has.it

والمؤرخ الإسلامي لا ينكر حركة الأفراد وحركة الجماعات وتأثيرها في التاريخ فليس من الصحيح إنكار دور الأبطال فلم يكونوا دُمىً تتحرك ولكن بروزهم أيضا وتأثيرهم لم يكن فقط مرده شخصياتهم لولا العقيدة التي تسلحوا بها .

وأيضا لا يقف المؤرخ الإسلامي في موقف المبرر نتيجة للغزو الفكري الذي أصابنا فينكر المعجزات فطالما أنها ثابتة يثبتها وبعد ذلك ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] فليست مهمة المؤرخ إنكار التاريخ أو تبريره ، وإنما توثيق التاريخ ثم تفسير المواقف ، وليست مهمته استنباط أيديولوجية أو إسقاط أخرى على حوادث مضت بل إثبات التاريخ الصحيح كما هو ، ولقد استغرق كثير من الكتاب في استنتاجات ترتكز على علم الآثار والحفريات ، وهي تعطي معلومات غير مترابطة لا يمكن أن تغطي الفجوات التاريخية ، بل حتى ترجمة تلك الآثار والنقوش مختلف فيها ويدخلها الاحتمال ، وما يتطرق إليه الاحتمال يسقط به الاستدلال ، أفيترك المسلم كتاب الله الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت : ٤٢] إلى احتمالات وظنون وأوهام ؟!

وأحب أن ألفت النظر إلى أن هناك حملة شرسة ضد الإسلام وأهله - لا تخيفنا - فالإسلام دين الله الحق لا ينال منه البشر مهما عتوا وظلموا ، وعلى علماء المسلمين أن يرصدوا هذه الكتب ويتصدوا لها بالإبانة عما تحويه من مفتريات ضد الإسلام وأهله ، وليكن شعارنا دائماً : كتاب بكتاب ورأى برأى ، وها أنا ذا قد بدأت بنفسى فى وضع هذه اللبنة الأولى لهذه السلسلة المباركة إن شاء الله تعالى ، فإذا كان الإسلام يتسع لحوار غير المسلمين فمن

باب أولى أن يتسع لحوار المسلمين ، وذلك ضمن حدود الضوابط والمعايير للحوار العلمي الهادف من غير تعصب أو تشنج .

وقد وضع القرآن الكريم أُسساً لهذا الحوار جاءت في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] وقوله : ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

أفتكون الحسنى في مجادلة غير المسلمين ولا تكون في حوار مع من انتسب إلى الإسلام من المسلمين ؟

ثم إنه لن يضير الإسلام أن يكتب ضده ، فقد حفظ لنا التاريخ الكثير من كتب الملاحدة الذين أنكروا وجود الله في ظل الدولة الإسلامية ، وآخرون أنكروا النبوة « كابن الراوندي وغيره » فوصلت كتبهم إلينا كما وصلت أشعار تحمل الكفر البواح كذلك ، فهل أضرت الإسلام في شيء ؟ وهل حدَّت من انتشار الإسلام ؟ لقد بقيت هذه الكتب في حيز لا يكاد يذكر ، وظل المسلمون على إسلامهم ، بل ازداد الإسلام بحمد الله تألقاً وشيوعاً .

والمؤمنون يدركون أن الإسلام ليس فيه أسرار ، ولا توجد فيه مناطق نحرص على إخفائها ، فالمصطفى ﷺ قال : « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها »(١) ، فلا خوف على الإسلام - دين الله الخالد - من كتاب أو مؤلف ؛ فكتاب بكتاب ، ورأي برأي ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة فـ ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه [٥] ولفظه : « ... وايم الله لقد تَرَكْتُكُم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » . وصححه الألباني فى الصحيحة [٦٨٨] ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى السنة [٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩] ، والإمام أحمد فى مسنده [١٢٦/٤] .

وفي رحلتنا مع سيد محمود القمني نصطدم بالتفسير المادي للتاريخ بفروعه المختلفة ، وإنها حقا قصة يمكن أن نطلق عليها الخيال القصصي الروائي الذي لا وجود له بقدر ما يحمل من أيديولوجيات أسقطها على التاريخ .

ولقد آثرت أن أضع ثلاثة مداخل بعد التمهيد ، ليطلع القارئ عليها قبل الشروع في قراءة الكتاب لأنه سيجد ترديد صداها خلال تحليلات سيد القمني ؛ فهى تشكل مع ما قاله « حنفي » و « أبو زيد » مفاتيح لقراءة فكر « سيد القمني » .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

تمهيد :

لقد ابتدأ الدكتور سيد محمود القمني كتابه : « الأسطورة والتراث » الصفحة السابعة وتحت عنوان « مطالعات حرة في كتابات غير مصادرة » بعبارات اختار أن تكون مقدمة لكتابه ، وكما نعلم أن المقدمة والتمهيد والمدخل تنبئ عما في الكتاب .

فعن أبي العلاء المعري ينقل في الصفحة الثامنة :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقـــل وترزق مجنـــــــونا وترزق أحمقا
فلا ذنب يارب السماء على امرئٌ رأى منك ما لا يشـــتهي فتزندقا

وينقل عن الزهاوي :

لما جهلت من الطبيعة أمـــرها وأقمت نفســك في مقام معلل
أثبت ربا تبتـــغي حـلًّا بــــه للمشكلات فكان أكبر مشكـل

وينقل عن غيره ، وغيره إلى أن يصل إلى ابن الراوندي فينقل عنه أنه قال :

قال تعالى في وصف الجنة : ﴿ وَأَنْهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ [محمد: ١٥] . ولا يكاد يشتهيه إلا الجائع . وذكر العسل ولا يطلب صرفا ، والزنجبيل وليس من لذيذ الأشربة ، والسندس يفترش ولا يلبس وكذلك الإستبرق وهو الغليظ من الديباج . ومن تخايل أنه في الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الأكراد والنبط . ا.هـ .

بعد هذه المقتطفات وغيرها والتي جعلها في مقام الافتتاحية ، فإنني أعود إلى المداخلات في أتيليه القاهرة حول أعمال الكاتب في ٢٠ أكتوبر عام ١٩٩٠م والغرض من ذكر هذه المداخلات ومناقشتها تبيين مدى التشكيك الذي أثاره القمني في تحليلاته ودراساته ، فإذا كانت هذه قراءة الدكتورين لمجمل أعمال « القمني » فما هو حال عامة الناس ؟

http://kotob.has.it

وللدلالة على أن كلام سيد القمني يفتح باباً - للشك - كبيرًا وللتأويل غير المحمود المفضي إلى نتائج قد لا تدور أو لم تَدُرْ في ذهنه . نقرأ مقتطفات من مداخلات د. حسن حنفي و د. نصر حامد أبو زيد في أتيليه القاهرة ، ونبدأ بـ « د. حسن حنفي » .

حيث يقول [redacted] :

« إن الإسلام لم يبدأ هكذا من السماء ، ولكنْ هناك تطور تاريخي طويل من الجاهلية حتى الإسلام ، فالصلة بين مرحلتين هي فرق في الدرجة وليست فرقاً في النوع ، وفي رأيي أن هذا أهم إسهام للأخ سيد في دراساته ، ضد مناهج التربية الدينية ، وضد الدعاية السياسية عندما نصل مرحلتين مختلفتين سواء في الدين أو في السياسة ، مثلا في الحزب الهاشمي بيّن أن الرسول ﷺ ما هو إلا نبي وهاشمي ، وبيّن في تاريخ الجزيرة العربية محاولات توحيد الجزيرة ومحاولات سيطرة مكة على طرق التجارة ، وسيادتها ، وسيادة قبيلة قريش ، وبيّن أن هناك محاولات عديدة قبل الرسول ﷺ ولكن الرسول ربما هو آخر صياغة ناجحة لتأسيس وحدة العرب ، بعد شعراء الصعاليك وقصي ابن كلاب الذي وضع له فصلاً خاصًا ، ومثل كثير من المتبئين ومن الذين خاطبوا السماء ؛ لذلك فإنه في بعض النصوص التي يأتي بها نص لعبد المطلب وهو يخاطب السماء ، يسجعه ويشبه نصوص القرآن الكريم ، ونجد بالفعل أن الخلاف بين ما أتى به الرسول وبين ما كان سابقاً عليه كان خلافا في الدرجة وليس في النوع ، وهذا فتح وكشف كبير » .

وهكذا .. نرى أنه حتى على أستاذ دكتور من كبار العلمانيين بسبب ما أشار إليه الدكتور « حنفي » من أن « القمني » يترك النتيجة لذكاء القارئ ، أي يثير فيه الشك نجد أن الأمر وصل إلى خلط كبير إلى حد قوله : اعتبار أن الرسول ﷺ ما هو إلا نبي وهاشمي .

ولا أدري ما معنى وضع حرف الواو بين نبي وهاشمي !

ويصل الأمر إلى حد أن يقول : الرسول هو صياغة ناجحة ؛ لتأسيس وحدة العرب ، وليس لتبليغ رسالة الله تعالى للعالمين كافة .

ليس هذا فحسب بل يزعم : هي صياغة سبقتها محاولات ، فشبهه ﷺ بالمتنبئين وما أكبر الفرق بين النبي والمتنبئ ، وما أكبر الفرق بين القرآن الكريم المعجز وتشبيهه بسجع الكهان والشعراء .

وينتهي إلى نتيجة « بسبب خلط القمني » أن الفرق بين الرسول ومن سبقه من المتنبئين والكهان هو فرق في الدرجة وليس في النوع حسب رأيه !

فجعل المتنبئين والكهان والشعراء نوعاً من النبوة ، واعتبر هذا فتحاً وكشفاً كبيراً .

ماذا نقول إذا فتح القمني باباً للشك بهذا الشكل ، وباباً للخلط بين النبوة وغيرها لا يقع فيه العامي فقط وإنما يقع فيه الأساتذة الدكاترة ، لا أدري أعن عمد ؟ أم تشابهت القلوب فتشابهت المفاهيم ؟ أم ماذا ؟!!

ومما جاء في مداخلة د. « حنفي » قوله [redacted] :

« وكل ناقد لنص إنما يحمل من داخل نقده للرواية موقفاً أيديولوجياً غير علمي . فقارن بين كل هذه الروايات وبين كل هذه الاتجاهات التي تناولت النصوص ، محاولاً أن يبين إلى أي حد هي علمية » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٨١] .

وهنا يعترف الدكتور « حنفي » بأمرين :

الأول : هو أن كل ناقد له موقف أيديولوجي يصبغ عمله .

والثاني : تكلم عن الرواية فنحن بصدد رواية وأساطير إذن !

http://kotob.has.it

فإذا كان كل النقاد يتأثرون باتجاهاتهم وأيديولوجياتهم فهل أكون مغالياً إذا سميت أعمال القمني بنفس التسمية هو تفسير أيديولوجي مبني على خلفيات الدكتور القمني المادية والماركسية ، فهو ناقد تنطبق عليه قاعدة أستاذه « حنفي » بخصوص النقاد « فلا حصانة لأحد » .

ثم يقول بعد ذلك :

« بين ذلك في « النبي إبراهيم » وكيف أنه عند العبرانيين القدماء هو أب لبني إسرائيل ، وكيف أنه عند المسلمين أمة وأب أيضا للعرب من خلال إسماعيل ، وهو ما يمكن أن يؤخذ من منظور الشرق القديم هو أحد البطاركة القدماء . وبالتالي كل أمة تحاول أن تصوغ إبراهيم بالطريقة التي تريدها ، وهو – من هذه الناحية – جمع بين التاريخ الديني وتحليل الأيديولوجية السياسية ، بين نقد النصوص الدينية وبين التحليل السياسي ، واختار هذا المنهج بتواضع تام » . [الأسطورة والتراث ص : ٢٨١] .

يلفت نظرنا في هذا الأمر النتيجة التي توصل إليها الدكتور « حنفي » بعد قراءة أعمال « القمني » أن كل أمة تحاول أن تصوغ إبراهيم بالطريقة التي تريدها ، ولا أدري هل صاغ المسلمون لإبراهيم – وهم أمة من الأمم – أنه أباهم ، وأنه رسول ، وأنه حنيفي الديانة ، مع أن كل هذه الأوصاف جاءت في القرآن فى قول اللّه تعالى : ﴿ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

فهل بعد هذه الآية صاغ العرب والمسلمون إبراهيم كما يرون ؟

ثم أردف قائلاً :

« انتهى الأخ سيد من دراساته العديدة في علم تاريخ الأديان إلى نتائج علمية يُشْهَد لها سواء فيما يتعلق بالحج أو بالنبوة أو ببعض الأساطير القديمة حول الشمس والقمر ، لكنه لم ينته إلى أبعد نتائج ممكنة ، وكأنه

http://kotob.has.it

يقول : الكلام لك واسمعي ياجارة ، وكأنه يقول : الآن القارئ الذكي يستطيع بنفسه أن يستنتج أشياء عديدة مما قلت أنا ، وهو يعلم الحالة الراهنة للثقافة السائدة في مجتمعه » . [الأسطورة والتراث ص : ٢٨١] .

ونقول : إذا كان الدكتور « حنفي » استنتج بخصوص النبوة والحج وهما ركنان من أركان الإسلام وركن من أركان الإيمان فيها « الكلام لك واسمعي ياجارة » .

ويحيل الموضوع برمته إلى القارئ الذكي ليستنتج أشياء عديدة ، ولا يصرح بها فقط للحالة الثقافية السائدة ، فما هي الاستنتاجات التي يقودنا إليها القمني ؟

هل اعتبار الحج من أساطير الأولين ؟ وهل النبوة كذلك ؟

وهل هي كما يقول الغربيون عبقرية وتخطيط أم حزب « كما فى رأي القمني وخليل عبد الكريم » أي استنتاج يقودنا إليه ؟

فإذا كان هذا كلام واستنتاج دكتور أستاذ للقمني فما هو رأي الآخرين ؟

إذا كان بعض فلاسفة الغرب المتألهين يكتفون بحصر الدين في المساجد ، فهل وصل الطعن إلى النبوة ذاتها وإثارة الشكوك حولها ؟

إذا كان رأيهم أن يتركوا القارئ ليستنتج فأنا أيضاً أترك القارئ ليستنتج مغزى كلامي .

ومما جاء في مداخلة د. « حنفي » :

« في الحزب الهاشمي بالفعل أنا تعلمت كثيراً منه ، لماذا كانت السيادة بمكة وطرق التجارة ، وكيف أن التجارة في حاجة إلى كعبة ؟ إلى آخره ..

http://kotob.has.it

فالتحليل الاقتصادي في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة الإسلامية يساعد قارئ هذه المادة ؛ كى يفهم بالفعل لماذا كانت السيادة لمكة والسيادة لقريش ، ولبنى عبد المطلب ، أقول : إذن .. هذا المنهج السياسى الاجتماعى الذى لم أستطع استعماله ولم أقدر حتى الآن على ممارسته ، وربما لأسباب فكرية صرفة ؛ لأني أفلاطونى هيجلى ، من الصعب عليه أن يفهم ماركس المتأخر ، ماركس الناضج . لكن على أية حال الأخ سيد استطاع بالفعل إقناعى بذلك المنهج في دراساته العديدة عن تاريخ الأديان ودون المغالاة في التحليلات التاريخية بل إلى الحد الذى يمكن بعده الدفاع عن الموضوع » . [الأسطورة والتراث ص : ٢٨٢] .

لقد نسب الدكتور « حنفي » نفسه إلى أفلاطون وهيجل ، أما أفلاطون فهو فيلسوف آمن بالجدل والديالكتيك .

وهيجل عاد في القرن الثامن عشر لهذه المقولة ولكنه لم يصل بالديالكتيك إلى مرحلة الإلحاد ونفي وجود اللّٰه ، كما سنذكر لاحقاً .

ولكن ماركس ادعى أنه أقام الديالكتيك الذى كان منكوساً لدى هيجل ، ليتوصل إلى إنكار الأديان وإنكار وجود الله .

إذن .. حينما شبه الدكتور « حنفي » أعمال « القمني » بماركس فهل هو يتهمه بإنكار الألوهيـة والأديان ؟ فإذا ألمحت أنا إلى التفسير الماركسي والمادي الذي اتبعه « القمني » أفأكون مقتدياً في ذلك بأستاذه « حسن حنفي » ؟

ونتابع قوله بعد ذلك :

« لم يستطع ربما أن يتخلى عن بعض الاستحداث وألفاظ المستحدثين ، مع أن المادة العلمية القديمة فى حد ذاتها قد تكون كافية ، مثلا يتكلم عن الأيديولوجية وهو يتكلم عن النبوة ، طبعا النبوة هى مجموعة من الأفكار والمذاهب والشرائع والقوانين ... إلى آخره .. فحسب التعريف

http://kotob.has.it

العلمى لكلمة أيديولوجيا : الكهانة والنبوة وكل ذلك يدخل فى إطار الأيديولوجية . يتكلم عن الحزب عن بعض أشياء من ألفاظ الحداثة عن بعض المفاهيم مثل الصراع الطبقى ، طبعاً ربما عز عليه أن يترك المادة القديمة – قديمة – كما هى ، فأراد أن يعرضها فى ثوب حديث براق فوقع فى هذه المصطلحات » . [الأسطورة والتراث ص : ٢٨٣] .

لقد استنكر بشكل مبطن « الدكتور حنفي » استخدام الألفاظ المستحدثة بالرغم من أن الألفاظ القديمة في حد ذاتها كافية ، فتكلم عن الأيديولوجية وهو يقصد النبوة ، وعلى حد قوله إن الأيديولوجية في تفسيرها العلمي أنها الكهانة والنبوة وكل ذلك – وما هو كل ذلك ؟ وهل القرآن والحديث يدخلان في ذلك ؟ – يدخل في إطار الأيديولوجية ؟

مع أنني لا أظن أن التفسير العلمي للأيديولوجية يشمل النبوة والديانة .

فهل سمعتم بشيء اسمه الأيديولوجية المسيحية ؟ أو الأيديولوجية اليهودية ؟ أو الأيديولوجية البوذية ؟

ومن القاموس نستخرج معنى أيديولوجية :

(أ) مجموعة نظامية من المفاهيم في موضوع الحياة أو الثقافة البشرية .

(ب) طريقة « أو محتوى » التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة .

(جـ) النظريات والأهداف المتكاملة التي تشكل قوام برنامج سياسى ، اجتماعي « مذهب » .

فنحن إذن .. لا نوافق الاثنين على تسمية النبوة أو الدين بالأيديولوجية .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر مفهوم الحزب والصراع الطبقي ، فهذه مفاهيم لم تكن موجودة أصلاً

http://kotob.has.it

إذا كان هنالك شك في وجودها اليوم فأين الصراع الطبقي في الاتحاد السوفيتي السابق ؟ وإلامَ انتهى تناقض الطبقات ؟ هل إلى سيادة الطبقات الكادحة كما ادعى ماركس ؟

أم انقلب الأمر على عقبيه ؟

وعجز الماركسيون عن تقديم مثال عملي تطبيقي واحد لصراع الطبقات ، فهل نحاول تطبيق ذلك بطريقة خيالية على التاريخ ؟

ثم يقول :

« لكنه اعتمد على مادة تاريخ علم الأديان وهى مادة معروفة وفيها اجتهادات عديدة ، وكلها آراء ظنية. والأخ سيد لا يقول بقطع فى هذه الأمور ، ولكنه يقارن بين الاجتهادات ويقارن بين الروايات ويعتمد على ما يسميه هو الأقرب إلى العقل ؟ » . [الأسطورة والتراث ص : ٢٨٣] .

فإذا كانت كل الآراء فى نظرهم ظنية في علم الأديان واجتهادات متعددة ، أفلا يجوز أن نعتبر عمل «سيد القمني » ظنياً أيضاً ؟!

ولا يفيد أن نقول أن سيد القمني يعتمد على ما يسميه الأقرب ، إلى العقل فأي عقل يقصد ؟

وهل أيده آخرون وأصبح تياراً مقنعاً لكثير من العقول ؟

أما إذا انفرد به ومعه نفر قليل ألا يصبح أيضاً أمراً ظنياً لا يدخله حيز العلم ؟ بل يظل أقرب إلى الروايات والأساطير والتخيلات .

وفي اعتراف جديد للدكتور « حنفي » يقول :

« إن الأخ سيد ليس عالم آثار وبالتالي لم يقم هو بهذه الدراسات دراسة مباشرة ، لم يذهب إلى الحفريات لم يقرأ النقوش لكنه اعتمد

http://kotob.has.it

على من قام بهذه الأمور ومن ثم فهو يراجع نتائجهم ويوفق بينها بحيث يقبل ما يقبله العقل ... إلى آخره » .

استعمل الأخ سيد القرآن الكريم بهذا المعنى أيضا ، وكثير من اجتهاداته ونتائجه في دراسة إبراهيم مثلاً انتهى إلى بعض النتائج التي قد تؤيد رواية القرآن الكريم عن إبراهيم وعن رحلاته وكيف أنه انتقل من أور إلى حاران إلى فلسطين إلى مصر ، وحتى في النهاية إلى مكة وربما إلى اليمن » .

إذن .. فهو لم يتحقق بذاته واعتمد على دراسات آخرين ، وعلى ترجمات آخرين فنحن لا نخطئ حينما نورد رأياً معارضاً للأستاذ « جورجي كنعان » الذى ينقض مفهوم المستشرقين لتعدد الآلهة في منطقة الشرق الأوسط لدى الآشوريين والهلال الخصيب وأنهم خلطوا بين أسماء الصفات وأسماء الذات في كثير عن المواضع وبالتالي : هذا أمر دخله الاحتمال فيسقط به الاستدلال ؟

فعلى أي أساس نرجح رأياً على رأي بلا مرجح ؟

وأيضاً اجتهاد سيد القمني الذي قد يؤيد رواية القرآن على حد قول د. حنفى ، فهل نحن بحاجة إلى من يؤيد القرآن ؟

والأعجب من هذا ذكر اليمن وأن سيدنا : إبراهيم ربما اتجه إلى اليمن . وهذا ما لم يثبت في أي مصدر من المصادر في الرسالات المختلفة ، ولا في التاريخ ، ولا في الحفريات .

وعن كتاب « الحزب الهاشمي » قال :

« لو أردت أن أعطي نموذجاً آخر يكون الحزب الهاشمى سنة ١٩٩٠م ، أو النبى إبراهيم والتاريخ المجهول ، إن أهم شيء عمله الأخ سيد هو إيجاد الأساس التاريخي الاجتماعى الاقتصادى للرواية فى النص

الديني ، بالضبط مثل أسباب النزول التي يقصها القرآن فيما يتعلق بالنص وبالظرف التاريخي الاجتماعي الذي ينشأ فيه النص . في الحقيقة يطبق الأخ سيد روح هذا المنهج ، ويوسع من مفهوم سبب النزول ويجعله هو الظرف التاريخي العام ، فبالتالي يصبح النص كله – الكتاب كله – قد نزل في سبب خاص » . [الأسطورة والتراث ص : ٢٨٤] .

فلا أدري ، وأنا أسأل الدكتورين « حنفي والقمني » هل قص القرآن أسباب النزول ؟ أم هي علم من علوم القرآن تدخل في علم التفسير ، ويهتم بها علماء أصول الفقه لاستنباط الأحكام ؟ وأخطر من هذا وذاك ادعاء أن الكتاب كله قد نزل في سبب خاص ، فهل هذا هو الغرض ؟ أن يصبح القرآن محصوراً في زمن نزوله ؟ ولا عبرة بعموم النص ؟ لو طبقنا هذا على الصلاة مثلاً هل تصبح في زمن خاص وفي مكان خاص لأشخاص مخصوصين ؟ أم القصد هو نسف القاعدة الأصولية « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » ؟

إذا ألغينا هذه القاعدة يكون المخاطبون بالقرآن والسنة هم المعاصرون لها فقط ، وبالتالى نعود إلى المتألهين الأوربيين ، « أي نؤمن بالله بلا عبادة مخصوصة » هل هذا هو المقصود والمطلوب من القارئ الذكي استنتاجه ؟ ولم يصرح به « القمني » للظرف الثقافي الذي نعيشه .

وعن تناول القمني لمسألة الحج قال الدكتور « حنفي » :

« قبل أن أنهى حديثى ، أتحدث عن بعض الدراسات التى كتبها عن الحج وعن جنة عدن وعن إلهة الجنس والزهرة وعن أساطير الشيطان والمثولوجية التوراتية والملوك الأربعة .. إلى آخره .. حتى أعطى بعض التفصيلات عما هو موجود فى أعماله . مثلاً فيما يتعلق بالحج ، الحج كلنا نعلم أنه إحدى الفرائض الإسلامية لكن الأخ سيد يتبع فريضة

http://kotob.has.it

الحج منذ مصر القديمة ويبين أنه فى كل دين وفى كل ثقافة ، أن الحج كان دائما موجودا ، ويعطينا أماكن عديدة كان الحجيج يذهب إليها .

فى الثقافات القديمة من الهنود والرومان واليونان والكريتيين .. إلى آخره .

ثم فى النهاية تظل الكعبة هى أحد أنماط العبادات فى الإسلام . تكلم عن الحج فى العقائد القديمة والحج عند الجاهليين ثم الكعبة المكية إلى آخره ، أقول إذن هذا نموذج لبيان أن الحج فى الإسلام ليس فريضة جديدة ولكنه تقليد وجد فى الثقافات القديمة وعند الشعوب القديمة ، وربما الحج فى الإسلام إحدى هذه الصياغات » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٨٦] .

ما هو معنى الربط بين هذه المسائل والشبهة التي أثارها القمني في ذهن الدكتور « حنفي » بحيث أصبحت مفاهيم الحج والجنة والملوك الأربعة والأساطير ؟

هل نربط كل هذه « بالرغم من وجودها في القرآن » بالأساطير ؟ فيصبح الحج ليس فريضة أعيدت إلى أصولها في دين إبراهيم عليه السلام ولكنه تقليد .. لمن ؟ ليس لأديان سابقة وإنما لثقافات شعوب قديمة حسب زعمه .

إلى أن يقول : « وربما الحج في الإسلام إحدى هذه الصياغات » .

فالنبوة صياغة والحج صياغة فماذا بقي من الدين ؟

وأما رأيه في الأسطورة فقد عبر عنه بقوله :

« في دراسة الأساطير والديانات المقارنة عن إلهة الجنس أو الزهرة يحاول الأخ سيد أن يبين أن الأساطير بالفعل إنما هي تنبع من ثقافات الناس ومن عادات الشعوب ، ويأخذ نموذجا تطبيقيا هل هي ربة الحب والحرب ، هل هي معبودة الجماهير ؟ كيف تصور العرب واليهود

http://kotob.has.it

الزهرة ، حتى ينتهي إلى الزهرة في الإسلام ، والى أي حد جاءت الزهرة أيضاً كأسطورة داخلة في تاريخ الأديان عند بابل وآشور القديمة حتى قبل الإسلام » [الأسطورة والتراث ص : ٢٨٦] .

وحتى د. « حنفي » اقتنع بعلاقة الزهرة بالإسلام لسبب واحد هو : إيراد القمني لأحاديث مكذوبة لا أصل لها البتة ، ولو عاد إلى التفاسير لوجدها تنكرها ، ناهيك عن علم الحديث الذي يرفضها رفضاً تاماً .

أما مسألة الطوفان فقد عالجها بقوله :

« ولكن الطوفان أسطورة بابلية أشورية قديمة موجودة في حضارة مابين النهرين ، وهناك الطوفان السومرى وهناك الطوفان في بابل وهناك طوفان عرفه الجاهليون وهناك طوفان نوح في قصص الأنبياء ومن ثم فإن قصص الأنبياء ليست جديدة ، ولم تأت بشيء لم يسمع به الناس من قبل ، فقصة الطوفان معروفة في كل الكتب القديمة » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٨٧] .

فمن قال إن قصص الأنبياء جديدة ؟ والقرآن يقول : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف : ٣] فلم يدع أنها جديدة ، ولكنه أشار إلى أنها أحسن أي أوثق .

ولكن الذي فات الدكتور « حنفي » والقمني أيضا أن كل الشعوب القديمة ذكرت الطوفان الذي عم كل الأرض ، وإلا ما معنى أن يتحدث المصريون عن طوفان حدث في بابل ؟ أو كما عبر عنه القمني « فيضان عات لدجلة والفرات » فهي دليل عليه وليست له ، وهي مصدقة لما ورد فى القرآن وسيجد القارئ تفصيلاً حول الطوفان داخل هذا الكتاب .

http://kotob.has.it

وعن دراسة القمني للشيطان قال :

« ثم درس الشيطان كأسطورة في التراث الشرقي القديم وبين أن هناك فرقاً بين التراث المكتوب والتراث الشفاهي ، وهنا لأول مرة يبين أهمية التراث الشفاهي - وأنا قلت إنه لايعتمد كثيراً على الثقافة الشعبية أي الحالة الراهنة للثقافة العربية الآن حتى يستطيع تقديم هذه المادة العلمية من تاريخ الأديان لنا حاليا ، وترك الأخ سيد ذلك لذكاء القارئ » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٨٧] .

ويعود الدكتور « حنفي » للقاعدة التي أطلقها لفهم أعمال « القمني » وهي ترك الاستنتاج لذكاء القارئ فهل يريدنا أن ننكر وجود الشيطان بالرغم من وروده في القرآن ؟ ونصف القرآن كما فعل الجاهليون بالأساطير وقد ذكر القرآن الكريم قولهم : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النمل : ٦٨] .

فهل هذا هو المطلوب من القارئ ؟

وآخر ما نتناوله من مداخلة الدكتور « حنفي » قوله :

« في البحث الأخير عن الملوك الأربعة درس أربعة ملوك يذكرهم القرآن ومذكورون أيضا في علم تاريخ الأديان ملكان طيبان وملكان سيئان ، الملكان الطيبان هما ذو القرنين وسليمان والملكان الشريران النمروذ وبختنصر ، ويبين أن في هذا الرباعي الثنائي - رباعي لأنه أربعة رموز « ملوك » وثنائي لأنه اثنان خيران واثنان شريران - بين أن هذه البنية بين الخير والشر بنية ثنائية طبيعية موجودة في كتب التفسير الإسلامي ، وموجودة في ثقافات الشرق القديم .

ويقارن بين الروايات المختلفة وينتهي إلى نفس النتيجة أن حضارات الشرق القديم إنما كانت حضارة واحدة » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٨٧ - ٢٨٨] .

http://kotob.has.it

هل المقصود الثنائي بين الملكين الخيرين والشريرين ؟ والبنية بين الخير والشر بنية ثنائية طبيعية موجودة في كتب التفسير الإسلامي ، هل المقصود بها أن الإسلام يؤمن بالمانوية ؟ إله الخير وإله الشر ، هل هذا هو ما يراد للقارئ فهمه ؟

وقد ورد في كلمة « حنفي » اعتراف القمني له بأنه مادي ، ليس هذا فحسب بل يصل إلى قمة استنتاجاته فيقول :

« إن كل شيء ينتج في التاريخ وإن النصوص الدينية التي تظن أنها هابطة من السماء إنما هي في الحقيقة نابتة في الأرض » .

كما لا ينسى الدكتور حسن حنفي أن يذكر [في صفحة ٢٨٢ من ذات الكتاب] أنه درس الدكتور القمني وأنه تخرج بعد دراسته في تاريخ الأديان وسأله أنه لم يفهم كثيرا مما يقول ؟ فقال له الدكتور حنفي : ما تيارك ؟ ما منهجك ؟ ما هو موقفك الفكري ؟ فقال القمني : أنا مادي ، إلى أن يقول في ذات الصفحة : التيار السائد في معظم كتابات الأخ سيد سواء المقالات أو الكتب هو التحليل السياسي الاجتماعي التاريخي للنصوص الدينية وللآداب القديمة للأساطير ، إن كل شيء ينتج في التاريخ وإن النصوص الدينية التي تظن أنها - ستقول ذلك مجازا - هابطة من السماء إنما هي في الحقيقة نابتة في الأرض .

إذن .. لقد فهم الأستاذ أن النصوص التي نظن أنها هابطة من السماء هي نابتة من الأرض ، أليس هذا إنكار للمصدر الإلهي والوحي ؟ إذا كان الأستاذ حنفي قد فهم هذا ، فهل يعاب علينا فهمنا ذلك فيما بعد ؟

« وهو يعلم الحالة الراهنة للثقافة السائدة في مجتمعه ولعرضه لونا جديدا من التحليلات العلمية فكأنه يقول : ليس من الضروري أن أستنتج ولكن القارئ

http://kotob.has.it

يمكن أن يستنتج ما انتهى إليه وبالتالي اعتمد كثيراً على القارئ في استنتاج كثير من النتائج » .

وبعد كل هذه الجولة في مفهوم أستاذ دكتور متخصص عن كتابات القمني ألا تمثل تلك الكتابات انحرافاً بيناً عن الجادة ؟

إنا لا نملك إلا أن نقول : حسبنا اللّٰه ونعم الوكيل .

ومن مداخلة الدكتور « نصر حامد أبو زيد » في الأتيليه نتناول العبارات الآتية :

« تصوير ما قام به العبرانيون من استفادة من كل تراث المنطقة السابق عليهم على أساس أنه « استيلاء » أو « سطو » بهدف « تهويد المنطقة » .
وهناك عبارات كاشفة عن ذلك كأن يقول المؤلف مثلا : « ما نراه ونحاول إيضاحه هو وجود العمد والقصد من أهل التوراة » أو كأن يقول في مكان آخر « العبرانيون الغُبر الشعث كانوا أصدق وعيا بتاريخ المنطقة مفتوحي الأعين والآذان ، بينما كانت المنطقة في طريقها إلى كبوات متلاحقة انتهت بسباتها الطويل الحالي » .
وهكذا يقع المؤلف في الأحكام الأيديولوجية على عمليات تاريخية ذات طبيعة معقدة كما تدل دراسته » . [الأسطورة والتراث ص : ٢٩٢] .

وهنا يعترف دكتور من أعمدة العلمانية وله كتب في فلسفة التأويل فيصف أعمال « سيد القمني » بالصبغة الأيديولوجية فيحكم على التاريخ بالأيديولوجية ، فلا أكون مخطئاً إذن حينما أصف « القمني » بالمفسر الأيديولوجي الماركسي المادي الجنسي للتاريخ ، فأنا تابع لهما ، فهم أهل الدار وأدرى بالأسرار .

http://kotob.has.it

ومما جاء في مداخلة الدكتور « أبو زيد » :

« الاستناد إلى ما تطرحه التوراة بدءا من قتل قابيل « الراعي » لهابيل « المزارع » من مواقف متميزة ضد المزارع لحساب الراعي ، واستنتاج أن هذا موقف « عنصري » يتماثل مع الموقف العنصري الصهيوني الحديث والمعاصر .

وهكذا تتحقق المطابقة بين الماضي والحاضر ، وهي المطابقة التي تهدد الإنجاز العلمي الضخم للأخ سيد في كثير من الأحيان . إن ما حدث في الماضي كما يدل التحليل العلمي هو التفاعل الجدلي على مستويات عديدة ، عرقية ، جنسية وثقافية فكرية ، بين شعوب المنطقة كافة . واذا كنا لانختلف الآن حول الطبيعة العدوانية الاستعمارية الاستيطانية للكيان الصهيوني الإسرائيلي على الأرض العربية الفلسطينية ، فإننا لا يجب أن نجعل الموقف الراهن حكما على ماحدث في التاريخ . إن تصوير العبرانيين بوصفهم مخادعين قادرين على تزييف الوعي وخلط السم بالعسل الذي نتجرعه مغمضي الأعين . هذا التصوير يضفي عليهم قوة هائلة وينسب لهم ذكاء خارقا ، في مقابل باقي شعوب المنطقة ، الأمر الذي يمكن أن يكون تبريرا لا أعتقد أنه مقصود لحالة الانتصار النسبي التي يتمتع بها الوجود الصهيوني » . [الأسطورة والتراث ص : ٢٩٢] .

وإذن فقد استدعى القمني الحاضر للماضي والماضي لإسقاطه على الحاضر ، وطالما استخدم آيات تصف الوضع اليهودي في زمن أنبيائهم ، وذكر أنها تشير إلى الواقع في زمن المصطفى ﷺ ، وهذا هو أسلوبه في استخدام النصوص ، فهذا « أبو زيد » يخطئه في ذلك ولست وحدي .

والأخطر من هذا مسألة المقارنة بين الراعي والمزارع التي وصفها أيضا وصفا عجيبا في مسألة تقبل القربان من هابيل وعدم قبوله من قابيل إذ قال

http://kotob.has.it

متهكما « يبـدو أن الإله كان من اللواحم » فلم يقتصـر الأمر على العنصـرية بل تهكم لا يليق .

ويتابع الدكتور « أبو زيد » مداخلته قائلاً :

وإذا كانت دراسات القمني تهتم بتراث ما قبل الإسلام ، فإن نتائجها تساعدنا على تفسير وفهم كثير من جوانب التراث الإسلامى . هذا هو المغزى العميق لهذه الدراسات . إنها تكشف بشكل علمي رصين جذور مكونات التراث الديني الإسلامى ، وسأضرب على ذلك أمثلة : المثال الأول ذلك النوع من الملائكة التي يطلق عليها اسم الملائكة الكروبيين ، وهي الملائكة التي تهيم في الجمال الإلهي وتسبح حول العرش ولا علاقة لها بالعالم . وقد أسهب المتصوفة المسلمون بشكل خاص في شرح الطبيعة النورانية الخالصة لهؤلاء الملائكة ، وصورهم البعض في صورة الطيور الخضر التي ترفرف حول عرش الله . هذه الصورة يكشف لنا سيد القمني عن أصولها في الأساطير القديمة ربما دون أن يكون هدفه المباشر أن يفعل ذلك » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٩٤] .

إذا كان د. « أبو زيد » فهم من الشكوك التي أثارها القمني أن تلك الأساطير هي مكونات التراث الديني الإسلامى ، ولنلاحظ أنه استخدم « التراث الديني » ولم يقل « التاريخ » ولا « التفسير » وهو يعني النصوص الأصلية .

فهل هي مصادفة ؟ أم تطابق في النوايا ؟ أن نجد كتابا عن « أصول الشريعة » لمحمد سعيد عشماوي وكتاباً عن « جذور الشريعة » لخليل عبدالكريم ؟

فهل هي حملة علمانية منظمة على الشريعة ؟

http://kotob.has.it

ثم يذكر الملائكة الكروبيين ويحاول ربطها حسب فهمه من كلام سيد القمني بالأساطير فهل أصبحت الملائكة أيضا من الأساطير ؟ أم أن كل الغيبيات من الأساطير ؟

لا أدري أليست هذه دلالة صادقة على أن القرآن أزلي أبدي ؟ فنحن نرى في قريش من أتهم القرآن بالأساطير وذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ... ﴾ [الفرقان : ٥] .

وعادت نفس الشبهة تتكرر اليوم على ألسنة العلمانيين . وكأن الزمان قد استدار كيوم أنزل الله الوحى على رسوله ﷺ فهل تطابقت القلوب فتشابهت الأقوال ؟

وعن التحليلات اللغوية التي قام بها القمني علق الدكتور « أبو زيد » قائلاً :

> **المثال الثالث : هو التحليلات اللغوية الهامة التي يقدمها سيد القمني والتي تكشف عن الارتباط بين بنية اللغة وبنية العقيدة . ففي بحثه « درس في أركيولوجيا اللغة » تحليل لأسماء الآلهة السومرية الأب آن . والأم مان ، أو مايا أو مانا يصل إلى أن التقاء الأب بالأم أنتج زمان « زم + آن » ويتم ذلك من خلال الدلالة الصوتية للصوت ميم الشفوي ومعنى الضم الكامن فيه ، وبالتقاء الزاء مع « زم » يتأكد معني الضم الشديد المرتبط بالالتقاء الجسدي . هذا التحليل الصوتي لدلالة الأسماء ولدلالة تركيبها « زمان » يفسر ارتباط الله بالدهر في العقيدة الإسلامية « لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله » .**

[الأسطورة والتراث ص : ٢٩٤ - ٢٩٥] .

http://kotob.has.it

وبالرغم من عدم اعترافنا بهذا التحليل معتمدين على تفسير عالم آثار آخر وهو « جورجي كنعان » إلا أننا نتساءل ماعلاقة الزمان بالدهر ؟ فهل الله هو الزمان ؟ أم هو الدهر ؟

وهل يجـور إطلاق أسماء على الله من عندنا ؟ فالزمان محـدود ببداية ونهاية وهو تعبير عن حركة الكواكب حول بعضها ، وأما الدهر فهو من الأزل إلى الأبد .

ومن هنا وقع الاشتباه عند المشركين حينما قالوا : ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

أما الحديث في النهي عن سب الدهر فهو يعني أن الله هو الفاعل فيما يحدث في الدهر [١] .

والدليل على ذلك هل يجوز التعبد لله باسم الدهر ؟

ومما لفت انتباهي في مداخلة د . « أبو زيد » قوله :

« وبمثل هذا التحليل يفسر المؤلف أسطورة إساف ونائلة اللذين فسقا بالحرم فتحولا صنمين ، وعلاقتهما بالصفا والمروة حيث يرى أن إساف هو يوسف ونائلة من النيل ، ويلجأ إلى بعض العبارات العامية لتفسير العـلاقة الجنسـية . ويمكن من وجهة نظـرنا أن تكون نائلة نسبة إلى النيل ، وخاصة أن المروة مكان نائلة تدل على الرى فى تحليل المؤلف ، فهى نائلة من النيل النهر المصرى وكأن الأسطورة إعادة إنتاج لقصة

---

(١) أخـرج البخارى فى صحيحه [٧٤٩١] ، ومسلم [٢٢٤٦] ، واللفـظ له . عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « قال الله عز وجـل : يؤذينى ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار . وفى رواية : فلا يقولن أحدكم : يا خيبة الدهر فإنى أنا الدهر : أقلب ليله ونهاره ، فإذا شئت قبضتهما » .

http://kotob.has.it

يوسف وزليخة . وقد يمكن التدليل على صحة هذا التفسير أو القراءة بما انتهى إليه الكاتب من انتقال بعض قدماء المصريين من مصر إلى اليمن هربا من الاضطهاد الديني ، وهم العمالقة ، الأمر الذى يؤكد انتقال الأساطير والمعتقدات من مصر القديمة إلى الجزيرة العربية » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٩٥] .

إذن .. الدكتور « أبو زيد » يشير إلى النيل اعتمادا على اسم « نائلة » وكأنه صدق قصة انتقال بعض المصريين إلى الجنوب ومنه كانت هجرتهم ثم انتقلوا إلى مكة فبنوا الكعبة !!

والذي قلب اسم إساف فجعله يوسف . وبالتالي إن صدق الدكتور هذا فما حال الآخرين ؟ ولأنه أستاذ ماهر في فلسفة التأويل غير المنضبط فإنه رأى أنها إعادة إنتاج لقصة يوسف وزيلخة ، فإن كان « القمني » ذاته يذكر أن يوسف لم يرد ذكره في النقوش المصرية ولا في النصوص التاريخية فَلِمَ هذا الخلط ؟

أم أن القصد هو اختلاق قصص وأساطير ؟ فإما أن نصدق أن المصريين هم أصل جرهم والنيل من نائلة ، وإما لا نربط أسماء لم ترد عند المصريين لنزيد الأساطير أسطورة جديدة ، لنثبت زوراً أن العمالقة من مصر ، مع أن الكثير من النصوص التاريخية تثبت العكس .

والأخطر من هذا هو انتقال المعتقدات القديمة من مصر إلى الجزيرة العربية فهل ثبت لديكم وجود الآلهة المصرية القديمة المتعددة الطوطمية ذات الرؤوس الحيوانية وأنها عبدت في جـزيرة العرب ؟ أم المقصود هو التوحيد الفرعوني ؟ الذي نفاه « القمني » بعد أن أثبته لأنها عقيدة دخيلة على المصريين بسبب ثقافة ذاك الفرعون الذي كان لأم سامية وثقافة سامية فسرعان ما انقلب عليه الكهنة .

http://kotob.has.it

وسيجد القارئ الكريم الرد الوافي الشافي على تلك الترهات من خلال كتابنا هذا .

ومما جاء في مداخلة الأستاذ الدكتور نصر حامد أبو زيد في [صفحة ٢٩٣] :

ومأخذي على هذه الدراسة يتركز في الملاحظات التالية :

٢ - فعل سيد القمني في هذه الدراسة ما فعلته التوراة - حسب وصفه - من ابتعاد لكل ما هو غير عبراني وغير رعوى حتى يصبح تاريخ العالم هو تاريخ العبرانيين ، بمعنى أنه قام بعمليات استبعاد متالية لمجمل الصراعات العربية حتى تركزت في الصراع بين بني عبد مناف وبني عبد الدار من جهة ، وبين بني هاشم وبني أمية من جهة أخرى .

٣ - كانت نتيجة ذلك كله تحويل « الإسلام » إلى أيديولوجية هاشمية لإدارة الصراع ضد بني أمية وهي نتيجة تحصر « الإسلام » حصرا ضيقا جدا ، وتتناقض مع منطق الإسلام ذاته بوصفه ديناً للعرب لا لبني هاشم » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٩٣] .

وهكذا بالرغم من خطأ الدكتور « نصر » في وصفه بأن الإسلام دين العرب والله يقول : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ : ٢٨] . لا أنه استنكر مسألة الأيديولوجية الهاشمية ، بل اعترف بأنه استبعد الكثير ، المقصود بتلك الاستبعادات النصوص ، وذلك لتسخير النصوص للغايات التي يريدها « الحزب الهاشمي » .

ومن مداخلة الدكتور « أبو زيد » قوله :

« ولقد كان من الطبيعي أن تقع الدراسة فيما وقعت فيه ، والقارئ للكتاب يلاحظ كثرة الشواهد الشعرية ، على لسان شخصيات مثل

عبد المطلب أو أبي طالب أو غيرهما ، وهي شواهد مشكوك في صحتها . وأغلب الظن أن تدوين وقائع الجاهلية تم في كتب التاريخ من منظور إسلامي ، وكان طبيعيا أن يحرص المؤرخ المسلم على جعل عبد المطلب مسلما متحنفا تبرئة لجد النبي من الشرك والوثنية . والقراءة للمادة العلمية الواردة في الكتاب نفسه تؤكد أن الإسلام يمثل الأيديولوجية العربية لا الأيديولوجية الهاشمية فقط . الدليل على ذلك ، ذلك الحدث الهائل ، حدث انتصار العرب في واقعة ذي قار والصَّدى الذي أحدثه في الجزيرة العربية كلها ، وكأن ثمة إحساسا بضرورة التوحد كان يتخلق ، وهو إحساس عبر عن نفسه في مظاهر كثيرة تمثل بعضها في حركة الأحناف التي ردت دين العرب إلى دين إبراهيم ، وردت العرب جميعا إلى نسل إبراهيم من إسماعيل . وإذا كان أهم ما قدم الإسلام على مستوى العقيدة هو « التوحيد » فلا شك أن هذا التوحيد لا ينفك عن غاية تحقيق الوحدة السياسية للقبائل العربية .

ويمكن الحديث عن الأيديولوجية القرشية بعد ذلك ، وهي الأيديولوجية التي حاولت توظيف الإسلام لصالحها ، وتبدى ذلك في إرساء مبدأ « الخلافة في قريش » وذلك في اجتماع السقيفة عشية موت النبي ﷺ ، كما يتبدى كذلك في إلغاء القرارات الأخرى وتثبيت قراءة قريش للقرآن الكريم وحدها في عصر الخليفة عثمان ابن عفان .

ثم تصاعد الخلاف الهاشمي الأموي القديم واشتعلت الجمار التي كانت مختبئة تحت وحدة الإسلام « لكن الخلاف الهاشمي دار حول تأويل الإسلام ولم يكن يدور خارج الإسلام الأمر الذي يؤكد أن الإسلام لم يكن يمثل أيديولوجية هاشمية في صراع الأمويين » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٩٣] .

http://kotob.has.it

وهكذا يعود للتأكيد على عدم صحة أيديولوجية الحزب الهاشمي التي ابتدعها القمني ، ولسنا هنا في مقام الرد على مقولة الأيديولوجية القرشية فلها مكان آخر .

ثم يقول في [صفحة ٢٩٥] :

« ويتبين من كل ما سبق مدى الإسهام الذي تقدمه دراسات سيد القمني في التاريخ والتراث الأسطوري بالاعتماد على التحليل النقدي للنصوص والتحليل الأركيولوجي للغة والأسماء . وهذا التحليل لا ينفصل عن تحليل النبى الاجتماعية الاقتصادية المنتجة لهذه الأساطير والمعتقدات . ورغم أهمية هذه الدراسات في الكشف عن العمق التراثي للتراث الإسلامى . فإنَّ البعض يقف عند حدود بعض الأطروحات الأيديولوجية التي ناقشناها هنا ، وخاصة فيما يرتبط بأطروحة تهويد المنطقة – يقف البعض عند هذه الأطروحة ليستنتج منها أن سيد يطرح في المقابل أطروحة « مصرنة المنطقة » وهي أطروحة ليس لها وجود في الكتابات والبحوث التي نشرها القمني . لكن ما دام هذا البعد قد طرح فلا بأس هنا من مناقشته ، ذلك أن مفهوم « مصرنة المنطقة » يعني إنتاج صهيونية مضادة للصهيونية الإسرائيلية المعاصرة . والحقيقة أن أطروحة مصرنة المنطقة تعتمد على تحديد « مصر » بأنها مصر القديمة مخصوما من تاريخها وتراثها مصر المسيحية ومصر الإسلامية ، وذلك استنادا إلى أن كلا من المسيحية والإسلام نتاج سامي عبراني . والحقيقة أنها نظرة ضيقة قاصرة ، بل وأسطورية أيضا » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٩٥] .

إذن .. فأنا لست أول من سمى كتابات « القمني » بالأساطير فهذا الدكتور « أبو زيد » سبقنا إلى هذه التسمية .

http://kotob.has.it

ويتابع أبو زيد مداخلته فيقول :

« فمصر الآن هي مصر المركب من كل تاريخها وتراثها ، ومصر الفرعونية تلك أسطورة ، والذين يدعون اليها يعيشون الأسطورة والوهم ، وإذا كانت أطروحة « مصرنة المنطقة » تضع مصر المركب التاريخي الثقافي الحضاري فهي أطروحة يمكن مناقشتها ، أما مصر « الأسـطورة » فهي أطـروحة أيديولوجية لا تقل عن الأيديولوجية الصهيونية زيفا . والحق أن سيد القمني بريء من هذه الأطروحة ؟ » .

[الأسطورة والتراث ص : ٢٩٦] .

وأقول : لا ننسى أن مفتاح قراءة « القمني » ألقى به إلينا الأستاذ « حنفي » بأنه يريد القارئ أن يستنتج ولا يوصلنا إلى الغاية التي يريدها صراحة .

وسيكتشف القارئ فيما يأتي من مناقشتي لأفكاره عدم البراءة من هذه الأطروحة .

وسأترك للقارئ تحليل ما قرأه من النقاد حول كتابات سيد « القمني » معتمدا على ذكائه في الاستنتاج كما أشار الدكتور حنفي . وأشير إلى ما ذكره « القمني » في [صفحة ٢٦] من الإشارة إلى أهم المدارس التي تناولت الأساطير بالدراسة والتفسير ويستمر في [صفحة ٢٧] فيشير إلى أن « تعدد المدارس » يقوم على مبادئ ثلاثة :

١ - أن الأسطورة تصف حقائق تاريخية .

٢ - أنها رمز لحقائق فلسفية دائمة .

٣ - أنها انعكاسات لعملية طبيعية .

مرة بعد أخرى بصيروورة لا تتوقف وأن هذه المدارس تتبع مناهج ستة منهم من يرى الأسطورة قصة لأمجاد أبطال أو فضلاء غابرين ، ومنهم

من يعتبر أبطال الأساطير ظواهر طبيعية تم تشخيصها في أسطورة اعتبرت بعد ذلك قصة لشخصيات مقدسة والمنهج المجازي بمعنى أن الأسطورة قصة مجازية تخفي أعمق معاني الثقافة والمنهج الرمزي : الذي يرى الأسطورة قصة رمزية تعبر عن فلسفة كاملة لعصرها لذلك يجب دراسة العصور نفسها لفك رموز الأسطورة ، والمنهج العقلي : الذي يذهب إلى نشوء الأسطورة نتيجة سوء فهم أو خطأ ارتكبه مجموعة أفراد في تفسيرهم أو قراءتهم أو سردهم لرواية أو حادثة أقدم » .

وليته اتبع هذا المنهج لأراحنا واستراح ، ولكنه يصرح في [صفحة ٢٨] بقوله :

وعليه فإننا نقرر من البداية أننا سنعمد إلى المنهج الذي يؤدي إلى نتائج تبدو صحيحة - أرجو من القارئ أن يركز على كلمة « تبدو صحيحة » - دون الرجوع إلى المدرسة - يقصد منهج المدرسة - بمعنى أننا على استعداد للسير قسما من الطريق مع أي من هذه المدارس لكننا لسنا على استعداد للسير مع أي منها الطريق كله .

أقول : وهل التلفيق إلا هذا المنهج الذي اتبعه القمني ؟

لذلك هل أكون مغالياً إن نسبت دراسات سيد القمني إلى الأساطير ؟ فهي روايات مصدرها هوى الكاتب ، فلا منهج من المناهج الغربية المادية اتبع ، كذلك فإنه لم يتبع مناهج التوثيق الإسلامى ، فصار يأخذ من هنا ويتمم من هناك حتى تكتمل الصورة الروائية التي في ذهنه ، وسيكتشف القارئ من النصوص التي أنقلها من كتبه صحة ما أقول .

وأذكر القارئ من جديد بأنني لست أول من وصف تحليلات الكاتب بالأساطير والتلفيق .

http://kotob.has.it

أما الباعث لهذا كله فهو ما أشار إليه في تعقيبه على كل من الدكتور « حنفي » والدكتور « أبو زيد » في [صفحة ٢٩٧ - ٢٩٨] :

« الذي انتقل أصحابه بسرعة من الموقف النظري إلى تيار فاعل وناجح اصطلح على تسميته بالتيار السلفي، وسرعة الانتقال للفعل نتجت عن امتلاك النظرية في النص الديني، مما حوله إلى تيار، تلك التسمية التي تضمنت الاعتراف بتناميه على مستوى الفعل والانتشار، وبغض النظر عن عوامل معلومة لديكم عن الأسباب الموضوعية والمعرفية لهذا الانتشار الهائل ، فإن مايعنينا هو رؤيته التي تذهب إلى أن حل إشكاليات الحاضر والمستقبل معاً ، إنما تكون بالارتكان الكامل لأصالتنا ، التي تمَّ تحديدها في التراث الخاص بالأمَّة ، والذي يمثِّله الإسلام تحديداً .

ومن هنا يعتقد هؤلاء أنهم يمتلكون الأدوات النظرية الصالحة تماما ؛ لأنها أدوات سماوية تمَّت صياغتها من قبل من هو أعلم بأمورنا منا ، وعليه لا يبقى سوى تنميط جميع سلوكياتنا بحيث ينضبط إيقاعها مع إيقاع النص ، ويتوافق مع سلوك من طبقوا النص في حياتهم ومجتمعهم من سلفنا الصالح ، أصحاب رسول اللّٰه ﷺ ، والرسول نفسه كنموذج أرضي لكنه متعال ، يرتبط من كلا الطرفين بالأرض حقل العمل وبالسماء منبع النظر .

ومن هنا جاء الإصرار على فكرة الشخصية الثقافية الثابتة ، التي لا ينبغي أن تتغير لأي سبب ، بحيث تتماهى الذات مع السلف مع المنظومة الدينية ، ويصبح التخلي عن معنى الثبات في الشخصية الثقافية انسلاخا للذات من موضوعها ، وتغريبًا لها في واقع وبنية وتاريخ مخالف ومباين ، كما يصبح المساس ولو بالمبضع العلمي لتلك الثقافة الراسخة ضرباً للهوية ونكرانا للذات وتمردا على الأصالة وتخليا عن مقومات بنيتنا الذاتية ، وخضوعا مغتربا ، وتابعا للآخر » . « الأسطورة والتراث »

http://kotob.has.it

وأقول :

لا أدري أي تيار يقصد بتسميته التيار السلفي ؟ على أننا نعلم أن مصطلح التيار السلفي لدى العلمانيين هو كل من يعود إلى النصوص الأصلية فلم يفرق بين القرآن والسنة وبين أقوال الرجال ، ومما يدل على ذلك ما جاء في الفقرة السابقة واصفا إياها بأنها « أدوات سماوية تمت صياغتها من قبل من هو أعلم بأمورنا منا » فعلى ذلك فالنقمة ليست على التيار وإنما على النصوص الأصلية التي يتمسك بها التيار الديني ، ولايفرق بين معتدل ومتطرف ، ولا بين النصوص الأصلية والاجتهادات .

وهذا ما نجده في كتاباته ، فهي نقمة لم تجد طريقا إلا بيذر الشك في نفوس من يتعلق بالنصين الأصليين « الكتاب والسنة » ومع ذلك فأنا لست مع من يكفر الناس ويحجر على الرأي(١) أو يحبذ إقامة الدعوات القضائية ضد من يخرج عما يجوز الاختلاف فيه ، فسماحة الإسلام وثقة المسلمين بدينهم سمحت لأمثال من صدر كتبه بأقوالهم من الملاحدة ، فقد ذهبوا وبقي الإسلام فأين هم ؟ وكم عدد الذين اتبعوهم ؟

وصدق الله العظيم ، القائل في كتابه الخالد : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧] .

❑ ❑ ❑

(١) ولكنى أتساءل هل الهزء بالله رأىٌ ، ولِمَ كانت الحدود والعقوبات إذن ؟!!
إن البذاءة والتطاول على الخلائق لا تعد رأيًا ؛ فكيف بالله نرضى لربنا ما لا نرضاه لأنفسنا ؟!!

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مدخل (١) :

لقد جرى الكاتب على إفراد فقرة تحت عنوان تأسيس قبيل أن يشرع في أغلب الفصول . وقد آثرت أن أضع في بداية كتابي ثلاثة مداخل أرجو من القارئ أن يستصحبها مع التمهيد والمقدمة خلال قراءته للردود على أعمال الدكتور « سيد القمني » .

فقد جاء في كتاب : « العقيدة والشريعة في الإسلام » للمستشرق « أجناس جولد تسهير اليهودي » في الصفحة الخامسة حيث يقول :

« ويبين ذلك إذا عرفنا أن نمو الإسلام مصطبغ نوعاً بالأفكار والآراء الهلينستية ، ونظامه الفقهي الدقيق يشعر بأثر القانون الروماني ، ونظامه السياسي ، كما تكون في عصر الخلفاء العباسيين ، يدل على عمل الأفكار والنظريات السياسية الفارسية ، وتصوفه ليس إلا تمثلا لتيارات الآراء الهندية والأفلاطونية الجديدة الفلسفية ، على أن من الحق أن نقرر أن الإسلام في كل هذه الميادين قد أكد استعداده وقدرته على امتصاص هذه الآراء وتمثلها ، كما أكد قدرته كذلك على صهر تلك العناصر الأجنبية كلها في بوتقة واحدة ، فأصبحت لا تبدو على حقيقتها إلا إذا حُلّلت تحليلا عميقا ، وبحثت بحثا نقديا دقيقا .

وهذا الطالع العام يحمله الإسلام مطبوعا على جبهته منذ ولادته ، فمحمد « مؤسسه لم يبشر بجديد من الأفكار ، كما لم يمدنا أيضا بجديد فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما هو فوق حسه وشعوره باللانهاية ، لكن هذا وذاك لاينقصان من القيمة النسبية لطرافته الدينية » ؟!

وأقول : هذا الكلام السفيه الذي جعل الإسلام خليطاً من كل ما سبق ووصل إلى حد القول بأن الإسلام لم يمدنا بالجديد بما هو فوق حسه وشعوره ، فهل هنالك دين على وجه الأرض تكلم عن الغيبيات التي نؤمن بها وتتمثل

في أركان الإيمان ؟ وهل هناك خلط أكبر من هذا الخلط في فكر هذا الرجل ؟ وسيجد القارئ تلميحاً لهذه الأفكار بقذف الأساطير السابقة إلى الإسلام في كتابات سيد القمني ، وكما قلت : إن سيد القمني كما وصفه الدكتور حسن حنفي يدع الاستنتاج لذكاء القارئ .

ثم يقول في الصفحة السابعة :

« لقد كان مسقط رأس محمد « مكة » مركزا من المراكز الهامة الخطيرة لعبادة الأوثان والأصنام ، كما كان مقرا للكعبة المقدسة والحجر الأسود ، ومع هذا كانت المادية ، وكبرياء الجاهلية ، وتحكم الأغنياء في الفقراء ، هي المميزات السائدة عند أشراف تلك المدينة ، الذين كانوا يفيدون من سدانة الكعبة فوائد مادية لها خطرها ، إلى جانب ما كان في هذه السدانة من ميزة دينية وشرف قومي .

رأى محمد هذا ، فأخذ يشكو من اضطهاد الفقراء ، وطمع الأغنياء ، وسوء المعاملة ، وعدم المبالاة بالصالح العام وواجبات الحياة الإنسانية والأشياء الفاضلة الباقية التي تقابل متاع هذه الحياة الدنيا الزائلة ومتاعها :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٦] .

وعندئذ قابل بين هذه الأمور التي أثارت نفسه ، والأثر الذي كان باقيا وحيا فيه ، وهو الأثر المدين به للتعاليم التي سبق أن تلقاها وتفتحت لها نفسه وأشربها قلبه . وكان قد بلغ الأربعين من عمره ، وأخذ يقضي وقته على ماتعود في الخلوة في الغيران المجاورة » ؟

وهنا يذكر « جولد تسهير » اليهودي قصة إفادة أشراف المدينة ويقصد بها مكة من سدنة الكعبة فوائد مادية لها خطرها وهو ما ردده سيد القمني في كتابه « الحزب الهاشمي وحروب دولة الرسول ﷺ . كما ذكر جولد تسهير مسألة

http://kotob.has.it

التعليم التي تلقاها الرسول « حتى وصل الأربعين » ، فإذا فكرت في تلقي الرسول ﷺ للتعاليم سواء ما أشار إليه سيد القمني في كتابه من مشيه في الأسواق ومن جواسيس الدول العظمى الذين كانوا يأتون إلى مكة واحتكاكه بالمتحنفين في مكة والنصارى واليهود ، فكل ماقاله سيد القمني لا أخاله إلا مما قاله جولد تسهير وسيتكشف للقارئ ذلك عند قراءته لهذه النصوص .

ويذكر في الصفحة التاسعة :

« إذا ما كان يبشر به خاصا بالدار الأخرى ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقينا ، وأقام عليها هذا التبشير . لقد افاد من تاريخ العهد القديم - وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء - ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل ، بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم . وبهذا انضم محمد إلى سلسلة أولئك الأنبياء القدماء بوصفه آخرهم عهدا وخاتمهم » .

ولعل القارئ حينما يقرأ وصف سيد القمني للآيات التي نزلت في بني إسرائيل والتي وصفها بأنها تعشيق للحاضر في الماضي ، لايخرج عن هذه الفكرة لدى جولد تسهير وخصوصا في مسألة طالوت ومسألة الفئة القليلة التي حاربت فئة كثيرة ، فأيضاً نجد أن فكر جولد تسهير يتكرر مرة أخرى لدى القمني .

ثم يقول في [ص ١٢] :

« إن العصر المدني قد أدخل تعديلا جوهرياً حتى في الفكرة التي كونها محمد عن طابعه الخاص ، ففي مكة كان يشعر أنه نبي يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة ، وأن لهذا عليه - مثل أولئك الرسل - أن يقوم بإنذار أمثاله في الإنسانية وإنقاذهم من الضلال . أما في المدينة ، وقد تغيرت الظروف الخارجية ، فقد تغيرت مقاصده وخططه واتجهت اتجاها آخر ،

http://kotob.has.it

كذلك بحكم تلك الظروف الخارجية ، ولا غرو فقد وجد في بيئة تختلف عن بيئة مكة ، فكان هذا مما جعله يرفع إلى المقام الأول مظاهر أخرى من مظاهر رسالته النبوية .

إنه يريد الآن إصلاح دين إبراهيم وإعادته إلى أصله بعد أن نال منه التغيير والإفساد ، وكان تبشيره مختلطا ببعض التقاليد القديمة التي تتعلق بابراهيم « عليه السلام » ، فالشعائر التي أسسها قد سبق أن وضع أساسها إبراهيم ، لكنها حرفت في خلال الأزمان والأجيال واتجهت نحو الوثنية . إذاً ، لقد أصبح يريد إقامة دين الله الواحد كما جاء به إبراهيم ، كما أنه بوجه عام كان مصدقا لما سبق أن أوحاه الله لمن تقدمه من الرسل والأنبياء » .

وأقول سيجد القارئ نفس الفكرة لدى سيد القمني في تغيير استراتيجية الدعوة على حسب وصفه من مهادنته أهل الكتاب وخصوصا اليهود إلى الهجوم عليهم ونسبه التحريف إليهم وكأن الرسول هو الذي يؤدي ذلك من عنده لمواجهة الظروف التي تغيرت .

فجولد تسهير يجعلها مقاصده وخططه واختلاف البيئة ، وسيد القمني يجعلها تكتيكاً واستراتيجية وأيضا الظروف والبيئة هي التي غيرت من استراتيجية الدعوة ، فهو كرر كلام جولد تسهير وأقوى دليل على توضيح هذه الفكرة ما قاله في ذات الصفحة :

« والجدل ضد اليهود والمسيحيين شغل مكانا كبيرا في الوحي المدني . لقد كان فيما مضى يعترف بأن الصوامع والبيع والصلوات تعتبر أمكنة عبادة حقيقية ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] ، لكن الأمر تغير بعد هذا ، كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه ، وقد كانوا

http://kotob.has.it

في الواقع أساتذة له ، لذلك لايسلم بأنهم حريون بأن يكون لهم على أتباعهم سلطان شبه إلهي ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] لأنهم أناس أنانيون يضلون الناس ويصدونهم عن سبيل الله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤] . إلا أنه في موضع آخر يعترف صراحة بفضل الرهبان المتقشفين المتواضعين ، ويرى أن ميلهم الطبعي للمؤمنين يقربهم إليهم أكثر من اليهود الذين رفضوا الإسلام رفضاً باتاً ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٢] كما يلوم أحبار النصارى لما أضافوه إلى الشريعة الإلهية ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

فالسنوات العشر بالمدينة كانت عصر دفاع وهجوم بالسيف واللسان .

وبديهي أن التغير الذي حدث في الطابع النبوي لمحمد ، قد أثر في أسلوب القرآن وشكله الأدبي ؟

ثم يقول في صفحة [١٦ و ١٧] : ☚

« إن العرب لم يكونوا ، بحكم مزاجهم وطريقة حياتهم ، يقدرون القيم الفوق الأرضية ، ولكن النجاح الذي ظفر به النبي وخليفته الأول على معارضي الإسلام قوى عند العرب الاعتقاد في النبي ورسالته ، وكان لهذا

http://kotob.has.it

النجاح تأثير تاريخي مباشر . نعم إن هذا النجاح لم يحقق ، على مانزال نسلم به حتى الآن ، الوحدة التامة بين القبائل العربية المتفرقة سياسيا ، والمنقسمة على نفسها حتى من الوجهة الدينية بسبب عباداتها المحلية ، وكذلك الأمكنة التي خصصت للعبادات المشتركة لم توحد بين أفراد مستقرين ثابتين ، ولكن مما لا ريب فيه أن هذا النجاح أسس رابطة أقوى جمعت بين جزء كبير من هذه العناصر المتخاصمة .

وقد كان النبي قد اقترح مثلا أعلى ، وهو جمع القبائل في وحدة طائفية أخلاقية ودينية على أساس الدين الذي جاء به ، وأن يكون أساس هذه الوحدة الشعور بالخضوع جميعا لله الواحد الأحد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ... ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران] فتقوى الله هي التي أصبحت معيار التفوق والكرامة ، لا اعتبارات الحسب والقبيلة .

وفكرة هذه الوحدة صارت تتسع شيئا فشيئا بعد وفاة النبي ، بفضل الغزوات التي نجحت نجاحا لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم » ؟!

إذن .. أنا لا أكون متجنياً إذا نسبت أفكار سيد القمني في هذا الخصوص إلى جولد تسهير والمستشرقين اليهود ، وسيجد القارئ نفس هذه الأفكار في كتابات سيد القمني وإن اختلف الأسلوب

وهنا تظهر بجلاء مصادر فكرة الدين القومي العربي سواء في كتابات « خليل عبدالكريم » أو في فكر « سيد القمني » الذي جعل التوحيد بداية الوحدة العربية ، وهو هدف الدين وما إلى ذلك من تحليلات ، أهمها : ادعاء أن قصي وعبد المطلب أجداد المصطفى ﷺ سعوا لذلك التوحيد » هذا هو مصدرها « التحليل الاستشراقي اليهودي » وعلى رأسهم « جولد تسهير » .

http://kotob.has.it

ويقول في الصفحة [٣٣] :

« إن الرسول نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص ، وبحكم الظروف التي أحاطت به ، إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة ، والى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ماسبق أن أوحاه الله إليه .

فإذا كان الأمر كذلك في عصر النبي ، فمن الأولى أن يكون كذلك - بل أكثر من ذلك - عندما تجاوز الإسلام حدود البلاد العربية وتأهب لكي يصير قوة دولية .

إننا لا نفهم الإسلام بلا قرآن ، لكن القرآن وحده بعيد عن أن يكفي لمواجهة العقلية الاسلامية التامة في سيرها التاريخي » ؟!

وبعد هذا الكلام سيجد القارئ تحليل سيد القمني لمسألة الناسخ والمنسوخ وأزلية القرآن ونظرية تطور الدين ونشوءه من الواقع والعبارات مثل « الوحي الصاعد » كلها ترديد لهذا الفكر الاستشراقي لجولد تسهير اليهودي .

وأنا أترك للقارئ الذكي كما قال الدكتور « حسن حنفي » أن يربط ويحكم ، هل هذه المقتطفات هي من الجذور الأساسية لفكر سيد القمني ؟ هذه الأفكار على مر التاريخ لم تتغير وإنما أعيدت صياغتها ، ورغم النقمة التي رأيتها في كتابات « سيد القمني » على اليهود فلم تمنعه هذه النقمة من الاقتداء بأعلام الفكر المادي اليهودي والاستشراقي المعاصر ، فوقع فيما فر منه .

❑ ❑ ❑

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مدخل (٢) :

لقد أشار الدكتور « حسن حنفى » فى « أتيليه القاهرة » إلى أن « سيد القمنى » مادى باعترافه ، وكما هو معلوم أن اتجاه أى شخص يؤثر فى تفكيره ، فينتفى الحياد ، لذلك كان لا بد أن نلقى نظرة سريعة على المادية بفروعها المختلفة .

فالمادية أساسًا تزعم أن المادة أساس كل شيء ، وأن الوجود كله منحصر فى الوجود المادى ، وليس وراء هذا الوجود المادى شيء ، ويعللون التغيرات التى تحدث للمادة تارة بأسباب ترجع إلى الطبيعة ، وتارة إلى الفردية ، وتارة إلى واقعية ، فهم لا يؤمنون إلا بما يرون أو بما يحسون .

وبالرغم من أن العلم الحديث لم يثبت قط أن حياة وجدت من عدم أو حتى من خلية واحدة وجدت إلا بالتوالد من خلية حية سابقة لها .

وأظهر تلك الأدلة ما قام به العالم « باستور » الذى تنسب إليه عملية البسترة ، في الحليب ، حيث قام بعزل الحليب في زجاجة ذات فتحة متعرجة معرضة للهواء ، فترسبت البكتريا - وهى كائنات متناهية في الصغر - على هذه التعرجات ، فلم يفسد الحليب ، بمعنى أن البكتريا لم تتولد من الحليب ذاته ، وإنما من بكتيريا أخرى معلقة في الهواء .

وكان الماديون قبل ذلك يزعمون أن البكتريا تتولد من المادة فانهارت تلك النظرية .

بل وفي اجتماع كبير لجمع من العلماء في أمريكا والاتحاد السوفيتى « السابق » أثبتوا أن العلم عاجز عن إيجاد الحياة ، وعاجز عن أن يعرف إلا بعض مظاهر المادة .

وحتى الاستنساخ اليوم لا يتم إلا من خلية حية ، وأقوى برهاناً منه : الروح ، ذلك السر الغامض الذي ظل يتردد على مدى العصور ولم تكتشف العلوم سر هذه الروح .

وقديماً كانت البديهيات والضروريات العقلية تقول : إن العدم لا ينتج حياة ، أو العدم لا يتحول إلى وجود ، ذلك أن العدم ليس شيئاً قط .

كذلك إن وجود الشيء لا يتوقف على نفسه ، وكذلك كون بعض الشيء أكبر من الشئ كله ، وهذه من المستحيلات .

ومن الحتميات أيضاً أن فاقد الشيء لا يعطيه ، ولذلك فرق علماء المسلمين بين واجب الوجود وممكن الوجود ، فواجب الوجود هو الله ، وهو المسبب لكل سبب ، وهو واهب الحياة لكل مادة وكل مخلوق ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص] .

فالروح من الله لقوله عز وجل : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

فهو سبحانه المسبب لها ولكل الأسباب وخالقها : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

وإن ادعاء « لافوازيه » أن المادة لا تفنى ولا توجد من عدم لا يخلو من الخطأ لتعميمه أمر بناء النظريات عليه ، فتجاربه محدودة الزمان والمكان والإدراك ، لأنه لم يشهد الأزل أو الأبد فالمولى تعالى يقول : ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ

خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] .

إن هذا الاتجاه المادي تولد عنه نظريات عديدة أهمها :

١ - نظرية النشوء والارتقاء عند « داروين » : ومن المعلوم أن « داروين » هذا من الملاحدة ذوي الأصول اليهودية . وتتلخص نظريته في أن الكائنات الحية تسير مرتقية من أدنى أنواع الحياة إلى الأعلى فالأعلى ، وأن الإنسان كان قمة تطورها ، وأن انقراض بعض أنواع الحياة نتيجة الصراع من أجل البقاء .

ومع أن الإجابة سهلة وبسيطة ، فلو كان شأن الحياة هو التطور والارتقاء فلماذا توقفت عند الإنسان واعتبرته قمة التطور ؟

فمنذ فجر التاريخ المكتوب وحتى اليوم ما زال الإنسان هو الإنسان من الناحية البيولوجية ، فلماذا توقف التطور ؟

ولو كانت هذه النظرية صحيحة ، فلماذا يعج الكون حالياً بالكائنات الضعيفة ذات الخلية الواحدة التى هي أدنى أنواع الحياة ؟ لماذا لم تنقرض ؟

بل إن الباحثين المعاصرين ورد على ألسنتهم أن الانتخاب الطبيعي « داروين » لا حول له ولا قوة في إحداث صورة جديدة من النباتات الحية ، وأثبت هؤلاء أن نظرية التطور كلها خاطئة .

وكما سبق أن ذكرنا نظرية « باستور » نذكر هنا أيضاً « أغاسيز » وكلاهما من العلماء المؤمنين بأن الحياة المحدثة لا تتولد إلا عن حياة سابقة ، وأنه لا بد من مبدع لهذه الحياة .

http://kotob.has.it

ومنهم العالم « ريدى » و « اسبالنزي » فأغلب البيولوجيين لم يعودوا يلقون بالاً كبيراً لهذه النظرية .

وكان يكفي العقلاء أن الناقص بين جزئي المادة لا ينتج الكامل ، بل وانضم إلى علماء البيولوجيا علماء الطبيعة ، حيث يقول « روث مور » : إن الشواهد العلمية تشير بلا مهرب إلى حقيقة واحدة هى : أن الإنسان لم يظهر في الوقت أو بالطريقة التى يقول بها « داروين » .

وعلماء التطور المحدثون وعلماء الفيزياء والجيولوجيا أظهروا منذ عام ١٩٥٠ م أن العالم أقدم ، وأن الإنسان أصغر سنًّا بكثير عما حدد تقديره من قبل .

ولقد أثبت مجموعة من الباحثين الأمريكيين في علم الجينات وعلم الوراثة أن الجينات الثابتة في كل النوع البشري يمكن تقفيها في امرأة واحدة سماها فريق البحث بـ « حواء » وإليها تعود الجينات الثابتة عند كل البشر والتي تبلغ نحو خمسة آلاف جين .

وقد نشرت مجلة « نيوزويك » هذا الأمر ، بل حتى الاتحاد السوفيتى الملحد سابقاً نشر العلماء فيه عام ١٩٦٩ م في تقرير قدم إلى القيادة هناك أن ليس للعلوم قدرة على إثبات أن الحياة نتيجة تفاعل كيميائي ، وليس في مستطاع الوسائل العلمية إيجاد الحياة إلا عن طريق الخلايا التي لا نستطيع أن نوجدها من المادة غير الحية ، وكذلك النبات .

ونعود مرة أخرى إلى قول اللّه تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُـم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

http://kotob.has.it

فكما كان السؤال موجهاً في الأصل من اليهود إلى الرسول وعلى لسان عقبة بن أبي معيط على سبيل إحراج المصطفى ﷺ ، ثم نزل الجواب من المولى تعالى ، نجد أن اليهود يعبثون مرة أخرى في التاريخ المعاصر حول هذا الأمر ، وأعجب لمسلم ينقاد وراء هذا العبث اليهودي باسم العلم .

أما « دور كهايم » اليهودي الذي تخصص في علم الاجتماع والذي أشـار إلى أن دراسة الدين كظاهرة يجب أن تدرس قبل العناصر الغريبة عنها ، وقال : إن الأمم البدائيـة تعتقد أنها تسلسلت من آلهتها كالحيـوان أو النبات ، أو الجماد ، أو ما يسمى بالنظام الطوطمي ، والقصد من ذلك كله أن الأصل هو تعدد الآلهة وليس التوحيد ، ويضرب لذلك مثلاً بقبائل أستراليا البدائية .

ومن المعلوم أن نظرية « دور كهايم » لا تقوم على أساس علمي ، فالإنكار ليس دليلاً ، بالإضافة إلى إغفاله للفطرة الإنسانية ومشاعر الإنسان حول الإلهية في مختلف الأمم والعصور ، وإن محاولته للفّ والدوران حول ظاهرة التدين في الناس وأنها بدأت بالفعل الجمعي حين يعطل الأفراد عقولهم اتكالاً على المسؤولية الجماعية فيسير الجميع بلا إرادة ، فينشأ عند ذلك إيمانهم بالإلهية .

ويفسر بها عبادة الأصنام ونسبة العجائب إلى الآلهية التي تعينهم في حروبهم ، ويقدسون فيه الأجداد .

ولكن « روبرت شميث » وهو أحد الباحثين الذين أجروا دراسات دقيقة في أستراليا أشار إلى أن أقدم قبائل أستراليا لا يعرفون نظام

http://kotob.has.it

الألقاب الحيواني « الطوطمي » ، بل وتوجد لديهم عقيدة « الإله الأعلى » بالرغم من بدائيتهم .

لم ينفرد « شميث » بهذا ، بل إن « لانج دفريزر » أشار إلى أن الألوهية تكونت لدى تلك القبائل بعيداً عن النظام الطوطمي الأسري .

هكذا نجد أن الفكر اليهودي الحديث ما زال يسير في مخطط تدمير عقائد الناس وترسيخ الاتجاه المادي .

وأعجب للسيد القمني الذي يناصب اليهود العداء الظاهرى بشدة في كتبه كيف ينقاد إلى تلك النظريات ومن ثم لليهود المعاصرين !!

٢ - مدرسة التحليل الجنسي ومؤسسها « فرويد » وهو من أبوين يهوديين .

والتحليل النفسي لديه يرتكز على الإلحاد وإنكار الغيبيات ، واعتبار الإنسان ظاهرة مادية فقط .

ويرتكز أيضاً على الإباحية الجنسية ويدعو إلى ممارستها بحرية تامة . ويزعم أن سلوك الإنسان يرجع إلى دافع وحيد هو الدافع الجنسي ، وتتشكل ظواهره بأشكال كثيرة في سلوكه ، ويدعو إلى إطلاق هذا الدافع ، ويدعي أن كبت هذا الدافع سببه الأمراض النفسية ، ويتهم الأديان والأخلاق والتقاليد بالكبت .

ثم اخترع نظرية غيرة الأبناء الذكور من أبيهم فقتلوه ليستمتعوا بأمهم ، وكانت تلك أولى الجرائم في السلالة الإنسانية ، ثم شعروا بالنوم فقدسوه وعبدوه ، ثم وجدوا أن الاستئثار بالأم لا يكون لأحد منهم دون اقتتال فحرموا الأم وكان هذا أول تحريم ، ومن هنا نشأ الكبت والتحريم .

http://kotob.has.it

ونعجب لهذا القصص الذي صدقه الكثير من الماديين ، هل أبناء ذلك الرجل لم يكن فيهم إناث إلا أمهم ؟

وبتطور علم التحليلات النفسية ثبت أن نظرية « فرويد » نظرية بدائية ومتخلفة ، ويكفي هنا قول « روبرت » : ولو بحثت عن رأيي الشخصي في سيكولوجية « فرويد » لكان علي أن أقول :

« إنني لا أؤمن أن يكون مذهبه صحيحاً بأي معنى مطلق بعد أن يوضع في مصاف النظريات العلمية الكبرى » .

ومن الباحثين الذين ناهضوا هذه النظرية : « وليم ماكدوجل » الذي انتقد تحديدهم لدوافع السلوك بدافع واحد أو دافعين ، وأشار إلى أكثر من عشر غرائز تلازم الإنسان .

ولا يخفى على الباحثين أن « فرويد » هو الصديق الحميم لـ « هرتزل » مؤسس الصهيونية الحديثة ويكتفي بهذا إيضاحاً .

نقل « جونس » مؤرخ « فرويد » عنه أنه قال : إنه يهودي وليس نمساوياً أو ألمانياً ونسب إلى « فرويد » العبارة الآتية :

« إذا لم تنشئ طفلك على أنه يهودي فسوف تحرمه من مصدر طاقة لا يمكن أن يعوض بشيء آخر » .

وهنا التناقض : فكيف ينكر الأديان ثم يتشبث بالدين اليهودي ؟ فكأن نظريته موجهة لغير اليهود ، أما أبناؤه فيصر على تمسكهم بالدين اليهودي ، وهذا ديدن اليهود في كل العصور .

٣ - أما «كارل ماركس » فهو يهودي ألماني اعتنق والده المسيحية ومن أساتذته الكبار ، «موسى هيس» وهو رائد من رواد الصهيونية ، ولابد

http://kotob.has.it

من الإشارة إلى أن « موسى » هذا دافع عن « ماركس » بأن التراث اليهودي موجود في صلب مذهبه .

ويقوم مذهب « ماركس » على إنكار وجود الله ، واعتبار المادة أزلية أبدية ، وهي كل شيء في الوجود ، وقد اقتبس الجدلية المادية من الفيلسوف « هيجل » بعد أن حذف منها ، أن سنة الخالق في الخلق تجري وفق النظام الجدلي الذى تصوره .

وزعم « ماركس » أن الإنسان هو الذى اخترع من عنده فكرة الرب الخالق ، ثم فسر التاريخ بناء على ذلك بأن التاريخ الإنسانى خاضع لنظام المادية الجدلية ، وبالتناقض اعتماداً على أن كل شيء يحوي نقيضين ، وينتج من التناقض شيء ثالث مطبقاً ذلك على الطبقات والصراع الطبقي وأخضع كل شيء للفكر المادي .

وهكذا نجد أن الأفكار المادية بشعبها العديدة التى حاولنا شرحها باختصار هي أساس عقائد الماديين الذين يحاولون أن يفسروا بها التاريخ .

وما دام صاحبنا قد اعترف لأستاذه بأنه مادي فلابد أن هذه الخلفية سترافق نظرته في البحث في كل المواضع . فلا غيبيات ولا ألوهية ولا قدر ، وإنما هو صراع طبقات ودوافع جنسية ودوافع مادية ، ونشوء وارتقاء ، وما إلى ذلك مما سيقرؤه القارئ في نقدنا وملاحظاتنا عند تناول كتبه .

ومن أراد الاستزادة عن المادية ونظرياتها ودعاتها فعليه أن يرجع إلى كتاب : «كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة» للشيخ « عبد الرحمن حبنكة الميداني » .

http://kotob.has.it

مدخل (٣) :

لقد وَلِهَ « سيد القمني » بكتابات المستشرقين والعلماء الغربيين ، ولعله نوع من العقد النفسية التى تلازم المنبهرين بحضارة الغرب ، وكأن مصدر الانبهار هو تطور علومهم التاريخية أو الدينية أو اللغوية ، وليس العلوم الطبيعية والتكنولوجيا .

فأخذ بآراء علماء تشابهت عليهم الأمور لأسباب عديدة منها : عدم رسوخ علوم اللغات القديمة ، حيث نجد أن الترجمة تختلف من شخص لآخر كتابة ولفظاً .

ثم إن علم الحفريات لم ينته بعد ، وما تزال فيه فجوات كبيرة ، فمن الخطأ الجزم به لا سيما إذا كان الأمر على قدر كبير من الخطورة وهو ادعاء أن تعدد الآلهة هو الأصل .

إن الرسالات السماوية تؤكد أن الأصل هو التوحيد ، وعندما يحدث الانحراف يبعث اللّه رسولاً ليصحح ما فسد من عقائد الناس .

وإن المطـلع على كِتَابَىْ : « مفهـوم الألوهيـة في الذهـن العربى القـديم » و « تاريخ اللّه » للكاتب « جورجي كنعان » يكتشف الكثير من الأخطاء والمغالطات التي وردت في ثنايا دراسات الغربيين ، وهى التى اعتمد عليها « سيد القمني » في صدامه مع القرآن وعقيدة التوحيد .

ولكن لا غرو فـ « كل فرنجي برنجي » !

وسيكتشف القارئ مما سننقله من الكتابين المذكورين آنفاً ما يوضح كثيراً من الالتباسات والأساطير التي لم يقم « القمني » حيالها إلا بإضافة أسطورة جديدة إلى تلك الأساطير مرتكزاً على المفاهيم المادية التي يعتنقها كما صرح أستاذه .

http://kotob.has.it

ففي كتاب « مفهوم الألوهية » علل الكاتب « جورجي كنعان » ظاهرة تعدد الآلهة لدى المؤرخين الغربيين بالنظرة الوضعية التاريخية للديانات حيث قال : [ص ٣١٤ - ٣١٦] .

« المهم أن المؤرخين الغربيين نظروا إلى معتقدات الشعوب القديمة في سوريا الطبيعية نظرتهم إلى ديانات وضعية تاريخية . ومن هذا المنطلق تراهم في دراساتهم لتلك المعتقدات يتحدثون عن « إله » و « آلهة » أعداداً ومجموعات ، أخوة وأبناء ، مراتب ووظائف .. وكأن هناك ديانات موضوعة حدد فيها واضع كل منها اسم الإله ومرتبته ووظيفته وقرابته من الآلهة الآخرين . وترى الواحد منهم يفصل ويركب في أسماء وأعداد ووظائف ومراتب الآلهة . والأمثلة على ذلك كثيرة . سموئيل هنرى هوك يتحدث في كتابه « ديانة البابليين والآشوريين » عن الإله آنو ANU فيرى فيـه « ملكا على الآلهة » KING OT THE GODS ثم يتحدث عن انليل ANLIL فيرى فيه « إلهاً للريح أو العاصفة » WIND OR STOUUGOD ويخصص له « وظيفة بالغة الأهمية » MOST IMPORTANT FUNCTION هي « حفظ ألواح القدر » THE GUARDIANSHIP OF THE TAPLE OF DESTLNY ويجعل إلى جانبه وزيراً هو إله النار نوسكو NUSKU THE Fire- god .

ويزعم هوك أن « أنو » و « انليل » كانا معاديين للبشر . بينما كان الإله « ابا » صديقاً لهم ANU and Enlil , poth ware as hostile Ea was thought of a specially favoraple to men **ومن هؤلاء الثلاثة يصنف هوك مجموعة يضعها في المرتبة الأولى . تليها مجموعة ثانية من ثلاثة آلهة أيضـاً ومن مرتبـة أدنى ، تتألف من « سـن » إله القمـر ، و « شمش » إله الشمس ، و « أدد » إله العاصفة ويجعل من « سن » ابناً لانليل .**

http://kotob.has.it

ثم يتحدث عن عشتار فينعتها بـ « الإلهة العظيمة » great goddess وعن إله وثيق الصلة بعشتار، وكما يقول ، لكن موقعه فى مجمع الآلهة « البانثيون » غير واضح ، أو قل يكتنفه الغموض ، هو دموزي السوميري أو تموز البابلي . ويذكر له صديقاً هو الإله ننجزيدا الذي يعتبره هوك « من الآلهة الأدنى مرتبة في العالم الأسفل » .

وبعد أن يتحدث عن آلهة العالم الأسفل ، يلتفت إلى أشور ، فيذكر الصعوبة التي يواجهها المؤرخ أو الباحث في رد الاسم إلى مصدر أو صيغة وفي اعترافه بعجزه يقول : « إن من المستحيل أن نعرف يقيناً من أين جاءت التسمية » .

ثم يلتفت هوك إلى مجموعة أخرى من « الآلهة القديمة » باعتباره Amcient gods فيذكر الإلهة تعامت والإله كنجو والإله أبسو ، ثم يشير إلى الإله نبو والإله مادوك .. وإلى آخر ما هنالك من آلهة هي من ابتكاره وتصنيفه .

والطريف في هذا التقسيم والتصنيف هو ما يزعمه هوك من عدد ضخم للآلهة .

يقول : « إن الخاصة المدهشة في ديانة ما بين النهرين هي العدد الضخم من الآلهة » .

ويستشهد هوك بكتاب تلكفيست الذي شغلت قائمة الآلهة الأكادية فيه ما يزيد على ٢٤٠ صفحة .

والأكثر طرافة من ذلك أنه لا يذكر « ايل » بين هذه الأعداد الهائلة من الآلهة في بابل وآشور .

http://kotob.has.it

وفي حديثه عن « أصل الكون » في مؤلفه الثاني « ميثولوجيا الشرق الأوسط » يقول : « إن السماء المشخصة بالإله « إن » والأرض المجسدة بالإله « كي» اتحدتا ، ومن اتحادهما ولد إله الهواء « انليل » .

وباختصار إن ما كتبه هوك يدخل في باب التأليف ، لا في باب التأريخ - تاريخ معتقدات المجتمعات القديمة في سوريا الطبيعية - فهو يختلق الآلهة ويضع لها الأسماء ويحدد لها الوظائف والمراتب ، ويعين لها الأزمنة التي تلعب فيها دورها في الكون والحياة فليس في مفهوم القدماء ، كما رأينا في مائة عام من هذا البحث ، اسم « إِله » ، أو جمع « آلهة » أو مرتبة « ملك الآلهة » ، أو صفة « الآلهة العظيمة » ، أو وظيفة كما فعل هوك حين خص « انليل » بالريح والعاصفة ، وأوكل إليه حفظ ألواح القدر ، وجعل إلى جانبه « وزيراً » هو إله النار نوسكو ، بالإضافة إلى حاشية من الآلهة الأقل شأناً أو مرتبة والتي تخدم كحراس وطباخين ورعاة ومراسلين .

ولا نجد في مفهوم القدماء ما يزعمه هوك من « آلهة قديمة » وأخرى « حديثة » . ولا إلهاً « معادياً » وآخر « صديقاً » ولا تفاوتاً في درجات الآلهة أو مراتبها ، ولا نجد في مفهومهم ما يزعمه هوك أيضاً من اتحاد « زواج » انو وانتو وولادة آلهة العالم السفلي والشياطين السبعة من هذا الاتحاد . أو اتحاد السماء المشخصة بالإله « ان » والأرض المجسدة بالإله « كي » وولادة إله الهواء « انليل » من هذا الاتحاد .

وباختصار شديد : لا نجد في مفهوم القدماء شيئاً مما ألفه « هوك » وجعله تاريخاً لـ « ديانات » .

ويرى « جورجي كنعان » أيضاً أن مرد ذلك التعدد الكثير للآلهة نابع من النعوت والأوصاف التى أطلقت على الإله حيث يقول [ص ٣١٧] :

http://kotob.has.it

وليس في مفهومهم أيضا أي شيء مما يزعمه رولنسون للآلهة من نعوت ومراتب .

والباحث لا يقف في النصوص والنقوش المكتشفة على أي ذكر للنعوت التي نسبها إلى انو ، من مثل « الرئيس الأصلي » و « ملك العالم الأسفل » و « رب الأرواح والشياطين » و « أبو الآلهة » وإلى البعل من مثل « إله الآلهة » و « أبو الآلهة » و « الخالق » و « الأمير القوى » و « أمير الآلهة » و « رب العالم » و « ملك الأرواح كلها » و « رب البلدان جميعها » وإلى هيا من مثل « الملك » و « المخترع العظيم » و « مقرر الأقدار » و « ملك الأنهار » و « رب الينابيع » و « رب الحصاد » وإلى آشور من مثل « رب العظيم » و « ملك الآلهة جميعها » و « أبو الآلهة » وإلى ماردوك من مثل « العظيم » و « الرب العظيم » و « الأمير » و « أمير الآلهة » و « الإله الجليل » و « القاضي » و « الابن القديم للسماء » و « رب الأبدية » و « رب المعارك » و « ملك السماء والأرض » و « رب الأشياء كلها » و« رئيس الآلهة » و « إله الآلهة » . وإلى الرجال من مثل « الرجل العظيم » و « البطل القدير » و « ملك المعارك » و « نصير الآلهة » و « المدمر » و « الأخ العظيم » و « إله الصيد » وإلى عشتار من مثل « إلهة الحروب والمعارك » و « ملكة النصر » و « السعيدة » و « الإلاهة العظيمة » و « سيدة السماء والأرض » و « ملكة الآلهة والآلهات جميعهم » وإلى نابو من مثل : « وزيرالآلهة » و « إله الآلهة » و « المساند » و « النصير » و « الحاضر أبداً » و « رب النجوم » و « حارس السماء والأرض » و « الرئيس الأعلى » .

ويصل الكاتب في نهاية كتابه إلى حصر الأسباب التى أدت بالمؤرخين الغربيين للوقوع في التباس تعدد الآلهة فيقول [ص ٣٢٣] :

« ولعلنا نستطيع رد أغلاط المؤرخين الغربيين - تعدد الآلهة ، والأسماء والمراتب والوظائف المنسوبة لها - إلى أسباب كثيرة ، لعل أهمها أنهم ،

http://kotob.has.it

خاصة في المراحل الأولى من الجمع والتصنيف والتأليف ، اعتبروا الصفة التي أطلقتها المجتمعات القديمة في سوريا الطبيعية على القوة والسلطة المطلقتين اللتين توحي بهما السماء اعتبروها اسماً ، وبما أن هذه الصفة وصلت إلينا بصيغ متعددة تبعاً لتعدد المجتمعات واختلاف البيئات والألسنة ، فإن الصيغ المتعددة للصفة الواحدة صارت على أقلام المؤرخين أسماء آلهة .

فقد رأينا فيما تقدم من هذا البحث أن السومريين في حوض النهرين الأسفل أطلقوا على القوة العالية صفة « ان » – « السيد » . وأطلق الأكاديون في البادية السورية صفة « العالي » وكان للبابليين صفة انليل « السيد العالى » ، وللأموريين في سوريا الوسطى صفة مارديخ أو ماردوخ « السيد العظيم » وللآشوريين في الحزون الشمالية من بلاد النهرين صفة أشور « السيد » ، وكان لمجموعات بشرية أخرى في مناطق متفرقة من سوريا الطبيعية صفة « نرجال » « النور العظيم » أو « البعل » « السيد » أو « أدون » « السيد » « اشمون » « السماء » أو « بعل شميم » « سيد السماء » أو هدد أو ملك أو صدق « العادل » أو « عطرسم » « مجد السماء » .

أما المؤرخون الغربيون فقد اعتبروا هذه الصفات للموصوف الواحد أسماء آلهة ، فقالوا : الإله ان والإله ايل والإله ماردوك والإله آشور والإله بعل والإله نرجال والإله آدون وإلى آخر ما هنالك من صفات .

ثم إن ما ورد في النصوص التى وصلتنا من صفات أقوى طبيعية ، كان لها بمفهوم القدماء دور في عملية التكوين والخليقة ، أو في تنظيم الأصول ، أصول الأشياء ، والعناية بها ، اعتبرها المؤرخون الغربيون آلهة أيضاً . خذ مثلاً ما فعله « سموئيل لا نغدن » في ترجمته لنصوص ملحمة الخلق البابلية . فهو يضع إلى جانب كل قوة طبيعية ، أسند إليها القدماء دوراً في عملية الخلق ، يضع صيغة ايلو أو ايلات ، دلالة باعتباره على أن القوة المعنية هي إله أو إلهة .

http://kotob.has.it

ومن الواضح أن هذا الطرح الخطأ أدى بالمؤرخين إلى مزيد من البلبلة الفكرية والغرابة في الطرح والمنهجية . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها جان بوتيرو الذي يقول : « إننا نجد كلمة ايلو وتعني اللّه ، تذكر قبل ذكر اسم كل شخصية إلهية » لقد غاب عن ذهن بوتيرو أن صيغة ايلو أو ايلات ليست في النص الأصلي « النصوص المدونة في الألواح الطينية المكتشفة » ، وإنما هي من وضع المؤرخ لا نغدن أو سواه من المؤرخين ، وما يقول عنه بوتيرو « شخصية إلهية » إن هو إلا قوى طبيعية أو قوى خصب وحياة ، أسند إليها القدماء أدواراً معينة فيما صاغوه من قصص تكوين وخليقة ، وأصول .

ويلحق بهذا الجانب من تقصيراتهم نعتهم قوى الطبيعة وفواعل الوجود مشخصة بلقب إله ، بالإضافة إلى ما ينسبونه من وظائف ومراتب إلى الآلهة المزعومة .

وأما في كتابه « تاريخ اللّه » فقد عرض الكاتب مجموعة من الأسباب التى أدت إلى خلط المؤرخين الغربيين في موضوع تعدد الآلهة .

فمن هذه الأسباب : قصر فهمهم عن إدراك الأسماء المركبة ، وخلطهم بين أسماء الإله والملاك ، وعدم فهمهم لأسرار اللغة وروح نصوصها ، يقول [ص ٣٣٨ - ٣٣٩] : [redacted]

> « والتقصير في فهم الأسماء المركبة قاد بعض المؤرخين إلى إعطاء الاسم الواحد أكثر من تفسير . خذ مثلاً جبسون الذي يعطي الاسم « عزر بعل » ثلاثة تفسيرات : Balls helper Balis Balhas helped والحقيقة أن مدلول الاسم هو Balhelps « البعل يساعد » .

أما جيمس مونتغمري فقد أعطى للإله اسماً وكذلك للملاك . وخلط بين الأسماء الشخصية وبين ما زعمه للإله وللملاك . فهو مثلاً يرى أن اسم

http://kotob.has.it

« اجزري ايل » يعني إلهاً او ملاكاً : Ajzenel dsity or angel ويرى أن أسماء : حنى ايل ، أوري ايل ، دان ايل ، حمي ايل ، نورايل ، عزرايل ، فني ايل ، صورايل ، ورحم ايل هي أسماء ملائكة .

يضاف إلى ذلك أن ما عرضناه من الأغلاط التي يوردها مؤلف واحد ، وليس الوحيد ، هي مثال عن المؤرخين الغربيين الذين يستعصي عليهم فهم أسرار لغتنا وروح نصوصنا ، ولذلك فهم بتحليلهم تراث الشرق الأوسط يشوهون الحقيقة والتاريخ ، ثم إن ما يطرحونه في أبحاثهم من تحليل وتقويم لبعض الموضوعات القديمة - مفهوم الألوهية مثلاً والصيغ التي عبر بها القدماء عن هذا المفهوم - يفتقر إلى الأسس الصحيحة ، ولا يلتزم المعرفة العلمية ، وأدهى ما في هذا الطرح من الأسلوب القائم على الجزم ، هذا الجزم الذي يشكل عاراً على العقل والمعرفة .

ولعل من الأسباب أيضاً وقوع الخلط لدى المؤرخين الغربيين بين الصفة والموصوف ، والخلط بين المضاف والمضاف إليه .

وقد عبر الكاتب « جورجي كنعان » عن أسفه لانسياق المؤرخين العرب وراء المؤرخين الغربيين في أخطائهم لأنهم اقتبسوا عنهم دون إعمال الفكر والتمحيص ، يقول [ص ٣٤٤] :

> والمعروف أن الكتاب الغربيين خلطوا في أحيان كثيرة بين الصفة التى على « السيد » « العالي » وبين الاسم الذى تدخل هذه الصفة في تركيبه ، وكثيراً ما اعتبروا الأسماء المضافة إلى الصفة « ايل » أسماء آلهة . ووقع المؤرخون العرب في هذا الغلط عن طريق اقتباسهم أو نقلهم عن المؤرخين الغربيين . والمؤسف أن يسري هذا الحكم على واحد من مفكرين قلائل ،

http://kotob.has.it

تناولوا في مؤلفاتهم جوانب من تراثنا ، يستطيع الباحث - بل القارئ العادي فهو بشكل عام لا يفرق بين الغث وبين السمين ، أو بين الصحيح وبين الغلط - أن يكن لهم الاحترام والتقدير . يقول الدكتور يوسف الحوراني : « أما الأسماء التى رافقتها صفة « ال » فقد بلغت الآلاف ، بحيث وجد في مكتبة أشور بنى بعل الشهيرة قائمة تضم أكثر من ألفين وخمسمائة اسم إله ، بابلي الأصل كما جمع ديمل ثلاثة آلاف وثلاثمائة اسم بلقب إله وعدد تلكفيست ألفين وأربعمائه منها » ويضيف الدكتور حوارني : « ونستنتج من مثل هذا العدد الواسع للكلمات التي دخلتها بادئة « ال » ، أن هذه البادئة ، مع مدلولها الذهني ، كانت واسعة السلطة في يوميات الناس وعلاقات تعاملهم وفق الذهنية اللاهوتية المبدئية ، وهذا يعني أن الإشارة التصنيفية هذه كانت أكثر الإشارات التصنيفية استعمالاً في الكتابة .

وبعد هذا الاستعراض السريع لمفكر ذو ثقافة عريقة في اللغات القديمة ، هل يجوز للقمني أن يجزم أن تعدد الآلهة هو الأصل .

لا شك أنها نظرية واهية اقتبست من الغرب لغاية ظاهرة إلا وهى تدمير عقائد المسلمين ومقدساتهم بدعوى الحرية الفكرية .

إن نزاهة الأبحاث العلمية التى نفهمها هي : « ١ + ٢ = ٣ » وليس في النظريات اللغوية والإنسانية والأفكار الاستشراقية بدعوى العلمية والمناهج العلمية .

❑ ❑ ❑

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

قراءة لفكر « سيد القمني » في كتابه
« قصة الخلق »

لقد انتقد « القمني » في هذا الكتاب قصة الخلق الواردة في التوراة وتحريفاتها ، وكان يكفيه ما أثبته القرآن عن تحريفات اليهود حيث قال الله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء : ٤٦] .

﴿ ... وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] .

إلا أن الخطورة تكمن في نسبة قصة الخلق الحقيقية إلى الحفريات السومرية فوقع فيما انتقده ، إذ أعاد كتابة قصة الخلق من الأساطير فلم يخرج إلا بأسطورة جديدة .

والذي يدعونا إلى هذا القول : أن علم الحفريات علم غير تام ، وما زالت هناك فجوات كبيرة فيه لم تغط زمناً طويلاً .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر : إذا كانت كتابة التاريخ لم تنشأ على أحسن الفروض إلا قبل سبعة آلاف عام ، فما حال التواريخ السابقة لذلك ؟

وهل يجوز الاعتماد على هذه التواريخ القريبة لكتابة قصة الخلق ؟

يضاف إلى ذلك أن علم ترجمة اللغات القديمة أيضاً ما زال يكتنفه الكثير من الغموض ، إذ قد نجد أكثر من ترجمة لنص واحد والتعارض قائم بينها « كما ورد في كلام « جورجي كنعان » أحد المهتمين بهذه العلوم القديمة[1] .

(١) راجع ص [٦١] .

http://kotob.has.it

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن الباحث الغربي - المستشرق ذاته - يناقض نفسه في أكثر من موضع سواء من حيث الترجمة أو من حيث كتابة الأسماء .

فإن علما كهذا لا يصلح أبداً لأن نبني عليه حقيقة علمية ، وإن ادعى « القمني » الصرامة العلمية .

١

لقد ضمَن القمني مقدمته لكتابه « قصة الخلق » الكثير من الطامات التي سيذهل لها القارئ فهو يقول فيها [ص : ٧] :

« فعندما كان المجتمع في الابتداء مشاعاً كان أرباب السماء في متعة الشيوع تمرح .. » . [قصة الخلق] .

فهو يعتبر الأمر مسلماً به حول الأرباب التي تمرح في السماء ، وغفل عن قول الله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

فهل يجوز لهذا الكاتب أن يستمرئ الخيال الروائي لهذه الدرجة ؟!

ومن متابعة بقية النص نجد أنه يجعل نظرية الألوهية مرتبطة بالتطورات الحادثة على الأرض ، إذ يقول :

« وعندما تحول المجتمع الأرضي إلى مشتركات ترأسها مجامع ديمقراطية بدائية أصبح للآلهة ذات المجامع ، لكن لتقرر للبشر على الأرض المصائر ، وعندما تم تقسيم العمل على الأرض تحول مجتمع السماء إلى آلهة شغيلة ، وآلهة للتفكير والتدبير » . [قصة الخلق ص : ٧] .

وعندما تمكن الإنسان من الابتكار وصنع الجديد .. تمكنت آلهة السماء من الخلق والتكوين » .

http://kotob.has.it

ونعود لنذكر بمداخلة الدكتور « حنفي » في أتيليه القاهرة حيث قال :

إن القمني يدع القارئ ليستنتج بنفسه ولا يوصله إلى نتيجة .

فكأنه يشير هنا إلى قصة التحليل المادي في خرافة الإله والأديان .

والأشد من ذلك قوله بعد ذلك :

« وعندما تمركزت السلطة على الأرض في يد ملك على رأس دولة مركزية ، وأصبحت كلمة الملك نافذة لا تقبل الإرجاء ، قيل إنه في البدء كانت الكلمة رغم أنه في البدء كان المشاع ، والفعل بلا كلام ، فلم يكن ثمة لغة بعد .

وما كتابنا هذا إلا شرحاً لذاك . وما كشوفنا فيه إلا ناتج قراءة غير مقلوبة لأوضاع مقلوبة ، ورؤية غير معتادة لرؤى معتادة ، وربط للأرض بالسماء ، وتسجيل لأمر الإنسان القدسي ووحيه الصاعد على معراج حركة المجتمع البشري » . [قصة الخلق ص : ٧] .

إن هذه العبارة التي تجعل وحي الإنسان صاعداً وأثر الإنسان مقدساً هي قلب لمفهوم الأديان السماوية فوحي السماء هو النازل إلى الأرض ، والمقدس هو الله تعالى وما قدسه الله من ملائكة وكتب ورسل .

لقد نشأ الخلط في ذهنه من عدم وجود لغة حسب نظرية الغربيين عند الإنسان البدائي الذي كان قرداً أو خلية بدائية . فكيف كانت الكلمة ؟ وكيف كانت «كن» ؟

فهو يقول : « ولم تكن ثم لغة بعد » . لو افترضنا جدلاً أن اللغة متواضع عليها ، فهل عدم معرفة الإنسان باللغة تعني أن الله لم يكن يحيط باللغات ؟ وهل جهل الإنسان ينسحب على الله ؟ مع أن المولى عز وجل قال : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] .

http://kotob.has.it

فإن كانوا يعتقدون بعدم وجود لغة لدى آدم عليه السلام ، فالقرآن يثبت أن الله منذ أن خلقه علّمه .

واللغات متوارثة وإن قال بعض فقهاء العربية أن الأساس فيها توقيفي ، ولكنها مع تطورها أصبحت اصطلاحية متواضعاً عليها .

٢

ويحاول الكاتب أن يبحث عن أصل كلمة «كن» وما تتمتع به من قدرة سحرية فيقول [ص : ٧٥ ، ٧٧] : ☚

« وبذلك تركت الفكرة السامية عن الكلمة الملكية الفاعلة بذاتها أثراً في عموم فروع اللغة السامية وأصبح الأمر «كن» من الفعل يكون أي يوجد ، و « يكوّن » أي يخلق ، والعالم الموجود بكليته إنما هو أحد اشتقاقات الكلمة فهو « الكون » .

فامتلك الأمر «كن» قدرة سحرية لغوية تؤدي بمجرد نطقها من قبل شخص مؤهل لها « ملك ، إله ، ساحر ، كاهن » إلى الكينونة ، أي الوجود الواقعي المتحقق كياناً عيانياً ...

لكن يبدو في مختلف نصوص الديانات السامية أن الأمر «كن» كان مجرد إمكان غير متحقق « حتى الآن » أو هو استعداد إلهي موقوف لإثبات القدرة المطلقة فقط ، فهو استعداد بالقوة لم ينتقل إلى الفعل ، وربما ينتقل من القوة إلى الفعل حين يشاء ، لكنه لم يعد الآن مجدياً ، بعد أن وجد الكون فعلاً بالطريقة اليدوية التصنيعية » . [قصة الخلق] .

وهذا تدليس على القارئ ، ولكي يحتال على القارئ وضع بين قوسين « ملك - إله - ساحر - كاهن » .

http://kotob.has.it

فوالله لا الملك ولا الساحر ولا الكاهن يملك هذه القوة وإنما هي لله سبحانه وتعالى كما وردت بنص القرآن الكريم : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] . ومن كفر بآية من القرآن كفر بكل القرآن فنحن نحذره من هذه المزالق .

٣

ويقـع الكاتب في مغالطـة تاريخيـة حـول هجـرة الآراميـين فيقـول [ص : ١٣] :

« ويزعم المؤرخون أنه قد تلت هذه الموجة الأولى من الهجرات – في وقت متأخر نسبياً – موجة أخرى كبرى حوالي منتصف الألف الثانية قبل الميلاد هي هجرة الآراميين الذين استقروا أول أمرهم في بادية الشام ثم أخذوا بمنافسة بنى جلدتهم الساميين على أراضي الخصب ويرجح أنهم تكونوا من عدة بطون من أصل واحد .
ويزعم بعض المؤرخين أن منهم كان الشعب العبري الذي ظهر على صـفحة التاريخ حوالي بداية القرن الثالث من الألف الثانيـة قبل الميلاد » . [قصة الخلق] .

فهو يذكر أولاً أن هجرة الآراميين كانت حوالي منتصف الألف الثانية قبل الميلاد إلى بلاد الشام ، ثم يعود في نفس الفقرة فيذكر أن الشعب العبري بأصوله الآرامية ، ظهر على صفحة التاريخ في بداية القرن الثالث من الألف الثانية قبل الميلاد ، فأي التاريخين نعتمد ؟ لا سيما أن العبارة من أولها « ويزعم المؤرخون » ثم « يرجح » ثم « ويزعم بعض المؤرخين » فنحن بين

http://kotob.has.it

زعم وزعم وترجيح بلا مرجح ، فهل هذا هو التاريخ ؟ وهل هذه هي القصة التي نريد أن نصلح بها أخطاء التوراة ؟

٤

وخلال حديثه عن الحضارة السومرية يسقط سقطة عجيبة حين يقول [ص : ١٤] : [redacted]

« حتى إن كثيراً من هؤلاء الباحثين قد اعتبروا الحضارة السومرية ذات تأثير مباشر وغير مباشر في ديانات شعوب شرقي المتوسط حتى العصور الهلينية ، بل ويذهب هؤلاء إلى الزعم أن أهم المآثر الدينية السومرية تعد حتى اليوم أهم الأعمدة لأهم المآثر الدينية الحالية في منطقتنا .. » . [قصة الخلق] .

فإن كان يقصد الأديان غير التوحيدية فقد أثبت في كتابيه « رب الزمان - والنبي إبراهيم » أن هناك أصناماً كانت تعبد في اليمن ، والمئات بل الألوف من الأصنام موجودة في مصر ، فما علاقة هؤلاء بالسومريين ؟

أما قوله « حتى اليوم » فهذا أمر غريب ، فلا اليهود ولا النصارى ولا المسلمين لهم مآثر يعتد بها علماء كل من هذه الأديان السائدة في منطقتنا .

فلا أدري من أين جاء بهذا الاستنتاج والنقل !

http://kotob.has.it

ويتكلم عن الطوفان خلال حديثه عن تاريخ السومريين فيقول [ص ١٥] :

« حاول الباحثون باستمرار – وهم للأسف في أغلبهم غربيين – أن يلقوا في روعنا أن أي محاولات لاستطلاع أمر الرافدين قبل السومريين هي محاولات عقيمة لن تصل أبداً إلى يقين ...

فإننا لا نعرف إلا القليل النادر عن هؤلاء السكان لعدم وجود مدونات خطية .

كان أشهرهم ما أطلق عليه اصطلاحاً « عصر العبيد » نسبة إلى المكان الذي عثر فيه على آثارهم .. وانتهى أمرهم بالانقراض مع الفيضان العاتي لدجلة والفرات المعروف في الملاحم الدينية بالطوفان » .

[قصة الخلق] .

وبالرغم من أنه اعتمد في جميع بحوثه وترجماته على الباحثين الغربيين ، وأنهم قالوا : « إن استطلاع أمر الرافديين قبل السومريين عملية صعبة » إلا أنه يستمر في تركيب رواية قصة الخلق الجديدة مدعياً وجود الملاحم الدينية في الكتب السماوية فإن كانت الكتب السماوية تحوي ملاحم فالقرآن ليس فيه ملاحم ، وإنما قصص إلهي مُنزَّل فقد وردت قصة الطوفان في القرآن في أكثر من موضع منها قوله تعالى :

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر] .

http://kotob.has.it

ومع أن جميع الكتب السماوية بل والأساطير والحفريات في أماكن متفرقة من الأرض أشارت إلى الطوفان ، فهل هذه الكتب والتاريخ الإنساني تضافرت على الكذب حتى يسمي الطوفان الذي عم الأرض بأنه فيضان عاتٍ لدجلة والفرات ؟

فهل مياه دجلة والفرات إذا فاضت تغطي الأرض كلها ؟ إن سدًا صغيراً تقيمه تركيا أو غيرها يكاد يوقف جريان الفرات !

٦

ومن شدة اعتداده بـ « كريمر » ينقل عبارته حول نظرية تطور الآلهة أو تطور الأديان وينسب كل ذلك إلى الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام .. حيث يقول [ص : ٢١] :

« طور السومريون خلال الألف الثالث قبل الميلاد أفكاراً دينية ومفاهيم روحية تركت في العالم الحديث أثراً لا يمكن محوه ، خاصة ما وصل منها عن طريق الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام .. » . [قصة الخلق] .

وهو ينقل تلك العبارة عن كتابه « إله الجنس أو الزهرة » ، فيحيلنا من القمني إلى القمني ، وهكذا يصبح كلامه مصدراً من المصادر التي يحيل إليها القارئ بالرغم من خطورة العبارة !

فالرسالات السماوية تقول بالتوحيد ، وإن أساس الدين من لدن آدم وحتى محمد رسول الله ﷺ هو التوحيد . وكلما انحرف الناس عن التوحيد أرسل الله رسولاً ليعيدهم إلى التوحيد وينقي الدين مما علق به من شوائب ، مصداقاً

http://kotob.has.it

لقول الله تعالى : ﴿ ... وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ﴾ [التوبة : ٣١] .

فيأتي القمني ليقلب الآية ويقول : إن الأصل هو التعدد والمشاع .

٧

ويعود في الصفحات أرقام : « ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ » إلى الحديث عن تعدد الآلهة ، وأن هناك آلهة لعناصر السماء والأرض ، فيتكلم عن الإله آن ، وكي ، وجي ، وآنليل ، وآنكي ، ونانا ، إله القمر وأوتو إله الشمس ، وأينانا إلهة كوكب الزهرة .

ويسرد بعد ذلك أقوال المستشرقين المختلفة حول هذه المسميات : الأب القمر والأم الزهرة والابن الشمس ، وسيد الآلهة ، وسيد الريح .. وما إلى ذلك ويكفينا فى هذا المجال أن ننقل من باحث أكثر علمنة منه وهو « جورجي كنعان » .

ففي كتاب « مفهوم الألوهية » علل الكاتب « جورجي كنعان » ظاهرة تعدد الآلهة لدى المؤرخين الغربيين بالنظرة الوضعية التاريخية للديانات حيث قال [ص : ٣١٤ - ٣١٦] :

« المهم أن المؤرخين الغربيين نظروا إلى معتقدات الشعوب القديمة في سوريا الطبيعية نظرتهم إلى ديانات وضعية تاريخية . ومن هذا المنطلق تراهم في دراساتهم لتلك المعتقدات يتحدثون عن « إله » و « آلهة » أعداداً ومجموعات ، أخوة وأبناء ، مراتب ووظائف .. وكأن هناك ديانات موضوعة حدد فيها واضع كل منها اسم الإله ومرتبته ووظيفته وقرابته من

http://kotob.has.it

الآلهة الآخرين . وترى الواحد منهم يفصل ويركب في أسماء وأعداد ووظائف ومراتب الآلهة . والأمثلة على ذلك كثيرة .

وينتقد جورجي كنعان أحد أعمدة الغربيين بقوله :

وباختصار إن ما كتبه « هوك » يدخل في باب التأليف ، لا في باب التاريخ - تاريخ معتقدات المجتمعات القديمة في سوريا الطبيعية - فهو يؤلف الآلهة ويضع لها الأسماء ويحدد لها الوظائف والمراتب ، ويعين لها الأزمنة التي تلعب فيها دورها في الكون والحياة فليس في مفهوم القدماء ، كما رأينا في مائة عام من هذا البحث ، اسم « آله » ، أو جمع « آلهة » أو مرتبة « ملك الآلهة » ، أو صفة « الآلهة العظيمة » ، أو وظيفة كما فعل صاحبنا هوك حين خص « انليل » بالريح والعاصفة ، وأوكل إليه حفظ ألواح القدر ، وجعل إلى جانبه « وزيراً » هو إله النار نوسكو ، بالإضافة إلى حاشية من الآلهة الأقل شأناً أو مرتبة والتي تخدم كحراس وطباخين ورعاة ومراسلين .

ولا نجد في مفهوم القدماء ما يزعمه هوك من « آلهة قديمة » وأخرى « حديثة » . ولا إلهاً « معادياً » وآخر « صديقاً » ولا تفاوتاً في درجات الآلهة أو مراتبها ، ولا نجد في مفهومهم ما يزعمه هوك أيضاً من اتحاد « زواج » انو وانتو وولادة آلهة العالم السفلي والشياطين السبعة من هذا الاتحاد . أو اتحاد السماء المشخصة بالإله « ان » والأرض المجسدة بالإله « كي » وولادة إله الهواء « انليل » من هذا الاتحاد .

وباختصار شديد : لا نجد في مفهوم القدماء شيئاً مما ألفه « هوك » وجعله تاريخاً لـ « ديانات » .

ويصل الكاتب في نهاية كتابه إلى حصر الأسباب التى أدت بالمؤرخين الغربيين للوقوع في التباس تعدد الآلهة فيقول [ص ٣٢٣] :

« ولعلنا نستطيع رد أغلاط المؤرخين الغربيين «تعدد الآلهة ، والأسماء والمراتب والوظائف المنسوبة لها » إلى أسباب كثيرة ، لعل أهمها أنهم ،

خاصة في المراحل الأولى من الجمع والتصنيف والتأليف ، اعتبروا الصفة التي أطلقتها المجتمعات القديمة في سوريا الطبيعية على القوة والسلطة المطلقتين اللتين توحي بهما السماء اعتبروها اسماً ، وبما أن هذه الصفة وصلت إلينا بصيغ متعددة تبعاً لتعدد المجتمعات واختلاف البيئات والألسنة ، فإن الصيغ المتعددة للصفة الواحدة صارت على أقلام المؤرخين أسماء آلهة . فقد رأينا في ما تقدم من هذا البحث أن السومريين في حوض النهرين الأسفل أطلقوا على القوة العالية صفة « ان » - « السيد » . وأطلق الأكاديون في البادية السورية صفة « العالي » وكان للبابليين صفة انليل « السيد العالى » ، وللأموريين في سوريا الوسطى صفة مارديخ أو ماردوخ « السيد العظيم » وللآشوريين في الحزون الشمالية من بلاد النهرين صفة أشور « السيد » ، وكان لمجموعات بشرية أخرى في مناطق متفرقة من سوريا الطبيعية صفة « نرجال » « النور العظيم » أو « البعل » « السيد » أو « أدون » « السيد » « اشمون » « السماء » أو « بعل شميم » « سيد السماء » أو هدد أو ملك أو صدق « العادل » أو « عطرسم » « مجد السماء » .

وهكذا نجد أن ما اعتبره أموراً مسلماً بها يرفضها باحثون أكثر علمنة منه ، مما يؤيد رأينا بأن « قصة الخلق » التي كتبها «القمني» لا تزيد عن رواية خيالية لا سند لها من العلم .

فإذا اختلف المؤرخون دخل الشك في كل استنتاجاتهم ، فهل نترك القرآن الذى هو كلام اللّه من أجل بحوث روائية لا تستند إلى دليل أو شبهة دليل بل عماد أمرها الخيال السقيم ؟

٨

وينقل لنا جزءاً من أسطورة حول البشر الأول الذين يسيرون كالخراف ولم يعرفوا أكل الخبز .. والأخطر من هذا تعليقه بقوله [ص ٣٩] :

« فهل كان هذا النص تسجيلاً لقصة بشر تطوروا وسط بشر ظلوا على حالتهم الحيوانية ؟ ربما » .

وهنا تظهر نظرية داروين « النشوء والارتقاء » ، لأن « ربما » تعني الاحتمال فإن تطور بشر وثبات آخرين على صورة مختلفة يوحى بسؤال هو لماذا لم يتكرر هذا التطور اليوم ؟

ولماذا ثبت المتطورون وانقرض الآخرون ؟

مع أننا نجد خلايا أحادية بسيطة إلى اليوم ، فهل كانت المرحلة التطورية للإنسان أضعف من الخلايا الأحادية ؟

مع أن نظرية دارون نظرية منهارة ، ولم يثبت علم الحفريات ولا غيره وجود الحلقات المتابعة لهذا التطور المزعوم . وظلت نظرية فلسفية لا يؤيدها العلم ، ولكن يتشبث بها جميع العلمانيين ، مع أن علماء الأحياء وغيرهم يعتبرونها هاوية ومتساقطة .

أما المؤمنون فيكفيهم قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص] .

وبزعمه السابق يلحق ما ورد في [ص : ٤٠] من ذكر السائل المخصب ، وما أورده في [ص : ٤١] حول فكرة خلق الإنسان من الطين ، والطين الفخاري .

والأخطر من ذلك ما ورد في [ص : ٤٢] أن « كريمر » يعقب على ذلك فيوعز لنا فيه بحل أحجية خلق حواء من ضلع آدم التي وردت في الديانات السامية ..

http://kotob.has.it

وهكذا أصبح خلق حواء أحجية مع أن الله تعالى يقول : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ... » [النساء : ١] .

٩

إن التفسير الذي أورده الكاتب تعليقاً على قول « بوتيرو »

« وقد حاول « بوتيرو » تعليل إصرار أهل سومر على فكرة خلق الإنسان من مادة الطين بالذات ، بقوله : « إن هذا التمثيل والصنع من الطين لأجسام البشر الأوائل ، يعتبر صورة طبيعية جداً ، في بلد يلعب فيه الفخار دوراً كبيراً ، حيث نجد صنع التماثيل من الطين الفخاري بشكل إنسان ، عملاً منتشراً بصورة واسعة » .

أما نحن فنعتقد ببساطة ، أنه كان يكفي للسومري أن يلاحظ الطين وما ينشأ فيه من حياة « فطر ، نبات ، ديدان ...الخ » حتى تنشأ لديه قناعة أن هذا هو مصدر ومنشأ الحياة عموماً ، ولما لم يكن لديه شاهد عياني على خروج إنسان من الطين فجأة دفعة واحدة ، كالزرع أو الدود ، فقد اعتقد أن ذلك قد حدث بنوع من التشكيل الفخاري لأجداده الأوائل » . [ص : ٤١] .

إن ذلك التفسير له ما يناقضه في الإسلام تماما ، فالله تعالى أشار إلى نشأة آدم وخلقه من حمأ مسنون وهو الفخار : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر : ٢٦] .

وحينما وجدوا أن هذه اللوحة تحكي الآية وتصدقها نسبوا ذلك إلى أنهم أمة فخارية تصنع الفخار فكان تفسيرهم هو هذا . مع أن الله تعالى ذكر في

الآية أن الإنسان خُلق ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ وهو الفخار . فلماذا لا يكون هذا الاعتقاد موصولًا بالرسالات السابقة ؟!

وكما قلنا إن الأصل في الرسالات واحد فكان الأولى بهم اعتبار أن هذا بقايا الرسالات والدين الصحيح ، فلماذا نلجأ إلى التأويل ؟ والتأويل هنا تخيلي تصوري روائي ، فما الداعي إذن لمعارضة القرآن به ؟

إن الأنبياء جميعا بعثوا بالتوحيد ، وتتعاقب بعثة الرسل لإصلاح ما فسد من عقائد التوحيد والأخلاق ، ولا ينفي هذا وجود بقية باقية في أذهان الشعوب . ولكن القمني لا يكتفي بهذا بل يقول : « إن هذا هو مصدر الحياة عموماً » .

فكيف يثبت أن الأرض هي أصل الحياة ، فإن كانت أصل الحياة فلماذا لم يتوصل العلم إلى جمع أجزاء الأرض في خلق كائن حي ، وقد أثبت جميع علماء الأحياء أن الكائن الحي لا يتولد إلا من خلية حية . وأصدق رد على القمني قول الله تعالى : ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف : ٥١] ، ولكن القمني يصر على رؤية ما لم يره ويثبت أن الإنسان خلق دفعة واحدة مشبهاً إياه بالدود ولذلك خطأ السومريين في المسألة الفخارية .

كما أنه يكفي الإشارة إلى أن الطين هو منشأ الحياة عموما، أما مشابهة ذلك بالدود فنظرية مرفوضة ، لأن الخلق لو كان كذلك لاستمر الإنسان بالتكاثر بتلك الطريقة فهي أسهل ، فلماذا حصل التحول من النبت «كالدود» إلى الخلق من زوجين ؟! وهنا انتقد الفكر السومري لعدم تطابقه مع النظرية الداروينية ، مع أن القرآن الكريم قد صرح بقوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

http://kotob.has.it

فالله عز وجل جعل التكاثر في هذا السبيل ، ولم يثبت العلم أبدًا صحة نظرية داروين رغم استمرارها زمنا طويلا .

فإن صدقنا أساطير السومريين ، فلماذا ننكر بعضها ونقر بعضها الآخر ؟! خصوصاً إذا وافقت المفاهيم الإسلامية .

بل لماذا نؤول بعضها ليتطابق كل ذلك مع الفرضية الأساسية التي افترضها الكاتب ؟!

١٠

ثم أشار الكاتب إلى تسمية المخلوق الطيني ثم الاشتقاق منها فقال :

« وبالبحث عن التسمية التي أطلقها السومريون على هذا المخلوق الطيني نجد الاسم « إنسي ANZI » وهي في تحليلها تعني مثيل أو شبيه الإله « آن » باعتبار « سي ZI » تعني الشبيه أو الحقيقي » . [ص : ٤١] .

ويحيلنا الكاتب هنا إلى كاتب آخر هو « الدكتور حسن ظاظا » الذي يستنتج دلالتها على الأنثى في العربية . ثم يشير إلى أن « كريمر » اعتبر اللفظ المسمى لقبا للملوك ، ويحاول الكاتب التوفيق بين ذلك :

وفي موضع آخر يسمي المرأة « مونس » ثم يحولها إلى « مومس » فيقول :

« ولا يفوتنا أن نشير إلى اختصاص الأم الأولى بلقب آخر في السومرية هو « مونوس » ، التي هي فيما نظن الأصل في الكلمة السامية « مومس » التي انحدرت إلى العربية « مومس » ، للدلالة على المرأة

http://kotob.has.it

التي لا تعرف رجلا واحداً ، كما لو كان في اللغة خاصية الحفريات ، فاحتفظت لنا بكلمة ذات معنى حفري سحيق ، لتشير إلى عصر كانت فيه المرأة مشاعاً في المجتمع الأمومي أو النظام الغابر » [ص : ٤٤] .

ولا ندري بعد كل ذلك أيهم نصدق وأي الأسماء نأخذ ، لاسيما أن الكاتب سقط سقطة كبرى عندما أشار إلى أن هذا الاسم كان خاصا بالأم الأولى !! ولا أدري هل كان غير آدم للأم الأولى ؟ حتى يجوز إطلاق هذا الاسم عليها ؟ فإن انحدرت إلى هذا الفهم فهو ضعف في الاستنباط ، ولا ينفع هنا التلفيق بين الأسماء ، فاللغات مختلفة وإن اتحد أصلها فستبقى تحتفظ بفروق .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وهكذا يبين الله تعالى أنه خلق كل حي من زوجين اثنين « ذكر وأنثى » فلا داعي لهذه التسميات والاشتقاقات التي لا غرض منها سوى تشتيت أفكار الناس .

بل وأخطر ما فيها مخالفة الله تعالى ، إن الله تعالى يقول : ﴿ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ . وهم يقولون : « متناقضين » فالأولى أن يكونا متكاملين ... ونذكر القارئ برأي جورجي كنعان في عدم صحة الترجمة من اللغات القديمة والاقتباس الذي أوحى لهم بالتعدد في الآلهة .

١١

ويسترسل الكاتب في استنباط مسائل بعيدة عن الذهن المحايد :

« لكن أغرب ما في علاقة الفكر الديني السومري بالفكر الديني السامي ولعله ليس أغرب إنما أقرب إلى طبيعة الأمور ، هو ذلك الختم الأسطواني الذي كشف عنه مؤخراً ، ويصور ذكرا وأنثى ، بينهما نخلة ، وخلف الأنثى تدلت حية ، رأسها بجوار رأس الأنثى ، بينما تمد هذه الأنثى يدها في شكل دعوة للذكر الجالس قبالتها ، ليتناول من ثمار النخلة ولنتذكر الآن الارتباط اللغوي بين الحية ، وبين حيا الأنثى « فرجها » ، وبين الحياة « فالأنثى مصدر للمواليد ، للحياة » ، وبين التسمية « حواء » ويبدو أن هذا الارتباط المتوارث ، كان ناتج تصور الأقدمين أن الحية دائمة التجدد ، ودائمة الحياة عن طريق مشاهدتهم لها تنسلخ من جلودها العتيقة لتخرج بجلود جديدة زاهية ، في حركة تشبه خروج الجنين من حيا الأم ، ولعل ذلك يفسر لنا الارتباط العجيب في العقل القديم ، بين المرأة كمصدر للحياة باستمرار ، وبين الحية التي تتجدد وتولد دائما بانسلاخها من جلدها ، وبين تصور كليهما « المرأة - الحية » كمصدر للخبث والأذى ؟! » . [ص : ٤٤ - ٤٥] .

فهو يستنبط من لوحة المرأة والنخلة والحية ، ومن وقوف الحية خلف المرأة : أن هناك تشابها بين الحية وحيا الأنثى « فرجها » وهو مصدر الحياة ، وبين تسمية « حواء » ثم يربط كل هذا بأن الأقدمين يعتقدون أن الحية دائمة التجدد لانسلاخها من جلدها .

إن هذا التعبير شائه جدا فضلًا عن انعدام الترابط بين أجزائه ، فالحية لا تبدل إلا جلدها ، وليس لها استمرار في الحياة ، فهي تموت وتقتل ، وما وجه الارتباط بين الفرج والحية ؟!

http://kotob.has.it

فإذا كانت تلك قراءته للوحة ، فلنا أن نقرأها بشكل آخر فما جاز له جاز لغيره ، فلمَ لا تكون النخلة هي رمز الثمرة التي نهي آدم عن أكلها ، وأن عدو آدم وزوجه كان يقف وراء حواء ، وحواء لا ذنب لها في هذه المغامرة ، وأن عدوها أتاها من خلفها وغرر بها . إن فى قراءة القمنى تلك ترديدا لنظرية المهترئين على الإسلام الذين يلبسون حواء خطيئة الخروج من الجنة ، ولقد حكى القرآن هذه القصة محملا تبعة الخروج من الجنة على كل من حواء وآدم بسبب إغواء الشيطان لهما وانسياقهما وراء وسوسته . قال اللّه تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة : ٣٦] . وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف : ٢٠] . ولقد خلق آدم وحواء للخلافة فى الأرض وكانت الجنة فى حقهما للتجهيز والإعداد للقيام بحق الخلافة فى الأرض ، وقبل أن ينزل آدم عليه السلام إليها قال اللّه جل جلاله : ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢٢] . وهذه براءة بنص القرآن ، فلسنا بحاجة إلى من يدافع اليوم عن الرجل أو بعدما وفى القرآن المرأة . ولكن ليلاحظ القارئ ربط القمنى بين الفكر السومرى والأديان السامية ، فإذا كان يتكلم عن التوراة فما هو دخل الرسالات الأخرى وخصوصاً الإسلام ألأن النبي ﷺ من أصل سامي .

أما في الصفحة [٤٥] فيقول :

« بينما كان مقرها الدائم كما جاء في الأساطير هو جبل السماء والأرض ، أما أين هذا الجبل ؟ فهو ما لا تجيب عليه المدونات الموجودة بشكل واضح » .

فهو يذكر أن مقر الآلهة جبل السماء والأرض « حسب المدونات السومرية » وأن تلك المدونات لم تحدد أين مكان ذلك الجبل .

فلا داعي للاستنتاج وتقويلهم ما لم يقولوه ، ثم تجعلها من عندك سكنا لخالق البشر « انكي أو انسي » الذي اعتبر أول البشر .

على أن القصيدة الواردة في [ص : ٤٦] ما يشير إلى ما يشبه الجنة حيث يقول :

في دلمون ، لا ينعق الغراب الأسود ..
ولا يصيح طائر الأندو « الحدأة » ولا يصرخ
ولا يفترس الأسد
والذئب لا يفترس الحمل
ولم يعرفوا الكلب المتوحش الذي يفترس الجداء
ولم يعرفوا « خرم بالنص » الذي يفترس الغلة
ولم توجد الأرملة
والطير في الأعالي « خرم بالنص »..
والحمامة لا يحنى رأسها
وما من أرمد يشتكي ويقول عيني مريضة
ولا مصدوع يقول في رأسي مرض الصداع
وامرأة دلمون العجوز لا تشكو من الشيخوخة
ورجل دلمون الشيخ لا يتبرم من كبر السن

http://kotob.has.it

فلِمَ لا يحمل هذا على أنه من بقايا الرسالات السابقة ، ولماذا لم نفهمها هذا الفهم ؟!

لماذا نذهب إلى أن مقر الآلهة في جبل السماء والأرض ، فنلجأ إلى تخرصات بعيدة عن الذهن مع أنه ذكر أن النص به خرم ، فما الذي يدرينا ماذا كان في هذا الخرم ؟

وإذا أضفنا إليه سوء الترجمة للغات القديمة كما ذهب إليه « جورجي كنعان » ألا يكون هذا افتراء على النص القديم ؟

ويعود مرة أخرى إلى الفرج كمصدر للحياة فيقول :

« أول حبة قمح اسمها « نن شال » ، و « شال » كلمة تدل على الفرج الانثوي كمصدر للحياة فهي السيدة الفرج أو الإلهة الفرج ، مع ملاحظة التشابه بين حبة القمح المفلوقة وبين الفرج الأنثوي ، وما قد يخطر على بال القدماء عندما يشاهدون فلقة حبة القمح تخرج حياة جديدة ، بعد ريها بماء الخصب كما ينفلق الفرج الأنثوي عن ميلاد جديد بعد ريه بماء الذكر » . [ص ٤٧] .

وهو يفسر هذا الجزء من الأسطورة بالإشارة إلى أن حبة القمح تشبه الفرج الأنثوي كمصدر للحياة .

وأقول : هذا تناقض في نفس القصيدة ، إذ ذكر في [ص ٣٩] : « أن الإنسان لم يعرف الخبز » والخبز من القمح .

ثم تكرر ربط الفرج بالحية ، وتارة بالقمح ، وفي موضع آخر بالبركة المستديرة ، فلا أدري ما هذا الهاجس الجنسي في ذهن الكاتب الذى أكاد أجزم أن مصدره « فرويد » وليس السومريين .

http://kotob.has.it

تلك النظرية التى أبطلها البحث العلمى ، ويكفينا هنا أن نحيل على كلام « وليم ماكدوجل » الذي انتقد تحديدهم لدوافع السلوك دافعاً واحدًا أو دافعين ، وأشار إلى أكثر من عشر غرائز تلازم الإنسان .

١٣

ويتحدث عن السائل المخصب وأنه أساس الحياة فيقول : ☚

« يفقد « انكي » بذلك ألوهيته كسائل مخصب كوني ، ويتحول خلوده الالهي إلى خلود عبر التناسل » . [ص : ٤٩] .

علما أنه أشار في الصفحة [٣٣] إلى نفس الشيء .

ونحن نقول : أخبر اللّٰه تعالى أنه خلق من الماء كل شيء حي ، ولكن الخلق من الماء لا يعني أن الإله ماء ، بل هو سبب والمسبب هو اللّٰه ، والخالق هو اللّٰه .

١٤

ثم يعود من جديد إلى ذكر الفرج : ☚

« « جلجامش GELGAMISH » كان يبحث عن نبات الحياة ، فالخلود هنا مصدره مادي في شكل مادة إذا أكلها الفاني خلد ، وهي ذات الفكرة التي قالت بها التوراة ، حول شجرة الحياة في الجنة « التكوين ٢ - ٩ : ٢٢ » . وكي يحصل جلجامش على ثمرة الخلود ، رحل إلى « دلون » بالذات ، فهي مقر الآلهة الخالدة ، ليبحث عن بغيته وفعلا وجد الشجرة واقتطف من ثمرها السحري « لكن الحية ، والحية بالذات من دون جميع الكائنات ، رمز الحيا « الفرج ، الجنس » تتسلل

http://kotob.has.it

مرة ثانية لتسلب الساعي إلى الخلد ثمرة مسعاه ، لتنعم به دونه ، وتخلد بانسلاخها من جلدها كلما آن أوان موتها ، ولا يكتفي السومري بهذه الرمزية الواضحة . إنما يزيدنا إيضاحا ، فيفقد « جلجامش » الخلود في بئر أو بركة ماء والبئر أو البركة باستدارتها رمز واضح آخر للفرج » . [ص : ٥٠ - ٥١] .

فهو يعيد التفسير من جديد : « الرمز بالحية إلى الفرج والجنس » وكل ذلك تفسير فرويدي وأن الذي أثار في ذهنه ذلك التفسير « استدارة البركة » فلا أدري كيف يستقيم خيال هذا الكاتب فتارة توحي إليه الحية وتارة حبة القمح ، وتارة استدارة البركة !!

١٥

والأخطر من هذا قوله :

« ولعلي لا أغالي إن قلت : أن السومري القديم ، حاول جاهداً – بلغته البدائية – أن يبلغنا بما بقي في اللاشعور الجمعي من ذكريات سحيقة في القدم فوضع أساطير أخرى مثل أسطورة معراج « آدابا ADABA » إلى السماء ، حيث دعاه هناك إله السماء وأكرم وفادته ، فدعاه إلى مائدة تحوي طعام الخلد لكن « انكي » كان أسبق من إله السماء ، فأوعز إلى « آدابا » ألا يتناول منها شيئا فيرفض « آدابا » الوليمة الإلهية ، ويخسر الخلد ، فهل بعد هذا بلاغة في محاولة السومريين تبليغنا » . [ص ٥٢] .

وأقول : لا في وعيه ولا وعي غيره مراحل التطور ، فلا أنا ولاغيري أذكر عن حياتي في بطن أمي شيئا ، ناهيك عما قبلها ، وليست هذه إلا وحيا من

http://kotob.has.it

نظرية النشوء والارتقاء عند « داروين » تعود وتتردد من جديد في ذهن الكاتب لإثبات فرضيته الأساسية التي يلوي النصوص لإثبات صحتها .

ناهيك عن تصادم هذه الفكرة مع صريح القرآن ، حيث يقول تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

فلا العقل ، ولا النص الموثق الظاهر بغير تأويل يؤيد هذا التخرص القمنيّ .

أي وعي جمعي هذا الذي يشير إليه ، أما صعود البشر إلى السماء فلم يتم بنص قرآني إلا مرتين ، إذ أشار المولى تعالى إلى رفعه لعيسى ابن مريم بقوله : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ... ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

والثانية : في رحلة الإسراء والمعراج قال تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم] .

والأدهى من ذلك ما ختم به عبارته بقوله :

« فهل بعد هذا إبلاغه في محاولة السومريين تبليغنا » .

ولا أدري ماذا يريد بـ « تبليغنا » أيريد لنا أن نكون مثله وأن نعرض بالقرآن ؟!

١٦

ومن الأغرب استنباطه من أسطورة « زيوسودرا » أنه نوح عليه السلام :

« ويبدو أن بطل الطوفان « زيوسودرا ZIUSUDRA » كان شخصا حقيقيا ، استطاع أن ينقذ في قاربه إبان كارثة فيضان عاتي ، أفراد

أسرته وآخرين ، فكان مجد عمله كفيلا برفعه إلى رتبة الألوهية وكانت الأعمال الفدائية والمجيدة - فيما نرى - هي السبب الأساسي في تأليه الوالدين والأسلاف ، في غابر الأزمان .

ثم اكتسب « زيوسودرا » الألوهية والخلود بعد أن خسر حياته فيما يبدو إبان محاولة إنقاذ بنيه ، وقد أخذ الساميون بهذه الأسطورة لكن البطل حمل اسم « أوتنابشتيم - » و « إثرا خاسيس ETHRA KHASIS » و « تجنوح TAGNOAH » ، لكن الأسطورة المصاغة لبطولة « تجنوح » دخلتها عناصر من قصة الخلق ، فقالت أن «تجنوح» لم يستمر في هذه الحياة الخالدة ، بعد أن خسرها ، لما أكل من فاكهة محرمة ، ولنلاحظ القرب الزماني لأسطورة « تجنوح » من وقت ظهور التوراة ، حيث اختصر فيها « تجنوح » إلى « نوح » ، الذي تقول التوراة أنه عاش عمرا مديدا بلغ حوالى تسعمائة وخمسين عاما ، وهو يكاد يكون ترديدا لمعنى الخلد الألفي ، الذي ينقطع فجأة بالأكل من الثمرة المحرمة في القصة الأصلية « تجنوح » « تكوين ٦ - ٩ » . [ص ٥٢ ، ٥٣] .

وهكذا يعود من جديد إلى قصة الطوفان ، ولكن الطوفان الذي أخذه بمعنى الفيضان ، وأن بطل قصة الفيضان رفع إلى السماء والى رتبة الألوهية ، وكانت الأعمال الفدائية المجيدة هي الأساس في تأليه الوالدين ويزيد من خطورة هذا النص والتفسير أن الساميين أخذوا هذه الأسطورة . وحينما يطلق القول بهذه الأسطورة فهو ينسى أن الإسلام نشأ بين الساميين ، فهو بذلك ينسب هذه الأسطورة إلى الإسلام مع أن الآيات الواردة في قصة الطوفان صريحة وثابتة .

http://kotob.has.it

١٧

ثم ما هذه التأويلات والتخرصات التي تقودنا إلى الوثنية ؟ إذ كان الأولى أن نسلم أنها من بقايا الأديان السابقة حرفت أو لم تترجم ترجمة صحيحة ، ويصدقنا في ذلك قول اللّه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود] .

لا سيما أنه يتهم نوح أنه أركب في سفينته بشكل عشوائي أشخاصاً ، ونحن نقول : أنه لم يحمل فيها إلا المؤمنين بدليل غرق ابنه الكافر .

١٨

ثم يأتي بالطامة الكبرى في الصفحة [٦٧] : [redacted]

« وفي ذلك يقول « عبد العزيز صالح » : إنه قد « انتفع البابليون ببعض عناصر الفكر السومري ، عن أصل الخلق المادي والمعنوي في دنياهم ، وخرجوا بنظرية عن نشأة الوجود ، جعلوا ربهم قطب الدائرة فيها » . ويضيف « بوتيرو » : « أن البابليين لايبدو أنهم افترضوا انعداما كليا للأشياء كأصل الوجود ، بل افترضوا فوضى وعدم انتظام شامل ، وبهذا فان الكون لا يبدأ بخلق .. لكن يبدأ بتنظيم ماهو في حالة فوضى » .

وتلك إشارة لالبس فيها إلى التفسير المادي للتاريخ، وأنه لم يوجد من عدم وأن المادة قديمة وأن الكون كان موجودا لكنه كان في حالة فوضى .

http://kotob.has.it

وهذه نظرية إلحادية قال بها الفلاسفة الإغريق ورددها الكثيرون ، وهي تقوم على أن الله ليس خالقاً للكون وإنما هو منظم له ، فالحياة والطبيعة والموجودات كانت موجودة ومتطورة في ذاتها .

١٩

ثم يحاول إثبات نظريات متشابكة متعارضة في قلب الكلمات :

« لقد سبق وعلمنا أن السومريين أطلقوا على عالم تحت الأرض اسم إدين EDIN وتنطق أيضا الدين وأدن ، وبما نعلمه عن الخلط القديم بين « الميم » و « النون » ، يمكن أن تتحول « أدين » إلى « أديم » ، ورأينا البابليين يطلقون على العالم التحت أرضي « آدمو » أو « آدم » ، وبما نعلمه عن الخلط بين « العين » وبين « الهمزة » تصبح أيضا « عدم » و « عدن » فيصبح عالم تحت الأرض هو عالم : أدن ، الدين ، أدين ، وأديم أدمو ، آدم ، عدم ، عدن » ولنلحظ ارتباط المعنى القائم بين مختلف الأسماء فكلها تعطي معنى العودة إلى العدم والأصل وهو التراب أو الأديم ، وآدم من تراب والى عدم أو إلى أديم ، يعود ، واللفظ آدم لفظ سامي يدل على أب البشر، جاء في النصوص الأوجاريتية المكتشفة مؤخراً، وهي لغة سامية فينيقية » .

[ص ٨٩ ، ٩٠] .

وهكذا يعود بنا إلى نظريته في التقديم والتأخير والإبدال في الأسماء ليصل إلى غرضه ، فينقلنا من عدم إلى عدن ، وأدين إلى أديم إلى أن يصل إلى آدم .

وقد أعجبني في هذا المجال رد « الشيخ عبد الرحمن حبنكة » على « محمد شحرور » حيث قال [ص : ١٦٤] :

http://kotob.has.it

« إن حيله التحريفية اللغوية يكشفها صغار طلاب اللغة العربية مهما زخرف تلاعبه وعبثه ..

جاء في مقولته « ومعنى الفلق قريب من معنى الخلق لأنهما يشتركان في حرفين ويتميزان بحرف واحد » .

أقول : لماذا لم يُضم أيضاً إليهما : « سلق - حلق - ألق - زلق - ملق .. » ويقول : هذه كلها تشترك في حرفين هما اللام والقاف ، وانفرد كل منها بحرف ، فهي متقاربة في المعنى ، ويطبق عليها ما طبقه على « خلق وفلق ؟!! » .

٢٠

وقصة قابيل وهابيل اللذين تخصص أحدهما بالزراعة والآخر بالرعي ، يعود فيها الكاتب مرة أخرى لنظرية أثر التطور الانتاجي وصراع الطبقات من الفكر الماركسي ، فيقول :

« وأنجب الزوجان البشريان الأوائل ، اثنين من الذكور هما هابيل الذي اشتغل بالرعي ، وقابيل الذي عمل في الأرض فلاحا « ويبدو أن ذلك تسجيل قديم لبداية التخصيص في العمل ، وفق ظروف البيئة ، والصراع الذي نشأ بين هذين النظامين » وقام الأخوان يقدمان للاله القرابين لارضائه ، فقدم هابيل من لحم غنمه ، وقدم قابيل من زرع أرضه ، وكما سيتضح فيما بعد ، فان الاله كان على ما يبدو من اللواحم ، فقبل قربان هابيل ، ورفض قربان قابيل « والتحيز هنا واضح للبداوة والنظام الرعوي ، ولنتذكر أن اليهود بدو رعاة » مما أوغر صدر قابيل الفلاح ، على أخيه الراعي ، فقتله ، ثم يختفي ذكر قابيل من التوراة ليظهر ابن ثالث لأبي البشرية المدعو آدم ، هو « شيث » ، ومن شيث

http://kotob.has.it

تناسلت البشرية وتكاثرت على الأرض . « وهكذا كان واضحا أن دور هابيل وقابيل لم يكن له أي علاقة بالتكوين ، بعد أن مات هابيل وتبعه قابيل وجاءت البشرية من أخ ثالث هو « شيث » وهو مايؤكد أن قصتهما ان هي الا تسجيل بدائي وتفريق بين نظامين ، اقربهما إلى الإله هو الرعوي » . [ص : ١٠١] .

ولكنه يسقط سقطة شنيعة إذ يضيف من عنده : أن الإله كان من اللواحم على ما يبدو ، فقبل قربان هابيل ورفض قربان قابيل ، فيعيد الخطيئة إلى اللّٰه بدلا من أن يحملها إلى قابيل مما يوغر صدر الفلاح .

ويستنتج من ذلك أن النظام الرعوي هو الأقرب إلى الإله وفي ذلك تعريض بالبدو - حسب وصفه - الذين ظهرت فيهم النبوة .

فالماركسيون يؤمنون بصراع الأضداد والمتناقضات ، وأن هذه حقيقة لا ريب فيها ، لذلك رد الصراع أيضًا إلى زمن قابيل وهابيل ، ونسي أن الضدين لا يجتمعان في الشىء الواحد ، وأن المغاير للشيء هو مغاير له فى الذات ، وأن الصراع هو الحالة الاستثنائية لقمع ذوي الشر والفساد مثل صراع خلايا الجسد لطرد الجراثيم . فالنظام والتوافق هو الأساس ، وأما النظام الاستثنائي فهو الصراع وهنا نعود لما سبق أن ذكرناه بأن التكامل هو الذي تبنى عليه الحياة لا الصراع ولكن الخلط في المفاهيم المادية لدى « القمني » هو الذي قاده لمثل هذا التحليل .

http://kotob.has.it

٢١

سوء حديثه وقبيح عبارته مع الأنبياء :

إنه يصف كلام نبى اللّٰه يوسف عليه السلام بأوصاف عجيبة منها : قدرته على التعبير وقراءة الطالع في الأحلام ، فيقول :

« أما مصدر شهرة يوسف فهو أنه كان جميلا جمالا فتانا ؟! والثاني أنه كان كثير الأحلام ؟ ! والثالث أنه كان مفسرا أيضا للأحلام ؟ ! مما أثار موجدة أخوته الذين كادوا له ، حتى انتهى بكيدهم عبدا في بلاد مصر لكن قدرته على التفسير وقراءة الطالع في الأحلام ، أدت إلى ذيوع صيته في البلاط الملكي ، حتى تمكن بقربه من صاحب العرش أن يصبح وزيرا لخزانة المصريين ، وبهذا المركز تمكن من استجلاب أبيه وإخوته إلى مصر ، في وقت حل فيه الجفاف بالأرض ، وفي مصر عاشوا زمنا تكاثروا فيه وتناسلوا وعلا شأنهم » . [ص : ١٠٦] .

وهذا هو رأيه في النبوة ، وأن هذه القدرات هي التي مكنته ليصبح وزيرا لخزانة المصريين ، وهو انتقاص لنبي ما كان ينبغي أن يسقط فيه ، خصوصا أنه لم يثبت أن التناقضات الموجودة نسبت إلى الأنبياء لأنها كتبت بعد قرون من وفاتهم .

http://kotob.has.it

٢٢

وينسب إلى موسى مغامرات كبرى شهيرة ، وينسى أن القرآن الكريم صدق قصة العصا وانفلاق البحر وصدق عذاب قوم فرعون بالقمل والضفادع والدم :

« وقد قدر لهذا النبي أن يكون صاحب مغامرات كبرى وشهيرة ، منذ ميلاده حتى مماته ، فقد ولد في ظروف صعبة ، كان مطلوبا فيها بأمر فرعون مصر ، قتل من يولد في هذا العام من ذكور، فألقته أمه في اليم لكن أقدار « الميلودراما » ساقته إلى قصر الفرعون حيث عثرت عليه ابنة فرعون ، فاتخذته لها ربيبا لكنه كان يعرف أصله العرقي ، مما دفعه يوما للانتصار لأحد اليهود من بني جلدته ، فقتل بسبب انتصاره لعصبيته مصريا دون أن يتحقق حتى من موضع الحق ، فكان أن طلبه القانون للقصاص فهرب إلى بلاد تسمى « مديان » حيث التحق هناك بضيافة كاهنها المدعو « يثران » وصاهره فتزوج ابنته ، وهنـاك قابله رب اليهود في جبل أسمته التوراة جبل الله ليقود شعبه المختار من مصر في رحلة خروج ، أو رحلة عودة إلى كنعان » . [ص ١٠٦] .

إن قصة العصا وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [طه] .

وقصة انفلاق البحر وردت كذلك في أكثر من موضع في كتاب الله عز وجل : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] .

http://kotob.has.it

وأما عـذاب قوم فرعون بالقمـل والضفادع والدم ، فقد وردت في كتاب الله في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ .... ﴾ [الأعراف : ١٣٣] .

وهكذا يسيء الكاتب إلى الأنبياء الكرام ، فيصف أحدهما بأنه عراف يقرأ الطالع ، وهذا كل ما يعرفه عن يوسف عليه السلام ، وأما الثانى وهو موسى فوصفه بأنه صاحب مغامرات كبرى شهيرة ، ويصف ثالثهم وهو شعيب وهو يثران بأنه كان مجرد كاهن لمديان ، وقبل ذلك فأقدار الله عنده هى أقدار الميلودراما ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [الكهف :٥] .

٢٣

ثم ينتقل إلى وصف ملك سليمان تبجيحاً بأنه محمية مصرية .

ويستشهد بكاتبين ثم يرد الاستشهاد إلى مؤلف غربي أيضا فيقول :

« أما الباحث أحمد سوسه فيقول : « أما الوصف الذي اعتاد الباحثون ترديده عن اتساع وامتداد حدود مملكة سليمان فيعده أكثر الباحثين من قبيل المبالغات التي درجت عليها دويلات تلك العصور ، والحقيقة أن مملكة سليمان التي تبجح بعظمتها كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر .

ثم يتساءل « سوسه » : « كيف صور كتبة التوراة مملكة سليمان ، صورة تفوق الواقع بكثير .. فسليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكا صغيرا يحكم مدينة صغيرة وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال ، بحيث لم تنقض بضعة أعوام على وفاته ، حتى استولى « شيشنق » أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم » .

http://kotob.has.it

ويجيب أحمد شلبي على التساؤل ، أما ما جاء عن « قصة ملك سليمان وحكمته » التي أوردها الكتاب المقدس ، فقد تعرضت لحشو وإضافات على نطاق واسع ، على يد كاتب متأخر شغوف بالمبالغة ، في وصف رخاء عصر سليمان ، مولها بتمجيد حكمه .. وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحي ، بل والإسلامى ، على الاعتقاد بأن الملك سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهة .. لكن الحق ، أنه إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو نبوخذ نصر ، فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات .. أما مملكته فهي رهينة تتجاذبها مصر وفينيقيا ، وترجع أهميتها في معظم أمرها ، إلى ضعف مصر المؤقت . « ومن المناسب أن نوضح من جانبنا أنه لم يكتشف نص واحد الآن ، لا في مصر ، ولا في نصوص الرافدين ، يشير من بعيد أو قريب إلى ملك باسم سليمان أو داوود أو شاؤول ، وهو أمر غريب بالقياس إلى ما ادعته التوراة عن شهرة المملكة السليمانية !! » . [ص : ١٠٨ ، ١٠٩] .

يزعم أنه لم يرد أي نص لا في مصر ولا في نصوص الرافدين يشير إلى داود أو سليمان أوشاؤول ، وهو أمر غريب بالقياس إلى ما ادعته التوراة وبالقياس على النصوص السومرية والآشورية ، فهل الأساطير هي حجة على الدين أو العكس ؟ أو كأن علم الحفريات قد تم ولم يبق لدينا شيء منه مجهول .

ولابـد لنا في هذا المقام أن نذكره بالآيات القرآنية التي تبين ما وهبه الله لسليمان عليه السلام : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنبياء] .

http://kotob.has.it

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦] .

٢٤

وفي سياق قلبه للأسماء وإعادة جمعها وتركيبها يحاول الوصول إلى اسم « يهوه يراه » ليعيد تركيبه إلى « جبل الرب يرى » وبشكل قاطع يفسر ذلك في العربية بجبل المروة فيقول :

« والنص يعني أن الرب أمر إبراهيم بذبح ابنه إسحق ، وهو ما لا يتفق مع شرعية التضحية بالبكر ، والبكر هو إسماعيل ، والعرب والمسلمون يؤكدون أن الذبيح كان إسماعيل ، وهو ما يتسق مع تلك الشرعة القديمة ، وإذا كان إسماعيل في التوراة ، وفي كتب التراث الإسلامى هو الجد البعيد لعرب الجزيرة ، فإن ذلك كله يذهب بنا إلى جزيرة العرب ، في رحلة إبراهيم مع هاجر وإسماعيل حيث تركهما هنا ، لكن بعد أن كاد يضحي بولده في « أرض المريا » لذلك سمى الموضع « يهوه يراه » وأنه يسمى حتى اليوم ، أو بتعبير التوراة : يقال اليوم « جبل الرب يرى » وهو ما تعنيه تماما اللفظة العربية « المروة » التي تتركب من ملصقين هما « ال = الله » و « مروة » أو « مروى » وتشير إلى الري والخصب . ولم تزل « المروة » موضعا مقدسا في بلاد الحجاز ، باعتقاد أن قدسيته موروثة منذ أيام النبي إبراهيم ، وشعيرة الهرولة بين الصفا والمروة أحد شعائر الحج الأساسية ، ويتبعه ضمن الطقوس شعيرة الذبح .

وتقول كتب التراث الإسلامى : إن الصفا والمروة كانا مقدسين قبل الإسلام بزمان وظلا مقدسين في العصر الجاهلي ، وكان الجاهليون

http://kotob.has.it

يهرولون بينهما لأنه على الصفا كان الصنم « أساف » أو « أصاف » أي يوسف ، وأن على المروة كان الصنم « نائلة » ، وإن يوسف فى الأسطورة قد جامع نائلة داخل الكعبة ، لذا نشأ طقس الهرولة بينهما في الجاهلية ، مدا وإيصالا لحبل الوصال بينهما ، وهذا الجماع كان بدوره أحد طقوس عبادة الخصب في الديانات القديمة » .

[ص : ١١٧ ، ١١٨] .

وهكذا ينقل الوثنيات إلى الإسلام ويردفها بأن المروة مقدسة في الحجاز منذ أيام النبي إبراهيم وأنها أحد الشعائر الدينية .

ولكن يبلغ الأمر مداه حينما يصف إساف ونائلة ، ويحيل اسم نائلة إلى النوال أي الوصال وأن طقس الهرولة امتداد لحبل الوصال بينهما .

وينسى أن الهرولة شعيرة إسلامية ، فهل نؤديها - نحن أيضا - اتباعا لمسألة الوصال وهذه الترهات ؟ وهل خطر على عقل أحد هذا التفكير الجنسي .

ولكن ماذا نفعل إذا أراد الكاتب أن يثبت الأصول الوثنية لجميع الديانات حتى إلى الإسلام وإن لم يقل تصريحا ..

ويكفينا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ... ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

ونحن نطوف ونسعى بينهما امتثالاً لأمر الله تعالى ، وهَدْى رسوله الكريم ﷺ .

http://kotob.has.it

وفي سقطة أخرى يحاول ربط مصطلح « الكروبيم » بالملائكة « حملة العرش » :

« ومن المقدسات الشبيهة بالآلهة عند اليهود ، وربما كانت أدنى قليلاً ، كانت أسمتها التوراة « الكروبيم » جمع « كروب » وكان تصورهم لشكل « الكروب » محيراً ، فهو يظهر مرة على أنه طير ربما كان نسراً ، لكنه بعد ذلك يأخذ شكل الثور المجنح ، بوجه إنسان .

ومع التحول نحو التوحيد « عند أشعيا وأرميا » تحولت الكروبيم إلى الدابة التي يستخدمها الإله في الركوب ، فكان لابد لدابته أن تتميز عن حمير وخيول البشر ، بما يليق بمكانته ، فأضيف إليها وجه الإنسان ، والأجنحة « مزمور ٨ - ١١ » .

وغني عن الذكر أن مثل هذه الكائنات بقي محفورا في الديانتين المسيحية والإسلامية ، ففي المسيحية تصادفنا « الكروبيم » في حفل أو « بارتي » الهي تغني قداسا إلهيًا « رؤيا يوحنا اللاهوتي » « ٤-٦:١١ » ، أما في الإسلام فقد جاءتنا الدابة الإلهية «كروب » منطوقة « قروب » ، ومع ظاهرة القلب المعروفة في اللغات السامية تحولت «كروب » إلى « براك » ، أو « براق » وهو دابة سماوية بوجه إنسان وجسم مجنح ، حملت النبي محمداً صلى الله عليه وسلم من مكة إلى القدس في قصة الإسراء المعروفة ، كما كان للبراق باسمه العبري « كروب » شأنا في كتابات التراث الإسلامية ، لكن بعد أن تحولت مع التطور إلى أملاك للإله الواحد ، فهي ملائكة له ، فأصبحوا سادة الملائكة وباعتبارهم دواب ركوب وحمل ، فقد جاءوا كحملة للعرش الإلـهي في الإسلام كما كانوا مركبا ليهوه وتابوته من قبل ،

http://kotob.has.it

وقد صادق النبي صلى اللّٰه عليه وسلم على بيت من الشعر الجاهلي لأمية بن عبد اللّٰه يصف الكروب يقول فيه :

رجل وثور تحت يمنى رجله والنسر لليسرى وليث ملبد

وجاء تصديق النبي في تعقيبه على هذا البيت بقوله :
« صدق أمية في قوله ؟! » . [ص ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢] .

فهو ينقل تصديق الإسلام على ما نقله من أسفار مقدسة ، وذلك بقوله :

« وجاء تصديق النبي » وأحالنا إلى المصدر فكان المصدر : كريم وموسكاتي وهكذا أصبحنا نأخذ تصديق النبي من هؤلاء حتى يظن القارئ أنها من المصادر الإسلامية وهي في الواقع لا يعتد بها « علماً أن رواية تصديق النبي لبيت الشعر وردت عند صاحب الأغاني كما نسبها الكاتب » .

فحينما حاول أن يوجد علاقة بين كروب « اعتماداً على ظاهرة الإبدال والقلب » ليصل منها إلى « براك » ثم إلى « براق » ليجعل البراق مندرجاً تحت هذه الأسطورة أوغل فى الزيف ليصل إلى غرضه من تحقير اللّٰه رب العالمين فيقول :

« فقد جاءوا كحملة للعرش الإلـهى فى الإسلام كما كانوا مركبا ليهوه ... » .

واللّٰه رب العالمين يقول فى سورة غافر : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧] .

http://kotob.has.it

وأما عن الملائكة الكروبيين فكما قلنا : إن الثابت في الرسالات لا يتغير ، فإذا ورد اسم الملائكة في التوراة أو الإنجيل وصدقه القرآن فقد وثقه .

ولا يهمنا اعتراضكم على عدد الأجنحة ، أو الصعود أو النزول من السماء ، فالله تعالى يقول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ [فاطر : ١] .

❏ ❏ ❏

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

قراءة لفكر « سيد القمني » في كتابه

الأسطورة والتراث

١

يعبر الكاتب عن شكه في نوايا الإعلام الإسلامي في وضع الدين على رأس مقومات الأمة فيقول [ص : ١٤] :

« ولا نرتاب لحظة في شكنا ، في نوايا التوجهات الإعلامية الرسمية ، وسعيها الدؤوب لوضع الدين على قمة الهرم الفكري ، لمنتج الأمة الثقافي ، الذي كونته خلال تاريخها الطويل ، بحيث يظهر الدين وحده ، والإسلام تحديدا ، كما لو كان هو كل تراث أمة العرب ومنتجها الفكري الوحيد ، وأيدلوجيتها عند التطبيق ، وكل ما في الأمر هو انتظار تحقيق مناخ مناسب لتحويله من نظر إلى عمل ، ومن قوة إلى فعل » . [الأسطورة والتراث] .

ونقول : إن قضية الإيمان بالله تحتل في عقول وقلوب المسلمين القمة ، فإن لم تكن لديكم « جمهرة الماديين » مسألة الدين على قدر من الأهمية ، فهي عند المسلمين كل حياتهم .

ولم يمنع ذلك المسلمين من الأخذ من العلوم الأخرى بل والتخصص فيها .

http://kotob.has.it

ثم إنك في مواضع أخرى تفرق بين الفكر والدين ، فما بالك هنا تخلط بين الفكر والدين ؟

ولكنك تستخدم تعبير « الفكر الديني » في كتابك « حروب دولة الرسول ٢ » حتى تعارض قول اللّه تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾ [المائدة : ٣] .

وتقول معقباً : لا يستطيع أحد أن يدعي « أن اليوم أكملت لكم فكركم » فأي خلط هذا ؟

٢

ويعود ليكرر في الصفحة الثانية أن الإسلام سفّه العقل والعلوم العقلية وحاول تنحية الشباب عن الأخذ بتلك العلوم .

يقول في [ص ١٥] :

« وإبان ذلك يتم تسفيه ذلك العقل وتلك العلوم ، كلما تصور المتعالم التلفازي ، ذو العلاقات ، المعلومة والرائحة المميزة أنه قد عثر على ثغرة في ذلك العلم ، في غفلة من كل علماء الدنيا ، ثم لايجد مناصا بعد كشف الثغرات والنفخ في النعرات ، من إحالة شبابنا بعيدا عن كتب الكيمياء والفيزياء ، والاجتماع والتاريخ والسياسة خاصة وإلخ ، إلى كتاب اللّه وحده الذي يشمل كل ما تم الكشف عنه ومالم يكتشف بعد ، دون أن يكلف سيادته نفسه مرة واحدة بالكشف عن نظرية علمية واحدة من كتاب اللّه ، قبل أن يكتشفها علماء الدول المتقدمة الكافرة بعقولهم القاصرة » . [الأسطورة والتراث] .

http://kotob.has.it

إن من الافتئات واللاعلمية تعميم هذا الاتهام ورشق الإسلام به ، فالإسلام دعا إلى العلم وطلبه ، دونما تحديد لماهية هذا العلم ، وفي الحديث :

- قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[1] .
- وقوله ﷺ : « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع »[2] .
- وقوله ﷺ : « إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب »[3] .

وإن اتهام العلماء بقصر العلم على كتاب الله والعلوم الدينية أمر يكذبه الواقع منذ فجر الإسلام وحتى اليوم ، ليس أدل على ذلك من جعل رسول الله ﷺ فداء لأسرى بدر تعليم كل أسير لعشرة من أبناء المسلمين ، وما ذلك إلا لإبراز مكانة العلم وجعلها ثمنا يوازي الحياة الحرة الكريمة .

إن القهر المادي المتغلغل لا يتورع عن عكس المفاهيم وتعميم جزئيات على كليات حتى يختلط الحابل بالنابل . وحتى العلماء الذين يتحدثون في الإعلام والتليفزيون لم يطلبوا ترك العلوم الأخرى بل حثوا عليها وعلى اتباع الصحيح منها .

---

(١) أخرجه ابن ماجة [٢٢٤] ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجة [١٨٣] .

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود [٣٦٤١] ، والترمذى [٢٦٨٢] وقال : حديث حسن ، وابن ماجة [٢٢٣] واللفظ له . وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٣٠٩٦] .

(٣) جزء من حديث أخرجه الطبرانى فى الكبير [٧٣٤٧/٨] ، وذكره الهيثمى فى المجمع [١٣٦/١] وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح .

http://kotob.has.it

ويعتبر الكاتب أن الأسطورة حقيقة كان من الواجب دراستها والتعمق فيها قبل رفضها واعتبارها من الأباطيل . فيقول [ص : ٢٠] :

« والواضح أن الباحثين في تراثنا لم يهملوا القديم من هذا التراث إلا لأنه أسطورى ، ولم يهملوا الأسطورة إلا لأنها تعني بالخرافات واللامعقول وأقاصيص الآلهة ، وواضح أيضا أن هذا الفهم لم يتأت بعد درس صادق وعميق للأساطير والتراث القديم ، قدر ما انبنى على حكم تأسس على فهم شائع عن الأسطورة كخرافة وتلفيقات بدائية لا أساس لها ، ولأن العرب احتسبوها أباطيل ، ولأن الأديان الشرق أوسطية الكبرى قد اعتبرتها نوعا من العقائد الباطلة ، هذا بالطبع مع ما درج من مفاهيم أنتجها معنى المصطلح القرآني عن الأسطورة ، واحتسابها من خرافات الأولين ، وربما ساعد على ذلك الإهمال ، البعد الزمني ما بين التراث القديم وبين اليوم ، وتصور عدم إمكان التأثير عن بعد ، أو إمكان بقاء موروث ذي قيمة مؤثرة في حياة أناس اليوم » . [الأسطورة والتراث] .

لعلك لا تقر بأن الأساطير من العقائد الباطلة ، وتعترض على المصطلح القرآني عن الأسطورة ، ولا تلبث أن توضح الهدف الأساسي من وراء دراسة الأساطير فتشير إلى أن دراسة هذا القديم يمكن أن يكون من أمضى الأسلحة ، فهي إذن حرب على المفاهيم القرآنية ، أو كما سميتها المصطلح القرآني عن الأسطورة ، ومناقضة القرآن بالأساطير التي أشرنا في التأسيس إلى مدى خرافتها ، وما حوته مناهج الغربيين من أخطاء كبيرة سواء من حيث التحليل أو الاستنتاج .

http://kotob.has.it

فندع الثابت يقينا « القرآن » إلى مستر فلان ومستر علان ، ولو كنت حقا تريد خدمة التراث الإسلامي لما اعتمدت على آراء الغربيين ، وكان جل همك التلفيق بين أقوالهم ، فهل هذا هو السلاح الذي تقصده ؟

إن من يريد إثبات حقيقة ما ، عليه أن يقوم بنفسه بترجمتها والبحث عنها دون اعتبار لأقوال الآخرين فيها .

إن منهج العلم الصارم الذي تزعمه - وما هو بعلم ولا بصارم - وتتمسك به ، نجد أنك سلطته بغير حق على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ولم تجرؤ على أن تسلطه بنفس القدر على أعمال الغربيين ودراساتهم .

بل إنك في شرحك عن الأساطير في [ص ٥٥] تشير إلى أن نسبتها إلى مجهول ، فكيف نعتمد على ألوان ونقوش منسوبة إلى مجهول لانعرف حتى اسمه أو هويته ؟ فنهدم المبني للمعلوم لأجل المبني للمجهول !

٤

ويتجه الكاتب إلى الدفاع عن الشيطان وإلصاق جميع الشرور والمفاسد به وجعله ستارا لأخطاء الناس .

فيقول [ص : ٣١] :

« والعجيب أن الشيطان لم يزل حتى اليوم يصول ويجول في مساحة كبرى من العقل الشرقي ، وليس ببعيد ما ذكره « فتحي غانم » عن حملة السلفيين المتزمتين ضد استخدام الهاتف والسيارة بحسبانها اكتشافات تمت بإيعاز من إبليس لعنه الله ، بل وتكفيرهم لكتاب

http://kotob.has.it

القصة ، ولأشكال التعبير الأدبي الجديدة ، باعتبارها دسائس استعمارية ، يقف الشيطان وحزبه من ورائها .

وهكذا تجاوز الشيطان إطاره الديني ، وتغلغل في ذات الإنسان ليتحكم بكل حياته ، ومن ثم أصبح سببا لكل ما لا ترضى عنه ، وستارا يخفي الأسباب الحقيقية ، ومشجباً للأخطاء على مستوى الفرد والجماعة والدولة ، وتفسيرا سهلا لكل مجهول ، مما أدى بالعقل الشرقي إلى غياب شبه كامل عن واقعه المتردي ، بحيث تحول التغيير الإجتماعي المطلوب نحو الجانب الأخلاقي ، بشن الحرب على الشيطان وأعوانه في المقام الأول ، وليس تغييرا للواقع المأسوي الذي نعيشه ، وأن مدى تمكن فكرة الشيطان من العقل الشرقي ، تستدعي تساؤلات عن مناشئها الأولى ، وبحث عن العوامل التي أدت إلى اكتسابها تلك القدرات الخارقة ، ومن ثم وضع الشيطان داخل إطاره وحجمه الحقيقيين » . [الأسطورة والتراث] .

ونحن لا ندري من أين استقيت هذا التعميم العجيب بأن الشيطان المظلوم نحمله كل ما لا نرضى عنه ، وأنه الستار الذي يخفي الحقيقة ، والتفسير لكل مجهول .

لقد أشار المصطفى ﷺ أن أعدى أعداء الإنسان هي نفسه التي بين جنبيه ولم يقصر الإسلام أعداء الإنسان على الشيطان ، بل عبر عنهم بشياطين الإنس والجن .

وإن إنكار وجود الشيطان الذي ليس له على عباد الله المؤمنين سلطان بنص القرآن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [النحل: ٩٩] ، هو إنكار لآيات كثيرة في القرآن ، ومن كفر بحرف من القرآن كفر بالقرآن كله .

http://kotob.has.it

ويستطرد الكاتب في البحث عن أصل فكرة الشيطان والظلام ، فيخلط خلطاً عجيباً بين المسيحية واليهودية ، إلى أن يصل إلى بحث مفهوم الشيطان في الإسلام فيقول [ص : ٤٢] :

« وفي الإسلام أيضا نجد الشيطان مكانة ، بنفس التسميات القديمة ، فهو إبليس Diaholos وهو الشيطان Satan ويؤكد « الثعلبي » أن الله عندما غضب على إبليس مسخ صورته فصوره شيطانا بعد أن كان ملاكاً .. وغير اسمه ، وكان عزازيل فسماه إبليس ؟! « وهي صورة تلقى بنا في مرآة القرون الخوالي » إلا أن المفسرين – سيرا على تقليدهم المرعى – وضعوا لكلمة إبليس اشتقاقا لغويا عربيا أصيلا ، فلم يعد اسما وارداً من اللسان اليوناني عبر اليهود والمسيحيين ، وإنما أصبح من « الإبلاس » أي اليأس التام من رحمة الله ، وهو مصدر الخطيئة الأولى للبشر ، بعد أن أغوى « آدم » « وحواء » ليأكلا من الثمرة المحرمة ، وهو أساس كل بلاء وانحراف عن جادة الصواب .

ورغم كون « إبليس » في الآيات ملاكًا عاصيا ، إلا أن آيات أخرى تقرر أنه إنما كان من الجن ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾ أما كيف كان جنيا ، فهي نقطة أخرى سنتطرق إليها بالمعالجة في مكان آخر من هذه الدراسة » .

وهكذا تنتقد قول المفسرين واشتقاقهم لكلمة إبليس اشتقاقا لغويا ، ولاتنسى أن تعرض بآيات من سورة البقرة وسورة الحجر التي تلخص الحوار بين الله جل جلاله ، وإبليس اللعين ، حتى تلبس الإسلام ثوب الأساطير السابقة ، فحتى القرآن لم تتورع عن الغمز واللمز في الآيات التي تكشف حقيقة الشيطان . ثم

http://kotob.has.it

تدعي التعارض بين الآيات التي تعتبر إبليس تارة ملاكا وتارة جنيا ، علماً بأنه لم يرد في آية واحدة أنه كان من الملائكة .

وإن الاستدلال بعموم الأمر الوارد للملائكة بالسجود لايندرج تحته الخاص ، ولذلك لابد لتفسير آية ما الإحاطة بجميع الآيات المختلفة ، وحتى يجيب الإسلام على أسئلة المتشككين من أمثالك وضح في آية أخرى أن أصله من الجن حيث قال : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ . [الكهف : ٥٠] .

بل كان يكفيك أن تستنتج حقيقته من الآيات التي صورت الحوار الذي جرى بينه ، وبين الله تعالى حين أمره بالسجود فقال : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] ، ومعلوم أن الملائكة خلقوا من نور وليس من نار ، كما في الحديث الصحيح : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »(١) أي من طين . ولكن ﴿ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤] .

٦

ثم ذكر الكاتب الزهرة « الكوكب المعروف » وقرر أن الإسلام لعنها اعتمادًا على الأساطير ، ويستشهد على ذلك بحديثين مكذوبين فيقول [ص : ٧٤] :

« ويروى عن عبد الله بن عمر أنه كان كلما رأى الزهرة يلعنها ويقول : هذه التي فتنت هاروت وماروت .

(١) أخرجه مسلم [٢٩٩٦] عن عائشة رضى الله عنها .

http://kotob.has.it

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر : أن النبي ﷺ إذا رآها كان يقول : « طلعت الحمراء فلا مرحباً ولا أهلاً » .

وكلا الحديثين مكذوبان مختلقان ، وكفى بك كذباً أنك ابتدأت عبارتك بقولك : « ويروى » ومن المعلوم أنها صيغة من صيغ التمريض - التضعيف - وكان الأحرى بك أن تفطن لذلك[1] .

---

(١) قال العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على هذه الروايات فى تفسير الطبرى :

« وهذه الأخبار ، فى قصة هاروت وماروت ، وقصة الزهرة وأنها كانت امرأة فمسخت كوكباً - أخبار أعلها أهل العلم بالحديث . وقد جاء هذا المعنى فى حديث مرفوع ، رواه أحمد في المسند [٦١٧٨] ، من طريق موسى بن جبير ، عن نافع ، عن ابن عمر . وقد فصلت القول فى تعليله في شرح المسند ، ونقلت قول ابن كثير فى التفسير [١/ ٢٥٥] ، « وأقرب ما يكون فى هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار ، لا عن النبى ﷺ » . واستدل بروايتى الطبرى السالفتين : [١٦٨٤ ، ١٦٨٥] عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار .

وقد أشار ابن كثير أيضاً فى التاريخ [٣٧/١ - ٣٨] ، قال : « فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين ، وإن كان قد رواه كعب الأحبار ، وتلقاه عنه طائفة من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية والتحدث عن بنى إسرائيل » .

وقال أيضاً ، بعد الإشارة إلى أسانيد أخرى : « وإذا أحسنا الظن قلنا : هذا من أخبار بنى إسرائيل ، كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار . ويكون من خرافاتهم التى لا يعول عليها » .

وقال في التفسير أيضاً [١/٢٦٠] ، بعد ذكر كثير من الروايات التى فى الطبرى وغيره : « وقد روى فى قصة هاروت وماروت ، عن جماعة من التابعين ، كمجاهد ، والسدى ، والحسن البصرى ، وقتادة ، وأبى العالية ، والزهرى ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين ، من المتقدمين والمتأخرين . وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى . وظاهر سياق القرآن إجمال القصة ، من غير بسط ولا إطناب فيها . فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن ، على ما أراده الله تعالى . والله أعلم بحقيقة الحال » .   [تفسير الطبرى [٤٣٤/٢] بتصرف .

http://kotob.has.it

لكن الذي يهمنا في هذا الموضوع ليس الدفاع عن الرسالات السابقة ، ولكن حينما تصل إلى الإسلام فإن كنت تتبع المنهج العلمي فعليك تحقيق النصوص قبل أن تسوقها ، وإني أرى أن نقل الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة في بحث يدعي العلمية إنما يندرج تحت النهي الشديد عن الكذب على لسان رسول الله ﷺ : « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

٧

ثم ذكر الكاتب القرابين وتطورها الأسطوري ، ثم يشير إلى مشروعية التضحية بالحيوان فيقول [ص ٨٠] :

« وعندما جاء الإسلام شرع التضحية الحيوانية ، وحرم الوأد ، فألغى من عالمه القرابين البشرية ، واستعاض عنها بالختان تأسياً بالجد إبراهيم وامتثالاً لسنته » .

فلا أدري ما علاقة الختان بالقربان ؟! فإذا كان القربان عن الرجال بالختان فما هو القربان عن النساء ؟

(١) أخرجه البخارى [٣٤٦١] ، ومسلم [٣ ، ٤] .

http://kotob.has.it

٨

ويعود الكاتب إلى مسألة السيادة الأولى ذكورية كانت أم أنثوية مستدلاً بأستاذه « فرويد » فيقول [ص ٨٨] :

« لقد حاول الباحثون الإجابة على السؤال أيهما كان أولاً : النظام الأموي أو الأبوي ؟ فافترض « داروين » أن السيادة المطلقة كانت في البداية للذكر « المجتمع الأبوي » وأكمل « أتكسون » فقال : إنه قد حدث أن ثار الأبناء على الأب المتسلط القاسي المتوحش فقتلوه وافترسوه سوية ، ويستطرد « روبرتسون سميث » فيقول : إنه بعد ذلك مرت مرحلة انتقالية ظهر فيها النظام الأمومي ، ثم يسلم « فرويد » بكل ذلك ويقول : إن الأوضاع عادت بعد ذلك إلى سابق عهدها وساد الذكر مرة أخرى » . [الأسطورة والتراث] .

وهكذا : يستدل الكاتب بفرويد على عودة الحياة الذكرية ويتوجه بالنقمة الشديدة على المجتمع الرعوي الذي نشأت فيه النظم الأبوية والآلهة الذكورية ، ويمجد المجتمع الزراعي .

والعجيب أنه لم يلتفت إلى أنه لم يُعْبَدْ إنسان وهو حيٌّ إلا في المجتمعات الزراعية ، ففرعون عبد حيًّا ، وخير دليل قول اللّه تعالى حكاية على لسانه : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص : ٣٨] .

ويكفي بهذا الانحدار العقلي المثبت نصًّا بالقرآن ، وليس من الأساطير ، دليلاً على أن الضلال واحد لا فرق فيه بين مجتمع رعوي أو مجتمع زراعي ، فالشرك شرك « والكفر كله ملة واحدة » .

http://kotob.has.it

٩

ويدعي الكاتب أن الإسلام هو الوحيد الذي عبد الذكر ، بينما عبادة الأنثى كانت في الأديان السابقة حيث يقول [ص : ٩٤] :

« مع ملاحظة أن استمرار الوجود الأنثوي في العبادة مستمر حتى الآن في العقيدة المسيحية التي تعتبر مريم أم الإله المسيح من أبيه السماوي ، وهذه الأم إلهة تستوجب الاحتفال والعبادة ، ولعل في صيام العذراء المخصص لها دون بقية أقانيم المسيحية الثلاثة الذي يصوم فيه المسيحيون عن كل ما هو حيواني حي ، ويقتصرون فيه على أكل النبات ، تذكرة واضحة لا لبس فيها بالمجتمع الذي كان - في سالف العصور - يعتمد على الزراعة والنبات ، وكانت تسود الأم العذراء الأولى ، ولم تنته عبادة الأنثى إلا في بيئة رعوية مئة بالمئة ، ذكرية مئة بالمئة ، أقصد في الدين الإسلامي الذي تحول بالعبادة عن الأنثى نهائياً » . [الأسطورة والتراث]

فعنده جميع الأنبياء غير موحدين وعبدة للذكور والإناث ، والإسلام هو الذي تحول نهائيا عن عبادة الأنثى ؟ فهل عبد ذكراً ؟ وهل يجوز إطلاق صفة الذكر والأنثى على المولى تعالى ؟ أو على الملائكة الذين لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة وقد وصفهم المشركون بأنهم بنات الله ؟!! فالذكورة والأنوثة صفات للمخلوقات التي تتوالد وتتكاثر وليست للخالق سبحانه ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن : ٣] . ولا للملائكة المقربين يقول جل جلاله : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] .

http://kotob.has.it

١٠

ومن جديد يعود ليؤكد على مسألة الرعاة في مسألة الأضحية في الإسلام ، إذ يقول [ص : ١٠٧] : [redacted]

« وظل الاعتقاد قائما حتى اليوم ، ويمارس تذكرة بالأب الفادي والشهيد الأول ، وظل الخروف هو الضحية المثلى يذبحه أحفاد الرعاة المسلمون ، ويذبحه المسيحيون ليفطروا على لحمه بعد الصيام الأمومي النباتي الطويل » . [الأسطورة والتراث] .

فهل هذا كل ما أدركته من القضية ؟ وهل ما زال المسلمون رعاة في رأيك حتى اليوم ؟ وإن دخل الإسلام في الدول الزراعية كالهلال الخصيب والهند وماليزيا وغيرها !!!

إننا بالأضحية لا نؤدي شعيرة إسلامية الغرض منها إطعام الفقراء فحسب ، فلعلك غفلت عن قوله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] .

فكل العبادات فى الإسلام هي لله[١] ، والمستفيد منها هم العابدون ومَن حولهم .

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

http://kotob.has.it

ولكن القمنى نسى هذا المعنى السامي في الإسلام وجعل الأضحية فقط تذكيراً بذبح الأب . فيالها من تحليلات أسطورية .

١١

ولا ينفك عن إيراد الروايات الواهية التي لا يجوز الاحتجاج بها في لقاء آدم وحواء ويعطي « عرف » معنى « جَامَع » ويربط بها « إساف ونائلة » والعلاقة بينهما والعبادة الجنسية ، حرصاً منه على ربط الإسلام بجذور الأساطير عندما يعيده إلى العبادة الجنسية التي كانت شائعة فى خياله .

ثم إنه شديد الحرص على أن يربط بينها وبين « آل » و « إيل » وكل أسماء الآلهة التي دحضناها في تأسيسنا ، مع ربطه الحج أيضا ولباسه ونسبته إلى العري حتى يؤكد لنفسه أوهامه .

ثم يستغرق في التفسير الجنسي عن دم الحيض وارتباطه بالقمر ، وسر الميلاد في الأساطير .

لكن الغريب هو استخدامك أيها الباحث الكبير لكلمة « احتكاك » وتنسبها إلى الحجر الأسود ولتستنتج منها « حسب عادتك » أن أصل الحج « حك » ، وكل هذا نجده في الصفحتين [١٢٦ - ١٢٧] حيث يقول :

« وهناك رواية إسلامية أخرى تقول : إن « آدم » و « حواء » عندما هبطا من الجنة نزلا مفترقين ، وظلا هائمين حتى التقيا ، وعرف « آدم » « حواء » « أي جامعها » ، والتوراة بشكل خاص تصر على استخدام لفظ عرف بمعنى جامع » على جبل عرفة ؛ لذلك عرف الجبل باسم عرفة لأن « آدم » عرف أو جامع « حواء » عليه ، ومن هنا تقدس

http://kotob.has.it

الوقوف بعرفة ، وكان الوقوف بعرفة من أهم مناسك الحج الجاهلي ، فكانوا يتجهون إلى هناك ذرافات ذكورا وإناثا يبيتون ليلتهم حتى يطلع عليهم النهار ، وإن العقل ليتساءل أمام مشهد ألوف الرجال والنساء يتجهون إلى الجبل ليبيتوا هناك جميعا حتى الصباح : ما وجه القدسية في هذا الطقس ؟ إن لم يكن من قبل ذلك تجمعا لممارسة طقس الجنس الجماعي طلبا للغيث والخصب ، مع ملاحظة أن عرفة يطلق عليها الجمع « عرفات » ، ولا نعرف جبلا يجمع اسمه إلا « عرفات » ؟! فهل الجمع هنا للجبل أم للمجتمعين على الجبل في حالة جماع أو عرفات ، يماثلون به الفعل الأول الذي قام به « إساف » عندما عرف « نائلة » ، أو « آدم » عندما ضاجع « حواء » أو إله القمر « إل » عندما جامع الشمس « إلات » ؟ وهذه حقيقة ثالثة نضيفها إلى الرصيد » .

[الأسطورة والتراث] .

أما علمت أن القيام بالفعل الجنسي في الحج يهدم العبادة ويقتضي الإعادة لا سيما إذا كان في عرفات ، ولا ينبغي القيام بذلك حتى يتم التحلل الأكبر بالطواف . وهل الحج إلّا ابتعاد عن الأطايب من النساء والطيب والملبس ؟! فحصرت كل ذلك في التذكير بالفعل الجنسي الأول ، فياله من تحليل فرويدي عجيب !

ثم يقول : ■■

« ولو عدنا إلى طقوس الحج الجاهلي فسنجد طقسا عجيبا ومثيرا ، وهو أنهم كانوا يطوفون حول البيت الإلهي ذكورا وإناثا عراة تماما ، فما الداعي لهذا العرى إن لم يكن بغرض يستحق العرى ؟ وعندما جاء الإسلام جعل للإحرام زيا لا يستر إلا العورة ، بل وحرم لبس المخيط وكره لبس الطيلسان المزرر للمحرم .

http://kotob.has.it

وهناك رواية إسلامية تقول : إن الحجر الأسود كان أبيض لكنه اسود من مس الحيض في الجاهلية ، أي أنه كان هناك طقس لدى الجاهليين تؤديه النساء في الحجر ، وهو مس الحجر الأسود بدماء الحيض ، ودماء الحيض بالذات ؟!! وقد كان دم الحيض عند المرأة في اعتقاد الأقدمين هو سر الميلاد ، فمن المرأة الدم ، ومن الرجل المني ، ومن الإله الروح . علما أن الدورة الشهرية للمرأة تتوافق مع حركات القمر توافقا بيناً ، وكان « إل » كما علمنا هو إله القمر ؟!

وطقس عجيب آخر هو الاحتكاك بالحجر الأسود ، بل إن كلمة حج مأخوذة أصلا من فعل الاحتكاك ، فهي في أصلها من « ح ك » مع الأخذ بالاعتبار هيئة الحجر الأسود وشكله » .

إن الحج الجاهلي لم يكن مطلق العري ، وإنما كان بغرض الطواف بثياب جديدة لم يعص اللّه فيها ، ومن لم يجد طاف عريانا ، ولم يثبت التاريخ حدوث ذلك إلا مع تلك المرأة التي قالت وهي تطوف :

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدى منـه فلا أُحِلُّهَ

فالأمر لا يعدو أن يكون خبرا تاريخياً ورد فى بعض كتب التاريخ غير موثق .

ومن أين أتيت بالرواية الإسلامية عن دم الحيض والحجر الذي كان أبيض ثم اسودَّ ، فلا يجوز البناء لمجهول ثم تنسبه إلى الإسلام ، ولم أسمع أن الناس فى الطواف تحتك بالحجر وليس ذلك بمستطاع ، بل المستطاع والمشروع هو التقبيل له مع الإمكان ، وما هو الاعتبار الذي نأخذه لهيئة الحجر الأسود في عملية الحك ، فالحجر غائر في الداخل وحوله إطار من الرصاص والعنبر والمواد اللاصقة .

http://kotob.has.it

ثم يعود ليمجد « فرويد » فيجعل الحلق إشارة إلى القتل والذبح ، والحلق هو المستدير في الشيء ، وهو رمز جنسي واضح ، وحلق بمعنى ارتفع وطار ، وهو التفسير الفرويدي الذي تترضى عنه دائما رمزاً للفعل الجنسي .

وإذا كنت أنكرت على المفسرين اشتقاقهم لأصل كلمة إبليس ، فلماذا تربط بين الحلق والحلَق وتصادق على تفسير اليهودي « فرويد » .

فياله من خيال مبرمج على المادية ونظريات اليهود . ولنقرأ ما جاء فى [ص : ١٢٨] :

« وما لزوم طقس حلق الشعر – وبالذات عند المروة – الذي لايمكن فهمه بالمرة ، إلا في ضوء طقوس الخصب الجنسية القديمة ، والذي كان بديلا عن الجنس الجماعي ، وخاصة أنهم كانوا يمزجونه بالدقيق ، ويترك للفقراء يصنعونه فطيرا في هيئة القمر ، والفعل حلق « ح ل ق » يعني – إضافة إلى قص الشعر – القتل والذبح والحلق هو المستدير في الشيء ، وهو رمز جنسي واضح ، « حلق » بمعنى ارتفع وطار هي في التفسيرات الفرويدية رمز للفعل الجنسي » . [الأسطورة والتراث] .

ولا تنسى أن تجعل للقمر احتراما في الإسلام فهو دين قمري ، وتتخذ من رمز الهلال على منارات المساجد حجة في ذلك علما أنه لم يرد بذلك أي نص .

وتربط ذلك بالثالوث القمري حتى تفهم «أنت» أن هذه العبادة طقس من الدين اليمني ، انتقلت إلى مكة ، والتي أبقاها الإسلام بعد أن اعتنى بها . ونجد ذلك في [ص : ١٢٩] :

« وظل للقمر دوره واحترامه في الإسلام ، بعد أن تحول من « إل » أو الله إلى آية من آياته ، فوضع فوق المآذن مع النجمة رمزا للزهرة ؟!

http://kotob.has.it

وظلت الشهور قمرية . والحج قمريا ، والصيام قمريا بدويا كامل الجوع .... الحقيقة أنه لا يمكن فهم هذا كله إلا في ضوء عبادة الثالوث القمري ، وأن هذه العبادة قد رافقها في أصلها اليمني طقوس جنسية واضحة ، انتقلت من مكي مع « إل » إلى مكة . وظلت عند الجاهليين ، وبقيت منها بقايا تشير إليها . في كثير من الطقوس ، التي ظلت في شعائر الحج الإسلامية ، فيما أبقاه الإسلام من الشعائر الجاهلية ، لكن بعد أن نقاها من شوائبها القديمة وارتقى بها بما يتفق والمقاييس الخلقية الجديدة » . [الأسطورة والتراث] .

وهكذا تذكرنا بالثالوث القمري الذي انهار مع انهيار ترجمات النقوش السالفة التي أشرنا إليها في التأسيس ، وتربطه بالجنس مرة أخرى ، وبالانتقال من مكي إلى مكة ، إذن .. فأول بيت برأيك هو « مكي » باليمن وليس في مكة .

ومع التملص في آخر النص إلا أنك في أوله تقول : وبقي له احترامه . فما هو هذا الخلط ؟

١٢

ولا تنسى أن تقتبس في [ص : ١٤١] أن اسم مكة أخذ على رأي « بطليموس » من كلمة يمنية مكونة من « رب ومك » بالقلب على عادة أهل الجنوب .

كما تفيدنا بكلام « بروكلمان » أنه مأخوذ من كلمة « مقرب » ومعناها : الهيكل أي المذبح ، وتترك ذلك لفطنة القارئ لتفسير كلمة « مقة » اليمنية .

http://kotob.has.it

ويتجلى ذلك بقوله [ص : ١٤١] :

« وقد فسر المؤرخون واللغويون العرب اسم مكة تفسيرات كثيرة لغوية وغير لغوية استنبطوها من مكانة الكعبة وقدسيتها في نفوس العرب ، وهذه التفسيرات متأخرة بطبيعة الحال ، واسم مكة سابق على هذه المفهومات ، ولما كانت قبائل الجنوب هي أول من استعمر هذا الوادي فالأرجح أن اسمها أخذ من لغة الجنوب مستندا إلى البيت الحرام ، فمكة كما ذكرها بطليموس كلمة يمنية مكونة من « مك » و « رب » ، و « مك » تعني البيت ، فتكون « مكرب » بمعنى بيت الرب ، أو بيت الإله ومن هذه الكلمة أخذت مكة أو بكة بقلب الميم باء على عادة أهل الجنوب ، ويقول المؤرخ « بروكلمان » أنها مأخوذة من كلمة مقرب العربية الجنوبية ومعناها الهيكل أي المذبح ، وأترك هذه الفقرة لقارئي دون تعليق وفقط أذكره بتفسيري لكلمة « المقة » اليمنية » .

[الأسطورة والتراث] .

إن المولى تعالى يقول : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] .

وأنت تجعل أول بيت وضع للناس في الجنوب ، وما كان بناء الكعبة إلا إحياء لذكر ذلك البيت الأول ، وهي منك معارضة صريحة للقرآن ، لكنها معارضة لا تعتمد إلا على الأساطير وتشابه الأسماء والحروف الحلقية واللسانية والشفوية ، واعتماداً على بروكلمان وبطليموس وغيرهما . فهل ندع القرآن ونعتمد على أقوالهم ؟ وهل هذا هو المنهج العلمي والصرامة العلمية التي تنتهجها ؟

صدقني إن هذا القصص الخيالي يستحق جائزة نوبل أسوة « بأولاد حارتنا » .

http://kotob.has.it

١٣

وترى أن الدولة اليهـودية التي نشـأت على الأساطير قد تم تدميرها ، وذلك في [ص : ١٥٥] :

« ويثور اليهود ثورات متكررة ضد الرومان ، فيأتي القائد «طيطس» ليكسب في التـاريخ شرف إنهاء الوجـود اليهودي هنـاك ، ويدمر الهيكل ، ويشتت أصحابه ، ليبدأ عصر الشتات لليهودي التائه ، لكن ليكون ذلك بداية بعث جديد ، واحتلال عالمي للعقول وتهويدها ، ومع ظهور المسيحية وانتشارها ، إضافة إلى فرصة أخرى حانت في مكان بعيد في عمق البوادي مع ظهور الدعوة الإسلامية ، وهو ما سنلمسه لمساً رفيقا إبان استمرارنا في بحثنا هذا » . [الأسطورة والتراث] .

ونحن لا نختلف على التحريف الذي حدث للتوراة ، ولكن أن تنسب التحريف بقولك : « ليبدأ عصر التشتت اليهودي ليكون بداية لاحتلال عالم العقول وتهويدها » ، فلا أدري أي عقول تلك التي احتلت ؟ أليست عقول العلمانيين عن طريق دعاة اليهودية المعاصرين .

ومع ظهور المسيحية وانتشارها إضافة إلى فرصة أخرى حانت في مكان بعيد في عمق البوادي مع ظهور الدعوة الإسلامية ، فأدرجت كل أساطيرك وتحريفات اليهود السابقين ومعلميك المعاصرين في الإسلام ، ووعدت بأنك ستلمسه لمسا رقيقا إذا أتممت البحث .

http://kotob.has.it

١٤

لقد تناول الكاتب قصة الطوفان معتبرا إياها قصة من الأساطير ، حيث يقول [ص : ١٦٩] : ☚

« ويذهب « د. جواد علي » في موسوعته « الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام » إلى أن الشاعر « أمية بن عبد الله بن أبي الصلت » هو الناظم الحقيقي لحادثة الطوفان ، بالشكل الذي عرفه العرب قبل الإسلام مباشرة .

هذا أمر ، أما الرواية القرآنية الكريمة عن الطوفان فأمر آخر ، فالنبي « نوح » فيها « عليه السلام » نبي كريم كمحمد ﷺ ، أرسله الله تعالى لهداية قومه فكانوا كأهل الجاهلية ، في تكذيبهم وجحودهم لدعوة الإسلام الكريمة ، ولما كان دعاء النبي مستجابا ، فقد دعا نوح « عليه السلام » على قومه بالفناء ، فاستجاب له مجيب الدعاء ، وأرسل عليهم الطوفان ، وهو ما تقوله الآيات الكريمة : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . **[الأسطورة والتراث] .**

وكانت قصة النبي « نوح عليه السلام » كغيرها من قصص الأنبياء ، والقرى الكافرة بالنبوات ، عبرة لمن عارضوا دعوة المصطفى ﷺ وتحذيراً ووعيداً ، وواضح في مجمل الآيات التي ذكرت النبي نوحا عليه السلام ربطها بين قوم « نوح » وقوم « محمد ﷺ » تذكرة بمصير من سبق وكذبوا ، ومثال ذلك : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ [الحج : ٤٢] . ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾ [الفرقان : ٣٧] .

http://kotob.has.it

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ ﴾ [ص : ١٢ ، القمر : ٩ ، غافر : ٥] .

فلا أدري كيف غفلت عن أن قصة الطوفان قد وردت في جميع الكتب السماوية ، بل وذكرت في جميع الحضارات السابقة حسب ما اكتشف من الحفريات والنقوش التي تركتها تلك الحضارات . ولعله قد أعجبك قول « جواد علي » أن المؤلف الأساسي لها هو « أمية بن أبي الصلت » وتستدل بمن أنكر وبمن أيد ، وبمن عرف ومن لم يعرف بالقصة ، ثم تستدل فيما بعدها بروايات واهية لا يستقيم منها شيء .

وكل هذا لمس خفيف ، مع أنه إنكار صريح لآيات واضحات وردت في القرآن الكريم .

١٥

وتثور فيك الحمية الفرعونية لانتصار الراعي على المزارع ، فهي من قبيل الاجترار الذي تعودناه في كتبك ، ولا تنسى أن تدافع عن الفراعين وتستنكر اعتبارهم كفاراً ملاعين ، بل وتثور لجالوت الكافر على طالوت المؤمن ، حيث تقول [ص : ١٧٤ - ١٧٥] : ☚

« ولن تجد كتاباً تراثيا واحدا يخلو من ذكر القصة التوراتية الملغومة ، مع إضافات وشروحات اجتهادية لإنصاف « سام » على « حام » أو لإنصاف الراعي على المزارع ، أو أهل المراعي على أهل الوديان الخصبة ، ومن هنا نفهم لماذا أصبح كل الفراعين في نظر أحفادهم المسلمين كفاراً ملاعين ، ولماذا يترحم الفلسطيني اليوم على « طالوت » أو « شاؤول » الإسرائيلي ، ويلعن جده « جالوت » أو « جوليات »

http://kotob.has.it

الذي استشهد وهو يدافــع عن أرضه ، وما على الاثنين سوى مسح عرق الحياء عن الجبين ، من أفاعيل الأجداد الملاعين ، مع بني عابر الطيبين ، وإذا كان « ابن كثير » قد صب نقمته على جده « كنعان » ، فلا غرابة إذا وجدنا العرف في القرية المصرية يستمد أصوله من كتب التراث الإسلامية فيجعل من ينتحلون اسم « العرب » ويعدون أنفسهم من أصل رعوي « من جزيرة العرب » أصحاب حق مشروع في السيادة والسلب والنهب دون استهجان ، بينما يصبح الانتساب للفلاحين سُبة وعاراً وضعفاً ومذلة وهواناً ، مما جعل أصحاب الأصول المصرية القحة يتنافسون في استكشاف أصول بدوية عربية لأروماتهم ، مما يسجل النتيجة الواضحة للجولة بين الراعي والمزارع ، أو بين أبناء « سام » وأبناء « حام » على المستوى الديني ، ثم بالتبعية على المستوى الاجتماعي والنفسي ، بل السياسي ، وهو أمر لا مندوحة من الاعتراف به ، ولا عزاء للفلاحين » .

« وهكذا لا تستغرب أن يستمد المصريون من ذلك ، فتجعل من ينتحلون اسم العرب ويعتبرون أنفسهم من أصل رعوي أصحاب حق مشروع في السلب والنهب ، والانتساب للفلاحين سبة وذل وهوان ، مما جعل أصحاب الأصول المصرية القحة يتنافسون في اكتشاف أصول بدوية لأرومتهم ، وتصبح الجولة في مصلحة الراعي ضد المزارع ، ثم التبعية الاجتماعية والسياسية ، ولا عزاء للفلاحين » .

فالتمييز لديه عنصري وليس دينياً ، ففرعون ممجد وإن كان من دعاة الألوهية ، وطالوت منبوذ وإن كان من الصالحين . وكذلك أنبياء بني إسرائيل بطارقة لأنهم ليسوا فراعنة !! ويا للغفلة العظمى « فرويد وماركس ودارون » وإن كانوا يهوداً رعاة ولذلك فهم مقدسون ذوو تحليلات بارعة زالت عنهم نجاسة الأصل الرعوي لأنهم سكنوا أوربا سادة العالم اليوم .

http://kotob.has.it

وبعد أن يستطرد الكاتب في مسألة نبي الله سليمان في عدة صفحات ، يصر على تلبيس الإسلام تحريفات اليهود ، وذلك بقوله [ص : ٢٠٥] :

« فمن المعلوم أن أهم تفاصيل رواية القرآن الكريم ودقائقها ، حول نبوة « سليمان » عليه السلام ، ومُلكه ، قد جاءت في سورتين بالتحديد ، هما سورة النمل وسورة ص ، ومعلوم أيضا أن كلتا السورتين من السور المكية ، وفي المرحلة الزمنية السابقة على هجرة نبي الإسلام « محمد عليه الصلاة والسلام » من أم القرى مكة إلى يثرب أو المدينة ، حيث كان لليهود فيها مكان ومكانة ، وكان طبيعيا أن تسبق الرسول ﷺ إلى المدينة ، تلك الآيات العظيمة التي تحكي قصة المملكة اليهودية الغابرة ، وموقف الإسلام ونبيه منها ، والرأي الواضح بشأنها .

ومع « سليمان » عليه السلام في الإسلام ، نجدنا بإزاء أكبر حشد من الخوارق والمعجزات ، ونعيش جواً سحريا في مملكة للعجائب ، تمتلئ بالمردة والعفاريت والجن والشياطين ، وهو أمر تضيق بالحديث التفصيلي فيه ، صفحات موضوع قصير كهذا ، ومن هنا سنعمد مضطرين إلى الإيجاز ، بادئين بقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ص] وهي آيات توضح لنا إلى أي مدى بلغ مُلك « سليمان » وعظمته كملك نبي » . [الأسطورة والتراث] .

وتستهول ما ورد في القرآن عن ملك سليمان الذي حاولت أن تهون منه ، وتسخير الرياح والشياطين والغواصين ، وما إلى ذلك من عباراتك التي لا تنم عن إيمان بهذه الآيات ، ثم تلبس ذلك بالروايات المكذوبة والضعيفة حتى تدخل

http://kotob.has.it

الإسلام في حياض الأساطير معتمداً على روايات واهية ، الإسلام منها براء .

فنحن لا نأخذ ديننا إلا من الكتاب والسنة ، أما روايات القصصيين فلا نقيم لها اعتباراً ، بل إنك تستغرب على سليمان عليه السلام أنه يعلم لغة الطير ، ولا يهمني مايقوله القصصيون كالجزائري والنيسابوري وحتى ابن كثير والثعلبي ، بل يهمني ماجاء في آيات اللّه التي وردت في ملك سليمان وما وهبه اللّه له .

١٧

ولا تنسى أن تختم الفصل بحديث عن السيدة عائشة رضي اللّه عنها ، عن الخيول المجنحة ، وأنها حينما ذكرتها للنبي « ضحك عفويا حتى بدت نواجذه ، وذلك بقولك [ص : ٢١٠] : ☚

« وفي الحديث عن « عائشة » رضي اللّه عنها قالت : قدم رسول اللّه ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفي سهوتها ستر ، فهبت الريح فكشفت ناحية من الستر عن بنات لعائشة تلعب « أي إماء صغيرات » فقال : ما هذا ياعائشة ، فقالت : بناتي ، ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع « أي وضعوا له أجنحة مصنوعة ليلعبوا به » فقال : ماهذا الذي أرى في وسطهن ؟ قالت : فرس . قال : وما الذي عليه هذا . قالت : جناحان . قال : فرس له جناحان ؟! قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة ؟

[الأسطورة والتراث] .

وهنا نصل إلى فصل الخطاب فيما روته السيدة عائشة رضى اللّه تعالى عنها عن رد النبي ﷺ . ذلك الرد الذي لم يأت كلاما ، قدر ما جاء رد فعل عفوي ...

http://kotob.has.it

قالت « عائشة » : فضحك حتى رأيت نواجذه !! »[1] .

ولعلك هنا تترك القارئ لذكائه كما أشار أستاذك « حنفي » !!

فإن كنت تعتبر أن للنبي ردًّا عفويًّا وردًّا مخططاً ، فإننا نعتقد أنه لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا حقا ، فالذنب ذنبك إن لم تفهم أن اللّه على كل شيء قدير إذ ادعيت الإحاطة بعلم كل شيء مما يُرىَ ومما لايُرىَ مما توارى . فإن صح الحديث فلابد من المنطلق الإيماني بأن اللّه على كل شيء قدير أو أن هناك خيل بهذه الصفة سواء من العفاريت أو غيرهم من المخلوقات ، فنحن لا ندعي الإحاطة علماً بما خلق اللّه فهذا الأمر من جنس المعجزات مثل تسخير الرياح والجن والعفاريت وعلم منطق الطير فلا غرابة ولا استبعاد على قدرة اللّه تعالى .

١٨

ووقع الكاتب في سقطه شنيعة باعتباره الرعاة كانوا عمالة رخيصة في مناجم الإمبراطوريات حيث يقول [ص : ٢٢٢] :

« وحيث لم يكن العرب بمعزل عن الحضارات الكبرى السالفة أو الحضارات التي عاصروها خاصة مع صفتهم كبدو مرتحلين دوماً على أطراف الوديان الخصيبة ، ومع صفتهم كعمالة رخيصة في المناجم الحدودية لإمبراطوريات الأوان ، ومع امتهانهم التجارة القومسيونية في قرون ما قبل الإسلام ، فقد أدى ذلك بالعربي إلى الاطلاع على شئون

(١) الحديث أخرجه أبو داود [٤٩٣٢] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٤١٢٣] .

http://kotob.has.it

تلك الحضارات ومعتقداتها ، لكن الفارق الثقافي الهائل ، أفسح مساحة أخرى هائلة للخيال العربي ، ليسد تلك الفجوة ، ويعيد الاتزان المفقود ، مع الانبهار بشيء مثل حدائق بابل المعلقة ، أو أمام أهرامات مصر ، أو قصور فارس ، أو سور الصين ، فما كان للبدوي في تفرقه القبلي ، أن يتصور إمكان قيام أفراد من جنس البشر بإقامة مثل تلك الإنجازات الضخمة بالقدرات الإنسانية وحدها ، لذلك ، وحتى يتقبل الجاهليون ما شاهدوه أو سمعوه ، قاموا يملأون الفجوة النفسية والهوة الثقافية بردم من المعجزات ، يقوم به الجان والملائكة والعفاريت ، ليتحقق العمل الإعجازي اللازم لتلك المنجزات ، ومن ثم لم تكن شخصية عظيمة كشخصية « الإسكندر » بإنجازاته خلال عمر قصير وزمن قياسي ، لتفلت من صياغة بدوية ، فكان أن صاغوا حوله الكثير ، حتى ذكر « الدميري » اعتقاد العرب أن رجلا كالإسكندر لا بد كان مؤيدا من قوة عليا ، لذلك قالوا : إن أمه وإن كانت آدمية ، فإن أباه كان أحد كبار الملائكة المكرمين ، ويبدو - فيما يزعم « الدميري » - أن هـذا الأثر قد استمر إلى ما بعد الإسلام ، فيقول : إن عمر ابن الخطاب سمع رجلا ينادي : ياذا القرنين ، فقال : أفرغتم من أسماء الأنبياء .. حتى ارتفعتم لأسماء الملائكة » ؟! [الأسطورة والتراث] .

فأنت تعلم أن العرب كانوا يستنكفون من الصناعة كالحدادة والنجارة ويعتبرونها سبة ، ولكن التفسير المادي للتاريخ ذهب بك هذا المذهب .

ولم تنس أن تصف تجارتهم القومسيونية وسبب اطلاعها على الحضارات ، واندهاشهم بها ، ونسبة تلك الحضارات إلى الجن والعفاريت .

بل وتختم الفقرة بحديث ضعيف تنسبه إلى عمر رضي الله عنه حيث يقول : « أفرغتم من أسماء الأنبياء .. حتى ارتفعتم لأسماء الملائكة » ، فهل حدث أن بعث الله مَلَكا ليسوس الناس ، لو كان فاعلاً سبحانه وتعالى لجعل الأنبياء

http://kotob.has.it

ملائكة ، وهو ما كانت تطلبه قريش ، بل كانت تستنكر على رسول اللّٰه أن يكون رجلاً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧] ، ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٣] . وطريقة نقلك عن الدميري توضح أنه يحكي أسطورة خيالية ، وأين سند حديث سيدنا عمر حتى تبني عليها استنتاجاً خطيراً كهذا ؟

١٩

ثم أوردت في حديثك عن الإسكندر اشتراط الكهنة عليه أن يحج ماشيا حافياً ، وذلك بقولك [ص : ٢٣٣] :

« اعترف الكهان بالإسكندر ابنا شرعيا للإله المصري ، ولكن بشرط أن يقوم بالحج إلى واحة « آمون » ماشيا حافيا يتقدم الجماهير ، ليعلن هناك ولاءه للآلهة ، ثم ليتسنى له كسب الخلود بالشرب من بحيرة الحياة ، وإزاء رغبته في فتح العمق المصري سلميا دون مصادمة ، قام « الإسكندر » بالرحلة القاسية في الصحراء القاحلة الساخنة من أجل الحج . مدللا على استحقاقه التلمذة لعبقري زمنه « أرسطو » ولا شك أنه يمكننا أن نرى من خلال سجف الزمن عيون الرضا ترعاه من كل الشعب المصري ، وربما ابتهلت الألسن وأطلقت عليه لقب المخلص ، الذي خلصها من الطغيان الفارسي « عويس » . وبالفعل يحدث التاريخ أن « الإسكندر » استولى على مصر وعلى قلوب جماهيرها المؤمنة ، وأعلنه الكهان حاكما شرعيا على البلاد ، بالحكمة الأرسطية وحدها » .

[الأسطورة والتراث] .

http://kotob.has.it

إنك ترى أن الإسكندر استولى على قلوب ملايين المصريين المؤمنة بآمون ، ومرد ذلك في رأيك إلى الحكمة الأرسطية وحدها ! أليس في هذا أيضا مصرنة وفرعنة للمنطقة ؟! وأنت الذي كنت تعيب هـذه العنصرية على اليهود .. ولكن لا بأس بها عندك إن كانت فرعونية .

ثم تستطرد في الصفحات التالية بذكر خرافات وردت في كتب السير ، ونحن لانقيم لها اعتباراً ، فكما قلنا ونكرر دائما إن هذا العلم دين ، وعلينا أن ننظر ممن نأخذ عنه ، ونحن لانأخذ ديننا إلا من كتاب اللّٰه وسنة نبيه الثابتة الصحيحة ، أما التقولات سواء كان مصدرها إسرائيليات أو أساطير فلا نقيم لها وزناً ولا تؤسس في عقلنا الإسلامى أي معنى .

٢٠

أما مسألة النسخ في القرآن ، فقد أفرد لها القمني فصلاً مميزاً في كتابه ، وقد نقل فيه عن « طه حسين » من كتابه « الفتنة الكبرى » مايلي : [ص ٢٧٥]

« وقد عقب « د. طه حسين » على ذلك بقوله : إن النبي ﷺ قال : نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف وشاف ، وعثمان حين حظر ما حظر من القرآن ، وحرق ما حرق من الصحف ، إنما حظر نصوصاً أنزلها اللّٰه ، وحرق صحفاً كانت تشمل على قرآن أخذه المسلمون عن رسول اللّٰه ﷺ ، وما كان ينبغي للإمام أن يلغي من القرآن حرفا أو يحذف نصًا من نصوصه ، وقد كلف كتابة المصحف نفراً قليلا من أصحاب النبي ، وترك جماعة القراء الذين سمعوا من النبي وحفظوا عنه ، وجعل اليهم كتابة المصحف ، ومن هنا نفهم سر غضب ابن مسعود ، فقد كان ابن مسعود من أحفظ الناس للقرآن ، وهو فيما يقول : قد أخذ من فم النبي ﷺ سبعين سورة

http://kotob.has.it

من القرآن ، ولم يكن زيد بن ثابت قد بلغ الحلم بعد ، ولما قام ابن مسعود يعترض الأمر ، رافضا تحريق صحف القرآن أخرجه عثمان من المسجد إخراجا عنيفا ، وضربت به الأرض فدقت ضلعه » .

لقد احتوت هذه الفقرة الكثير من المغالطات ، ونظراً لأهمية الموضوع نورد ما ذكره الإمام الجليل بدر الدين الزركشى فى كتابه القيم « البرهان فى علوم القرآن » ، يقول رحمة الله تعالى عليه :

ثبت فى الصحيحين[١] من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أقرأنى جبريلُ على حرف فراجعتُه ، ثم لم أزل[٢] أستزيده فيزيدُنى ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف » .

زاد مسلم : قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك السبعة إنما هى فى الأمر الذى يكون واحداً لا يختلف فى حلال ولا حرام .

وأخرجا أيضا من حديث عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم ابن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤُها - وفى رواية : على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ - فقلت : يا رسول الله ، إنى سمعت هذا يقـرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أرْسلْه ، اقرأ » ، فقرأ القراءة التى سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أُنزلت » ، ثم قال لى : « اقرأ » ، فقرأت ، فقال : « هكذا أُنزِلَتْ ، إن هذا القرآن أُنزلَ على سبعة أحرف ؛ فاقرءُوا ما تيسَّر منه »[٣] .

---

(١) متفق عليه ، البخارى [٤٩٩١] ، ومسلم [٨١٩] .

(٢) اللفظ فى الصحيحين : « فلم أزل » .

(٣) الحديث أخرجه البخارى [٤٩٩٢] عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سَمِعْتُ هِشام بْنَ حَكيم يَقْرأ سُورَةَ الفُرْقانِ فى حَياةِ رسُولِ الله ﷺ ، فاسْتَمعْتُ لِقِراءَتِه فإذا هو =

http://kotob.has.it

وأخرج مسلم نحوه عن أُبى بن كعب وفيه : فقال النبى ﷺ : « فإنى أرسل إلىَّ أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هوِّن عَلى أمَّتى ، فردَّ إلىّ الثانيةَ : اقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أنْ هوّن على أمتى ؛ فردَّ ، إلى الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مسألةٌ تسألُنيها ، فقلت : اللَّهُمَّ اغفِرْ لأمتى . وأخرت الثالثة ليوم يَرغب إلى الخلقُ كُلُّهم ، حتى إبراهيم عليه السلام »(١) .

= يقرأ على حُرُوفٍ كَثيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنيها رَسُولُ اللَّه ﷺ ، فَكِدْتُ أُساورهُ فى الصلاة ، فَتَصَبَّرْتُ حتى سَلَّم ، فَلَبَّبْتُهُ بردائه فقلت : مَنْ أَقرَأَكَ هذه السُّورَةَ التى سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ ؟ قال : أَقْرَأَنيها رَسُولُ اللَّه ﷺ ، فقلت : كَذَبْتَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَدْ أَقْرَأَنيها على غَيْرِ ما قرأت . فانطلقت به أقودُهُ إلى رَسُولِ اللَّه ﷺ فقلت : إنى سَمِعْتُ هذا يقرأ بِسُورَةِ الفُرْقَانِ على حُرُوفٍ لم تُقرِئْنيها . فقال رسُولُ اللَّه ﷺ : « أَرْسِلْهُ ، اقرَأْ يا هِشامُ » . فَقَرأَ عليه القِراءَةَ التى سَمِعْتُهُ يقرأ فقال رسول اللَّه ﷺ : « كذلك أُنزلتْ » . ثُمَّ قال : « اقرَأْ يا عُمَرُ » ، فقرأت القراءة التى أقرأنى ، فقال رَسُولُ اللَّه ﷺ : « كذلك أُنْزِلَتْ ، إنَّ هذا القُرآنَ أُنزِلَ على سَبْعَةِ أَحرف ، فاقرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ » . وأخرجه مسلم [٢٧٠/٨١٨] .

(١) الحديث أخرجه مسلم [٢٧٣/٨٢٠] عن أبى بن كعب قال : كنت فى المسجد : فدخل رجل يُصَلِّى . فقرأ قِرَاءَةً أَنكَرْتُهَا عليه . ثُمَّ دخل آخر . فقرأ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صاحبه . فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول اللَّه ﷺ . فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه . ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه . فأمرهما رسول اللَّه ﷺ فقرأا . فَحَسَّنَ النبى ﷺ شَأْنَهُمَا . فسُقِطَ فى نَفْسِى مِنَ التَّكْذِيبِ . وَلَا إِذْ كنت فى الجاهلية . فلما رَأى رسول اللَّه ﷺ ما قد غَشِيَنِى ضَـرَبَ فى صـدرى . فَفِضْتُ عَرَقًا . وكأنما أنظر إلى اللَّه عز وجل فَرَقًا . فقال لى : « يا أُبَىّ ، أُرْسِلَ إِلَىَّ : أَنِ اقْرَإِ القُرآنَ على حرف . فَرَدَدْتُ إليه : أن هَوِّنْ على أُمَّتى . فَرَدَّ إلى الثانية : اقْرَأْهُ على حَرْفَيْنِ . فرددت إليه : أن هون على أمتى . فرد إلى الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف . فلك بكل رَدة رَدَدْتُكَهَا مسألة تسألُنيها . فقلت : اللَّهُمَّ ، اغفر لِأُمَّتى . اللَّهُمَّ ، اغفر لِأُمَّتى . وأَخَّرْتُ الثالثة ليوم يَرْغَبُ إلى الخلق كُلُّهُمْ . حتى إبراهيم ﷺ » .

http://kotob.has.it

وأخرج قاسم بن أصبغ فى مصنفه من حديث المقبُرِىّ عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « إن هذا القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف ، فاقْرَءوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكرَ رحمةٍ بعذاب ، ولا ذكرَ عذابٍ برحمة » .

وأما ما رواه الحاكم فى المستدرك عن سَمُرة يرفعه : « أنزل القرآن على ثلاثةِ أحرف »[1] فقال أبو عبيد : تواترتِ الأخبار بالسَّبْعة إلا هذا الحديث .

قال أبو شامة : يحتمل أن يكونَ معناه : إن بعضَه أُنزِل على ثلاثة أحرف ، كجذَرِه والرهب والصدق ؛ فيقرأ كلٌّ واحد على ثلاثة أوجه فى هذه القراءة المشهورة . أو أراد أنزِل ابتداء على ثلاثة ، ثم زيد إلى سبعة . ومعنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يُقْرأ على حرفين ، وعلى ثلاثة ، وأكثر ، إلى سبعةِ أحرُفٍ ، تَوْسِعَةً على العباد ، باعتبار اختلاف اللغات والألفاظ المترادفة وما يقارب معناها .

وقال ابن العربى : لم يأت فى معنى هذا السَّبع نص ولا أثر ، واختلف الناس فى تعيينها .

وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان البستى : اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولا .

وقد وقفت منها على كثير ؛ فذهب بعضهم إلى أن المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به الحصْر . والأكثر على أنه محصورٌ فى سبعة ؛ ثم اختلفوا : هل هى باقية إلى الآن نقرؤها ؟ أم كان ذلك أولا ؟ ثم استقر الحال بعده على قولين .

---

(١) أخرجه الحاكم [١٣/٢٨٨٤] وقال : قد احتج البخارى برواية الحسن عن سمرة ، واحتج مسلم بأحاديث حماد بن سلمة ، وهذا الحديث صحيح وليس له علة . ووافقه الذهبى فى التلخيص .

http://kotob.has.it

وقال القرطبى : إن القائلين بالثانى - وهو أن الأمر كان كذلك ، ثم استقر على ما هو الآن - هم أكثرُ العلماء ، منهم سُفْيان بن عيينة ، وابن وهب ، والطبرى ، والطحاوى . ثم اختلفوا : هل استقر فى حياته ﷺ ، أم بعد وفاته ؟ والأكثرون على الأول ، واختاره القاضى أبو بكر بن الطيب ، وابن عبد البر ، وابن العربى ، وغيرهم ؛ ورأوْا أن ضرورة اختلاف لغاتِ العرب ومشقةَ نُطقهم بغير لغتهم اقتضتِ التوسعةَ عليهم فى أول الأمر ، فأُذِن لكلٍّ منهم أن يقرأ على حرْفه ، أى على طريقته فى اللغة ؛ إلى أن انضبط الأمرُ فى آخر العهد وتدربت الألسن ، وتمكَّن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة ؛ فعارض جبريلُ النبى ﷺ القرآن مَرَّتين فى السَّنة الآخرة ، واستقرَّ على ما هو عليه الآن(١) ، فنَسخ اللّٰه سبحانه تلك القراءة المأذون فيها بما أوجبه من الاقتصار على هذه القراءة التى تلقاها الناس .

وقد أجمع المسلمون فى هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عنهم ، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعةً من اللّٰه ورحمة على الأمة ؛ إذ لو كُلِّفَ كل فريق منهم تركَ لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها ؛ من الإمالة ، والهمز والتليين ، والمدّ ، وغيره لشَقَّ عليهم .

---

(١) أخرج البخارى [٣٦٢٣ ، ٣٦٢٤] عن عائشة رضى اللّٰه عنها قالت : « أقبلت فاطمة تمشِى كأن مِشيتَها مشىُ النبىّ ﷺ فقال النبى ﷺ : « مرحبا يا ابنتى » ، ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شِماله - ثم أَسرَّ إليها حديثا فبكت ، فقلت لها : لِمَ تَبكينَ ؟ ثم أسرَّ إليها حديثا فضحِكَتْ ، فقلت : ما رأيتُ كاليوم فرَحاً أقرب من حزن ، فسألتُها عما قال : فقالت : ما كنتُ لأفشِىَ سِرَّ رسول اللّٰه ﷺ حتى قُبض النبى ﷺ فسألتها . فقالت : أَسرّ إلى أن جبريلَ كان يُعارضنى القرآن كلَّ سنة مرة ، وإنه عارضنى العام مرتين ولا أراهُ إلا حضر أجلى ، وإنك أولُ أهل بيتى لِحَاقاً بى ، فبكيت . فقال : أما ترضَين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنَّة ، أو نساءِ المؤمنين - فضحِكت لذلك » .

http://kotob.has.it

ويشهد لذلك ما رواه الترمذى عن أبى بن كعب أنه لَقِى رسولُ اللّه ﷺ جبريلَ فقال : « يا جبريل ، إنِّى بُعِثْتُ إلى أمة أميين ؛ منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط ؛ قال : يا محمد ، إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف » . وقال : حسن صحيح(١) .

واعلم أنه قد اشتهرَ أن عثمان هو أولُ مَنْ جمع المصاحف ؛ وليس كذلك ، بل أولُ مَنْ جمعها فى مصحف واحد الصديق رضى اللّه عنه ، ثم أمرَ عثمان رضى اللّه عنه حين خاف الاختلاف فى القراءة بتحويله منها إلى المصاحف : هكذا نقله البيهقى .

قال : وقد رَوَيْنَا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان فى زمن النبى ﷺ ، وروينا عنه أن الجمع فى المصحف كان فى زمن أبى بكر رضى اللّه عنه ، والنسخ فى المصاحف فى زمن عثمان رضى اللّه عنه ، وكان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم ، بما كان مثبتاً فى صدور الرجال ، وذلك كلُّه بمشورة مَنْ حضره من الصحابة وارتضاه علىّ بن أبى طالب ، وحمِد أثره فيه .

وذكر غيره أنَّ الذى استبدَّ به عثمان جمعُ الناس على قراءة محصورة ، والمنع من غير ذلك ، قال القاضى أبو بكر فى « الانتصار » : لم يقصد عثمان قَصْدَ أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لَوْحين ؛ وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أُثْبِتَ مع تنزيل ، ومنسوخ تلاوته كُتِبَ مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعد . انتهى .

---

(١) أخرجه الترمذى [٢٩٤٤] وقال الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٣٤٦] : حسن صحيح .

http://kotob.has.it

وقد روى البخارى فى صحيحه عن أنس أن حذيفة بن اليمان قَدِم على عثمان رضى اللّه عنه ، وكان يغازِى أهل الشام فى فتح إرْمِينيّة وأذرَبيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافُهم فى القراءة وقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حَفْصة : أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ؛ فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت، وعبد اللّه ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ردَ عثمان الصُّحُف إلى حفصة ، وأرسل فى كلِّ أفق بمصحف مما نَسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(١) .

وفى هذه إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدّفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص . والذى حملَهم على جَمْعه ما جاء فى الحديث أنّه كان مفرقا فى العُسُب وَاللِّخاف وصُدور الرجال(٢) ، فخافوا ذهابَ بعضه بذهاب

---

(١) أخرجه البخارى [٤٩٨٧] .

(٢) أخرج البخارى فى صحيحه [٤٩٨٦] أن زيد بن ثابت رضى اللّه تعالى عنه قال : أرسل إلى أبو بكر مَقْتَلَ أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى اللّه عنه : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بِقُرَّاء القرآن ، وإنى أخشى إن استحر القتل بالقُراءِ بالمَوَاطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمُرَ بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لَمْ يفعله رسول اللّه ﷺ ؟ قال عمر : هذا واللّه خير . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شَرَحَ اللّه صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عُمَرُ =

http://kotob.has.it

حَفظَته ، فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبى ﷺ ، من غير أن قدّموا شيئا أو أخّروا . وهذا الترتيب كان منه ﷺ بتوقيفٍ لهم على ذلك ؛ وأن هذه

= قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يُراجعُنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خُزَيْمَةَ الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عُمَرَ حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه .

وقال الحافظ ابن حجر :

قوله : « من العسب » بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض . وقيل : العسيب طرف الجريدة العريض الذى لم ينبت عليه الخوص ، والذى ينبت عليه الخوص هو السعف . ووقع فى رواية ابن عيينة عن ابن شهاب « القصب والعسب والكرانيف وجرائد النخل » ووقع فى رواية شعيب « من الرقاع » جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد ، وفى رواية عمار ابن غزية « وقطع الأديم » وفى رواية ابن أبى داود من طريق أبى داود الطيالسى عن إبراهيم ابن سعد « والصحف » .

قوله : « واللخاف » بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة وآخره فاء جمع لخفة بفتح اللام وسكون المعجمة ، ووقع فى رواية أبى داود الطيالسى عن إبراهيم بن سعد « واللخف » بضمتين وفى آخره فاء ، قال أبو داود الطيالسى فى روايته : هى الحجارة الرقاق . وقال الخطابى : صفائح الحجارة الرقاق . قال الأصمعى : فيها عرض ودقة . وسيأتى للمصنف فى الأحكام عن أبى ثابت أحد شيوخه أنه فسره بالخزف بفتح المعجمة والزاى ثم فاء وهى الآنية التى تصنع من الطين المشوى . ووقع فى رواية شعيب « والأكتاف » جمع كتف =

http://kotob.has.it

الآية عقب تلك الآية ؛ فثبتَ أن سَعْى الصحابة فى جمعه فى موضع واحد ، لا فى ترتيب ؛ فإن القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذى هو فى مصاحفنا الآن ، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] ، ثم كان ينزل مفرّقا على رسول الله ﷺ مدة حياته عند الحاجة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٠٦] . فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة ؛ وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببا لبقاء القرآن فى الأمة ، ورحمة من الله على عباده ، وتسهيلا وتحقيقاً لوعده بحفظه ؛ كما قال تعالى :

= وهو العظم الذى للبعير أو الشاة ، كانوا إذا جف كتبوا فيه . وفى رواية عمارة بن غزية « وكسر الأكتاف » وفى رواية ابن مجمع عن ابن شهاب عن ابن أبى داود « والأضلاع » وعنده من وجه آخر « والأقتاب » بقاف ومثناة وآخره موحدة جمع قتب بفتحتين وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه ، وعند ابن أبى داود أيضاً فى « المصاحف » من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : « قام عمر فقال : من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به . وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والعسب . قال : وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان » وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفى بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً ؛ مع كون زيد كان يحفظه ، وكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط . وعند ابن أبى داود أيضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه « أن أبا بكر قال لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه » ورجاله ثقات مع انقطاعه ، وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن . وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ . فتح البارى [١٠/١٧] .

http://kotob.has.it

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] وزال بذلك الاختلاف ، واتفقت الكلمة .

قال أبو عبد الرحمن السلمىّ : كانت قراءة أبى بكر وعمر وعثمان وزيد ابن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة ، كانوا يقرءون القراءة العامة ، وهى القراءة التى قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين فى العام الذى قبض فيه ، وكان زيد قد شهد العرْضَة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمدَه الصديق فى جمعه ، وولاه عثمان كتبة المصحف(١) .

وقال الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه القيم « الإتقان فى علوم القرآن » : « اختُلف : هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأَحرف السبعة ؟ فذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى ذلك ، وبنوا عليه أنه لا يجوز على الأُمَّة أن تهمل نقل شىء منها ، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التى كتبها أبو بكر ، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين ، إلى أنها مشتملة على ما يحتمل رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرْضة الأخيرة التى عَرضَها النبى ﷺ على جبريل ، متضمنة لها ، لم تترك حرفا منها .

قال ابن الجزرى : وهذا هو الذى يظهر صوابه .

ويجاب عن الأول بما ذكره ابن جرير ، أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة ، وإنما كان جائزاً لهم ومرخصا لهم فيه ، فلما رأى

---

(١) البرهان فى علوم القرآن [٢١١/١ : ٢٣٧] بتصرف .

http://kotob.has.it

الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعا شائعاً ، وهم معصومون من الضلالة ، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ، ولا شك أن القرآن نسخ منه في العَرْضة الأخيرة وغُيِّر ، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر في العَرْضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك .

أخرج ابن أشتة في المصاحف وابن أبي شيبة في فضائله ، من طريق ابن سِيرين عن عبيدة السَّلْمَاني ، قال : القراءة التي عُرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه ، هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم .

وأخرج ابن أَشتة ، عن ابن سِيرِين ، قال : كان جبريل يعارض النبي ﷺ كل سنة في شهر رمضان مرة ، فَلَما كان العام الذي قُبِضَ فيه عارضه مرتين[1] ، فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العَرْضة الأخيرة .

وقال البغوي في شرح السنة : يقال : إن زيد بن ثابت شهد العَرْضة الأخيرة التي بين فيها ما نُسِخ وما بَقِيَ ، وكتبها لرسول الله ﷺ ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ؛ ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جَمْعه ، وولّاه عثمان كَتْب المصاحف[2] .

بقي مسألة ضرب ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ودق ضلعه ، فهذه فرية واختلاق . فالذي جرى ؛ جرى بالمدينة وكان ابن مسعود بالكوفة ، هذه واحدة .. والثانية : أن عثمان رضي الله تعالى عنه إنما أراد نسخ الصحف التي

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الإتقان في علوم القرآن [١٧٦/١ ، ١٧٧] .

http://kotob.has.it

سبق جمعها وكتابتها فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى اللّٰه تعالى عنه وكان الذى نسخها هو زيد بن ثابت رضى اللّٰه عنه ، ثم إن زيداً رضى اللّٰه تعالى عنه كان قد شهد العرْضة الأخيرة للقرآن وكتبها لرسول اللّٰه ﷺ ، وقرأها عليه . وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ثم هل يجهل أحد أن زيداً كان كاتب الوحى ، ثم إن كان قد بَدر من ابن مسعود رضى اللّٰه تعالى عنه شىء يفهم منه غضبه لذلك فإنما كان من باب التنافس فى طلب الخير ، وإن كان بعض كبار الصحابة كره ما قاله فى ذلك(١) .

(١) قال الحافظ ابن حجر: وقد شق على ابن مسعود صرفه عن كتابة المصحف حتى قال ما أخرجه الترمذى فى آخر حديث إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب من طريق عبد الرحمن ابن مهدى عنه ، قال ابن شهاب : فأخبرنى عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عتبة بن مسعود أن عبد اللّٰه بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال : يا معشر المسلمين ، أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل واللّٰه لقد أسلمت وإنه لفى صلب رجل كافر ؟ يريد زيد بن ثابت(١) .

وأخرج ابن أبى داود من طريق خمير بن مالك بالخاء مصغر : سمعت ابن مسعود يقول : لقد أخذت من فىّ رسول اللّٰه ﷺ سبعين سورة وإن زيد بن ثابت لصبى من الصبيان . ومن طريق أبى وائل عن ابن مسعود بضعاً وسبعين سورة . ومن طريق زر بن حبيش عنه مثله وزاد : وإن لزيد بن ثابت ذؤابتين .

والعذر لعثمان فى ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد اللّٰه بالكوفة ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر ، وأيضاً فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التى كانت جمعت فى عهد أبى بكر وأن يجعلها مصحفاً واحداً ، وكان الذى نسخ ذلك فى عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت كما تقدم لكونه كان كاتب الوحى ، فكانت له فى ذلك أولية ليست لغيره . =

(١) ذكره الترمذى فى نهاية الحديث رقم [٣١٠٤] ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [جـ ٣/ص٦٠٠] حديث رقم [٢٤٨٠] .

http://kotob.has.it

= وقد أخرج الترمذى فى آخر الحديث المذكور عن ابن شهاب قال : بلغنى أنه كره ذلك من مقالة عبد الله بن مسعود رجال من أفاضل الصحابة . فتح البارى [٢٣/١٠ ، ٢٤] .

وإتماماً للفائدة وقطعاً للطريق على الدجالين وتبياناً للمسلمين نورد الشُّبَه التى أُوردت على جمع القرآن وهى كلها مبنية على روايات واهية ومختلقة ، أو صحيحة لكنهم حرفوها على محامل ترضى أحقادهم وتشفى نفوسهم المريضة .

قال العلامة الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة :

لا ينفك أعداء الإسلام عن تلمس المطاعن فى القرآن الكريم ؛ لأنهم يعلمون أنه أصل الدين ، ومنبع الصراط المستقيم ، فالتشكيك فيه إضعاف للدين وصرف للمسلمين عن الطريق الذى لا عوج فيه ولا أمت .

ومعظم هذه المطاعن مبنية على روايات واهية ومختلقة ، اشتملت عليها بعض الكتب الإسلامية ، وعلى شبه أوردها بعض الكاتبين فى علوم القرآن وفى أصول الفقه ؛ وأجابوا عنها ، ولم يَدُر بخلدهم أنها ذريعة للطعن فى القرآن الكريم .

وبعضها مبنى على روايات صحيحة ولكن لها محامل صحيحة ، ومخارج مقبولة . كما اعتمدوا على روايات باطلة أوردها الشيعة فى كتبهم وسيأتى بعض منها وردّها وإبطالها .

ولكن أعداء الإسلام تعامَوا عنها ، وصرفوها إلى المحامل التى ترضى أحقادهم وتشفى نفوسهم المريضة .

وقد تلقف هذه الشبه ، وتلك الروايات ، ولا سيما الواهية الباطلة منها ، المستشرقون والقسس ، فأضافوا إليها ما شاءت لهم نفوسهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين أن يضيفوه مما هو من بنات الخيال والأوهام ، ومن صنع الأحقاد ، فزعموا أنه قد ضاع من القرآن بعضه ، ونُسى بعضه ، بل عنون « نولدكه » المستشرق الألمانى فى كتابه « تاريخ القرآن » فصلا بعنوان « الوحى الذى أُنزل على محمد ولم يُحفظ فى القرآن » .

وذكر كاتب مادة ، قرآن « فى دائرة المعارف الإسلامية » : « أنه مما لا شك فيه أن هناك فقرات من القرآن ضاعت » .

وفى دائرة المعارف البريطانية فى مادة « قرآن » يذكر كاتب المادة أن « القرآن غير كامل الأجزاء » والذى سهل لهم هذا التجنى بعض علمائنا - غفر الله لهم - بما ذكروه فى =

http://kotob.has.it

= كتبهم بحسن نية ، وأوردوه في رواياتهم مع إمكان تأويلها تأويلا قريبا صحيحا ، ولكنّ المستشرقين يأخذون الضعيف ، ويتركون القوى ، وينقلون المشكوك فيه ، ويسكتون عن الصحيح الصريح ، لأنها الخطة التى تلائم أغراضهم ، وتتفق ومراميهم .

وها هى الشبه التى أوردت قديما وحديثا والرد عليها بما يقنع العقل ويطمئن القلب فأقول وبالله التوفيق :

الشبهة الأولى : قالوا : كيف يكون جمع القرآن عن إجماع من الصحابة مع أن عبد الله ابن مسعود وهو ذو السابقة فى الإسلام قد كره أن يتولى زيد جمع المصحف .

وقال : « يا معشر المسلمين ، كيف أعزل عن جمع المصحف ويتولاه رجل والله لقد أسلمت وإنه لفى صلب رجل كافر »[1] ، وقال أيضا : « أعزل عن المصاحف وقد أخذت من فيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد بن ثابت ذو ذؤابتين يلعب مع الصبيان » ، وفى رواية « بضعًا وسبعين سورة ... »[2] ؟

والجواب : أن قول ابن مسعود هذا لا يدل على عدم جواز جمع القرآن فى المصحف ، ولا على أنه كان مخالفا فى الجمع ، وكل ما يدل عليه أنه يرى أنه أحق من زيد بجمع القرآن لسوابقه فى الإسلام ، على أنه قال هذا فى وقت غضبه فلما سكت عنه الغضب أدرك حسن اختيار عثمان ومن معه من الصحابة لزيد بن ثابت وقد ندم على ما قال واستحيا منه ؛ فقد روى أبو وائل هذه القصة ثم قال عقبها : إن عبد الله استحيا مما قال فقال : ما أنا بخيرهم ثم نزل عن المنبر[3] ولم يكن اختيار أبى بكر وعثمان لزيد إلا لما له من المزايا التى تؤهله لهذه المهمة الجليلة وقد أفصح عن هذه المزايا الصديق بقوله : إنك رجل ، شاب ، عاقل ، ولا نتهمك كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ . فقد وصفه بأربع صفات لا بد منها لمن يقوم بهذا العمل وهى : الشباب المقتضى للقوة والصبر والجلد ، والعقل وهو جماع الفضائل ، والأمانة وعدم التهمة وهى الصفة التى لا بد منها لمن يقوم =

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذى [٣١٠٤] وقال : حديث حسن صحيح ، وقال الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٤٨٠] : صحيح .

(٢) أخرجه ابن أبى داود من طرق عن ابن مسعود .

(٣) مقدمتان فى علوم القرآن [ص ٩٥] .

http://kotob.has.it

= بهذا العمل ، وكتابة الوحى ، وبها يتم التوثق والاطمئنان ومع ذلك فقد ضم عثمان إليه ثلاثة من أوثق الصحابة وأعلمهم(١) ، وهذه الخصائص لا تقتضى أفضليته على عبد الله ابن مسعود ولا على أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى وإنما تقتضى أهليته لما عهد إليه به(٢) .

الشبهة الثانية : قالوا : كيف يكون القرآن كله متواترا مع أن زيد بن ثابت قال فى أثناء ذكره لحديث الجمع فى عهد أبى بكر : « فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره » وقال فى أثناء ذكره لكتابة المصاحف فى عهد عثمان : « ففقدت آية من الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، لم أجدها مع أحد إلا مع أبى خزيمة الأنصارى ، الذى جعل رسول الله شهادته بشهادة رجلين » ، فهاتان الروايتان تدلان على أنه اعتمد فى جمع القرآن على بعض الروايات الآحادية ، وهو يخالف ما هو مقرر عندكم من أن القرآن - فى جملته وتفصيله - ثابت بالتواتر المفيد للقطع ؟

والجواب : أن هذا الذى نقل لا ينافى تواتر القرآن ؛ فقد ذكرنا لك فيما سبق أن الاعتماد فى جمع القرآن كان على الحفظ والكتابة ، وكان غرضهم من ذلك زيادة التوثيق والاطمئنان ، وأن ما كتبوه إنما هو من عين ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ فقول زيد : لم أجدهما ، أى لم أجدهما مكتوبتين وهذا لا ينافى أنهما كانتا محفوظتين عند جمع يثبت بهم التواتر والتواتر إنما هو فى الحفظ لا فى الكتابة ، يدل على ذلك قول زيد فى الرواية الثانية : ففقدت آية من الأحزاب كنت أسمع رسول الله يقرأ بها ، فهو إذا كان حافظا لها ومتيقنا لقرآنيتها ، وكذلك من كانوا معه كانوا يحفظونها ولكن كان يبحث عن أصلها المكتوب . =

---

(١) قال الشيخ أبو شهبة قد علمت مما علقناه أن اثنين منهم وهما : عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص متفق على صحبتهما ، وأن ثالثهما وهو عبد الله بن الحارث مختلف فيه ، وأدنى أمره أنه من كبار التابعين ، وأنه كانت هناك لجنة مساعدة لهذه اللجنة الرباعية الأصلية .

(٢) وأيضا فقد كان مما أهله لكتابة القرآن فى الصحف ثم فى المصاحف أنه كان شهد العرضة الأخيرة التى عرضها النبى ﷺ على جبريل .

http://kotob.has.it

= فإن قيل : إن اتجه هذا الجواب . واستقام فى الرواية الأولى ، فكيف يتجه فى الرواية الثانية ؛ فقد كانت آية الأحزاب مكتوبة فى الصحف التى كتبت فى عهد الصديق . قلت : لعلها انمحت وتطاير مدادها فلم يبق ما يدل عليها أو لعل الأَرَضة أكلت موضعها من الصحيفة فاضطر أن يبحث عن أصلها المكتوب فوجده مع أبى خزيمة بن ثابت الأنصارى ، على أن المعول عليه فى القرآن التواتر الحفظى لا الكتابى .

الشبهة الثالثة : قالوا : إن القرآن قد زيد فيه ما ليس منه لدليل ما ورد أن عبد الله ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ، وفى رواية كان يحك المعوذتين من مصحفه ، ويقول : إنما أمر النبى ﷺ أن يتعوذ بهما ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله .

والجواب : أن هذه الروايات غير صحيحة ، وأغلب الظن أنها مدسوسة على ابن مسعود ، وإليك ما قاله الأئمة فيها ، قال الإمام النووى فى شرح المهذب : « أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئا كفر ، وما نُقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح » . وقال ابن حزم فى كتاب « القدح المعلّى . تتميم المجلّى » : « هذا كذب على ابن مسعود وموضوع ، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر عنه ، وفيها المعوذتان والفاتحة » . وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : « لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ، ولا حُفظ عنه ، إنما حكها وأسقطها من مصحفه إنكاراً لكتابتها ، لا جحداً لكونهما قرآنا لأنه كانت السنة عنده ، أن لا يكتب فى المصحف إلا ما أمر النبى ﷺ بكتابته فيه ، ولم يجده كتب ذلك ولا أمر به » يعنى فى علمه وظنه ، وإلا فقد تيقن قرآنيتهما غيره من الصحابة . وحفظوهما ، وكتبوهما فى المصاحف كما صنع زيد ومن معه .

وذهب الحافظ ابن حجر إلى صحة ما روى عن ابن مسعود ، وقال : « قول من قال : إنه كذب عليه مردود والطعن فى الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الروايات صحيحة ، والتأويل محتمل ، وقد أوله القاضى وغيره على إنكار الكتابة كما سبق » .

وعلى فرض صحة الرواية يجاب بما يأتى :

١ - عدم كتابتهما أو حكّهما لا يستلزم إنكار كونهما من القرآن لجواز أنه كان لا يكتبهما اعتمادا على حفظ الناس لهما لا إنكارا لقرآنيتهما فالفاتحة يقرؤها كل مسلم فى الصلاة ، المعوذتان يعوذ بهما المسلمون أولادهم ، وأهليهم ويحمل قول : « كتاب الله » على =

http://kotob.has.it

= المصحف ، قال ابن قتيبة فى مشكل القرآن : « وأما إسقاط الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن ، معاذ الله ، ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان » ومعنى ذلك أنه يرى أن الشك والنسيان ، والزيادة والنقصان مأمونة فى سورة الحمد ؛ لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد لأجل الصلاة .

٢ - أنها رواية آحادية ، فهى لا تعارض القطعى الثابت بالتواتر ، والعبرة فى التواتر أن يروى عن جمع يحيل العقل تواطأهم على الكذب ، لا أن لا يخالف فيه مخالف ، فظن ابن مسعود أنهما ليستا من القرآن لا يطعن فى قرآنيتهما ، قال ابن قتيبة فى مشكل القرآن : « ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن ، لأنه رأى النبى ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين فأقام على ظنه ، ولا نقول إنه أصاب فى ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار » .

٣ - على فرض صحة الرواية فيحمل ذلك على أنه كان قبل أن يستيقن ذلك ، فلما علم ذلك وتيقنه رجع إلى رأى الجماعة ، وليس أدل على ذلك من أن الذين تعزَى قراءاتهم إلى ابن مسعود متفقون على أن هذه السور الثلاث من القرآن ؛ قال ابن الصباغ : « إنه لم يستقر عنده القطع بذلك ، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك »[١] . وهذا الجواب هو الذى تستريح إليه النفس .

الشبهة الرابعة : قالوا : إن القرآن نقص منه ما كان بعض الصحابة يكتبه فى مصحفه ، يدل على ذلك ما روى عن أبى بن كعب أنه كان يكتب فى مصحفه سورتى[٢] الخلع والحفد ، وهو دعاء القنوت : « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ... ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفِد ... » .

والجواب على ذلك : لا نسلّم أنهما من القرآن وكتابة أُبى بن كعب لهذا الدعاء فى مصحفه لا يدل على القرآنية ، ونحن نعلم أن مصاحف الصحابة لم تكن قاصرة على =

(١) الإتقان [جـ ١ ص ٨٠] .

(٢) بجعل نهاية الأولى لفظ « يفجرك » وجعل بدء الثانية « اللهم إياك نعبد » . وليس أدل على تهافت الرواية من هذا الخلط بجعل الشىء الواحد من الدعاء شيئين .

http://kotob.has.it

= المتواتر ؛ بل كان بعضها مشتملا على الآحادى ؛ والمنسوخ تلاوة ، وعلى بعض تفسيرات ، وتأويلات ، وأدعية ، ومأثورات ، ومن ذلك هذا الدعاء الذى يقنت به بعض الأئمة فى الوتر ووجوده فى مصحف أبىّ لا يدل على أنه قرآن ، كما أن القنوت به فى الصلاة لا يدل على القرآنية ، ولا يشك ذو نظر فاحص وذوق أدبى أن هذا الدعاء ليس عليه مسحة من سحر القرآن وبلاغته وإعجازه وإشراقه ، مما يُلقى بهذه الشبهة فى غيابة الإهمال .

(٢) على فرض أن أبيا أثبتها فى المصحف على أنها قرآن فهى رواية آحادية ظنية لا تعارض القطعى الثابت بالتواتر كما أنها لا تكفى فى إثبات كونها من القرآن ؛ لأن المعول عليه فى ثبوت القرآن التواتر .

وهنا قاعدتان ينبغى التنبه إليهما فى رد كل رواية تفيد زيادة شىء فى القرآن ، أو نقص شىء منه وهما :

١ - كل رواية آحادية لا تقبل فى إثبات شىء من القرآن .

٢ - كل رواية آحادية تخالف المتواتر من القرآن لا تقبل ، ويضرب بها عرض الحائط .

الشبهة الخامسة : ما نقله العلامة الآلوسى عن بعض الشيعة والملاحدة وخلاصته أن عثمان بل وأبا بكر حرفا القرآن ، وأسقطا كثيرا من آياته وسوره ، وقالوا : إن القرآن الذى نزل به جبريل كان سبع عشرة ألف آية وأن سورة الأحزاب كانت مثل سورة الأنعام ؛ أسقطوا منها فضائل أهل البيت ، وأن سورة الولاية أسقطت بتمامها ، إلى غير ذلك من الأباطيل والخرافات . والترّهات التى لم تقم عليها أثارة من علم .

والجواب : أن هذه دعاوى لم يقم عليها شبه دليل ، ولو أن كل دعوى تقبل من غير استدلال لما ثبتت حقيقة ، ولَـمَا توصل الناس إلى علم ومعرفة وهذا الكلام من غلو الشيعة فى آرائهم الجائرة ، ولهذا نجد العقلاء منهم يتبرؤون من مثل هذه الخرافات ، قال الطبرسى فى « مجمع البيان » - وهو من علمائهم : « أما الزيادة فى القرآن فمجمع على بطلانها ، وأما النقصان فيه فروى عن قوم من أصحابنا ، وقوم من حشوية العامة والصحيح خلافه » ثم ماذا تقولون أيها المتشيعون ؟! لقد صار الأمر إلى على كرم اللّٰه وجهه ودانت له الأقطار كلها ما عدا مصر والشام . والمصاحف التى كتبها عثمان تُتلى وقد ظلت دولة أهل البيت ما يقرب من خمس سنين ؛ فكيف يسكتون على ذلك وهو منكر شنيع يجب على =

http://kotob.has.it

= الإمام أن يسارع إلى إزالته ، ولو أن شيئا من ذلك وقع لنقله المؤرخون الأثبات ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن .

الشبهة السادسة : ما زعمه صاحب ذيل « مقالة فى الإسلام »[1] من أن القرآن قد أسقط منه ما هو منه ، وزيد فيه ما ليس منه ، وأيد زعمه بما يأتى :

١ - ما ورد فى الحديث أن محمدا ﷺ قال : رحم الله فلانا لقد أذكرنى كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا ، وفى رواية « أنسيتها » فهذا فيه اعتراف من النبى بأنه أسقط بعض الآيات ، أو أنسيها .

٢ - ما جاء فى سورة الأعلى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ . إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وزعم هذا المفترى أن النبى ﷺ أنسى آيات لم يتفق له من يذكره إياها .

٣ - قال : إن الصحابة قد حذفوا من القرآن ما رأوا المصلحة فى حذفه فمن ذلك آية المتعة ، أسقطها علىّ بتة وكان يضرب من يقرؤها ، وهذا ما شنعت عائشة به عليه ، فقالت : إنه يجلد على القرآن وينهى عنه ، وقد حرفه وبدله ، وما روى أن أُبيا كان يكتب فى مصحفه : « اللهم إنا نستعينك إلخ » الدعاء ولا يوجد اليوم فى المصحف .

٤ - قال : إن كثيرا من آياته لم يكن لها من قيد سوى حفظ الصحابة ، وكان بعضهم قد قتلوا فى الغزوات ، وحروب خلفائه الأولين ، وذهب معهم ما كان يتحفظونه من قبل أن يوعز أبو بكر إلى زيد بن ثابت بجمعه ، فلذلك لم يستطع زيد أن يجمع سوى ما كان يحفظه الأحياء ، أما ما كان مكتوبا على العظام وغيرها فإنه كان مكتوبا عليها بلا نظام ، ولا ضبط ، وقد ضاع بعضها ، وهذا ما حدا العلماء إلى الزعم أن فيه آيات نسخت لفظا لا حكما ، وهو من غريب المزاعم ، وحقيقة الأمر أنها قد سقطت بضياع العظم ، ولم يبق منه سوى المعنى محفوظا فى صدورهم .

٥ - زعم أن الحجاج لما قام بنصرة بنى أمية لم يبق مصحفا إلا جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة قد نزلت فيهم ، وزاد فيه أشياء ليست منه ، وكتب ستة مصاحف وجه بها إلى الأمصار ، وهى القرآن المتداول اليوم ، وأعدم المصاحف المتقدمة التى كتبها عثمان ، وإنما رام بفعله التزلف إلى بنى أمية . =

---

(١) هو قس من القساوسة كتب هذا الذيل وتستر تحت اسم « هاشم العربى » .

http://kotob.has.it

= ٦ - زعم أن آية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية . من كلام أبى بكر قالها يوم السقيفة . وكذا آية ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ من كلام عمر ثم لما جمع القرآن ضم إليه هذا الكلام .

وبالنظر فى هذه الدعاوى نجد أنها عارية عن الدليل ، وأنها إما ادعاءات وافتراءات ، أو تحريفات وتأويلات لبعض الآيات والأحاديث بغير حجة ، وسنناقشه فيما قال كى يتبين للمنصفين أنه لا يعدو أن يكون هراء من القول وإليك تفنيد هذه المزاعم :

١ - أما ما ذكره من الحديث فهو ثابت[1] ، ولكن حمله ما لا يتحمل وفهمه على غير وجهه ، فالرواية الثانية تفسر الأولى ، وتدل على أن الإسقاط عن طريق النسيان لا العمد ، ولا يضر نسيان النبى ﷺ ، ما دام يحصل له التذكر إما من نفسه ، أو من مذكر كما فى الحديث ، وزيادة فى التوضيح نقول النسيان من النبى لشىء من القرآن على قسمين :

أحدهما : نسيان الشىء الذى يتذكره عن قرب ، وذلك قائم بالطباع البشرية ، عليه يدل قوله ﷺ : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون » .

والثانى : أن يرفعه عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ . إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ .

أما الأول : فعارض سريع الزوال يدل عليه قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ . فهذا تكفل من الله تبارك وتعالى أن يحفظ كتابه عن أى نقص أو زيادة ، أو تغيير أو تحريف ، وقد ثبت أن القرآن الكريم معجزة المعجزات ، فوجب التصديق بكل ما جاء فيه .

وأما الثانى : فداخل فى قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ بضم النون وبغير همز ، فالنسيان عارض بشرى يجوز على الأنبياء فيما ليس طريقه البلاغ من أمور الدين والشريعة ، وذلك كالأمور الدنيوية أما ما كان من الدين والشريعة ، مما هو واجب البلاغ فيجوز لكن بشرطين : =

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن - باب نسيان القرآن - انظر فتح البارى [جـ ٩ ص ٥٥] .

http://kotob.has.it

= (١) أن يكون بعد تبليغه كما هنا .

(٢) أن لا يستمر على نسيانه ، بل يحصل له تذكره إما بنفسه ، وإما بغيره ، وأما قبل التبليغ فلا يجوز أصلا ، وهذا ما قام عليه الدليل العقلى ؛ إذ لو جاز النسيان قبل التبليغ أو بعده بدون أن يتذكر ، أو يذكره الغير لأدى إلى الطعن فى عصمة الأنبياء ، ولجاز ضياع بعض الشرائع والأديان . وفى هذا تشكيك فيها وإبطال لها .

٢ - إن ما استدل به من قوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ . إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فهو تحريف للكلم عن مواضعه ، وزعم من لم يعرف سبب نزول الآية ، ولا المراد من الاستثناء ، ولا الغرض الذى سيقت له الآية ، أما سببها فهو أن النبى ﷺ كان يتذكر القرآن فى نفسه مخافة أن ينسى ، فأزال الله خوفه بهذه الآية ، وأما الاستثناء فالمحققون من العلماء على أنه ليس بحقيقى وإنما هو صورى ، يراد منه تأكيد عدم النسيان بتعليق الشىء على ما هو مستحيل وقوعه ، وليدل على استحالته بالبرهان ، وقد ضمن الله لنبيه تحفيظه له فكيف يشاء إنساءه له . قال تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة] . ومثل هذا الاستثناء قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٦] . ونحن نقطع أنه سبحانه ما شاء ذلك والغرض من هذا الاستثناء على هذا :

(١) تعريفه ﷺ أن عدم النسيان من فضل الله تعالى عليه ، فيديم له الشكر والعبادة والذكر فى كل وقت .

(٢) تعريف أمته ذلك حتى لا يرفعوه ﷺ من مقام العبودية إلى مقام الألوهية ، كما فعل اليهود والنصارى بأنبيائهم .

وهناك رأى آخر فى الآية ، وهو أن المراد بما يشاء الله أن ينساه هو ما أراد الله نسخه ، فيذهب من قلبه ، وأيا كان المراد فليس فى الآية ما يشهد لما زعمه هذا الطاعن .

٣ - ما زعمه من أن الصحابة أسقطوا ما رأوا المصلحة فى إسقاطه تجن على الصحابة وعلى الحق ، والواقع ، وإنما يزعم هذا من يجهل ما كانوا عليه من عنايتهم بالقرآن ، وامتزاجه بلحمهم ، ودمهم ، وحبهم له حبا يفوق الأهل والولد ، ومراقبتهم لمنزل القرآن=

http://kotob.has.it

= حق المراقبة . وهل يعقل أن تتفق جماعة تعد بالألوف على باطل من غير أن يقوم بينهم من ينكر ذلك ويجهر به ؟ وبحسبك أن تقرأ ما كتبناه فى جمع القرآن لترى كيف أحاط الصحابة القرآن بسياج قوى من الحفظ والعناية ، فلم يزيدوا فيه حرفا أو ينقصوا منه حرفا ، أما ما يذكره عن علىّ أنه أسقط آية المتعة الخ فكذب وافتراء عليه ولا أدرى ما يريد الطاعن بالمتعة ؛ فإن أراد نكاح المتعة فالآية التى يستدل بها بعض القائلين بإباحته موجودة فى سورة النساء لم تحذف ، وهى قوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤] . ونكاح المتعة أحل للضرورة ثم حرم إلى يوم القيامة . وإن أراد متعة الحج فآيتها فى القرآن موجودة فى المصاحف إلى اليوم ، قال تعالى : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

وأما ما ذكره عن مصحف أُبىّ فقد بينت أنه دعاء وليس بقرآن قطعاً .

٤ - أما ما زعمه من أن القرآن لم يكن له من قيد سوى حفظ الصحابة إلخ فمردود بأن من بقى من حفاظ الصحابة كان أكثر ممن مات ؛ بدليل قول عمر رضى الله عنه للصديق : « وإنى أخاف أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن » ، وكذلك زعمه أن كتابته مفرقا فى العظام وغيرها كانت سببا فى ضياع بعضه زعم باطل ، ولو أن الاعتماد فى حفظ القرآن على الأخذ من الصحف أو من قطع الحجارة أو العظام لجاز هذا الفرض ، وليس الأمر كذلك ، فالمعول عليه فى القرآن هو التلقى عن النبى ﷺ ، أو عمن سمع منه ، والحفظ فى الصدور ، وأما الكتابة فإنما كانت لتأكيد المحفوظ فى الصدور والوقوف على مرسوم الخط الذى هو توقيفى . ولا شك أن الشىء إذا توارد عليه الأمران : الحفظ والكتابة يكون هذا أدعى إلى اليقين ، والوثوق به ، والاطمئنان إليه ، وما دام أن المعول عليه فى القرآن الحفظ . فاحتمال ضياع بعض المكتوب فيه لا يضيرنا فى شىء ، وإن كان هذا الاحتمال بعيدا جدا ؛ إذ كانوا يحافظون على المكتوب غاية الحفظ .

٥ - أما دعوى أن الحجاج زاد فى القرآن ، وأنقص منه فدعوى لا وجود لها إلا فى خيال قائلها ؛ إذ لم ينقل ذلك فى أى تاريخ من التواريخ على كثرتها ، وذكرها ما صح وما لم يصح ، وكيف يفعل الحجاج أمرا إدًّا كهذا له خطره ، ويكثر المعارضون له ، ولا يرتفع صوت فى معارضته ؟ ومهما قيل فى قسوة الحجاج فقد كان هناك من السلف الصالح =

http://kotob.has.it

= من لا يخافون فى الحق لومة لائم ، ويرون موتهم فى هذا السبيل استشهادا ، ولو فرضنا أن للحجاج قوة أسكتت المؤمنين المخلصين فى حياته ؛ أفلا يرجعون إلى كتابهم ويرجعونه إلى حالته الأولى بعد وفاته ؟! ومثل هذا العمل من أوجب الواجبات وأعظم الفرائض على الأمة ؟!

٦ - ما زعم من أن آية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية . من كلام أبى بكر إغراق فى الجهل وإسراف فى الوهم ، والآية قد نزلت بعد أحد وحفظها كثير من الصحابة ؛ ذلك أن المسلمين لما أصيبوا فى أُحد وأشيع بأن الرسول قد قتل اختل نظام الجيش ، وفر الكثيرون ، وقال بعضهم ليت لنا رسولاً إلى عبد اللّٰه بن أُبى فيأخذ لنا أمانا من أبى سفيان ، وبعضهم جلسوا وألقوا ما بأيديهم من السلاح ، وقال أناس من أهل النفاق : إن كان محمد قتل فالحقوا بدينكم الأول فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك : يا قوم ، إن كان محمد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول اللّٰه ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه ، ثم ألقى بنفسه فى القتال حتى لقى ربه شهيدا فأنزل اللّٰه هذه الآية ليبين لهم خطأهم فيما فعلوا وقالوا ، حينما علموا أن الرسول قد قتل ، وأن النبوة لا تقتضى الخلود ، وأنه كغيره من الأنبياء ، يجوز عليه ما جاز عليهم ، وكأن هذا الحاقد الجاهل قد التبس عليه الأمر بما جرى بعد وفاة الرسول ، فقد أنكر عمر - فى سورة الغضب ، وغمرة الحزن - موت الرسول وتوعد من يقول ذلك وغفل عن هذه الآية ، وما أن جاء الصديق ودخل على رسول اللّٰه وقبله وقال : « طبت حيا وميتا » حتى قال : على رسلك يا عمر ، ثم حمد اللّٰه وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد اللّٰه فإن اللّٰه حى لا يموت ، ثم تلا الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ ﴾ إلخ . قال عمر : « فواللّٰه ما إن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى قدماى » - رواه البخارى - إذ قد تحقق ما غاب عنه من أن موت الرسول حق لا شك فيه .

وأما آية ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ فليست من كلام عمر ، وإنما المروى أن عمر قال : لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى بصيغة التمنى ، فنزلت الآية آمرة بالاتخاذ ، فأين أسلوب التمنى من الأمر ؟ وكون القرآن يوافق عمر فى أشياء كان له فيها رأى واجتهاد =

http://kotob.has.it

= لا يدل على أنه من كلام عمر وليس بعد الحق إلا الضلال فأنى يؤفكون .

الشبهة السابعة : روى مسلم[1] عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « كان فيما أنزل من القرآن : عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفى رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن .

وروى بعضهم أنها كانت فى صحيفة ، وفى رواية فى جليد ، وأنهم اشتغلوا بوفاة رسول الله ﷺ فدخل الداجن[2] فأكلها . قالوا : والقرآن اليوم ليس فيه ما يدل على خمس رضعات ، فتكون الآية الدالة على هذا الحكم قد سقطت من القرآن .

والجواب : أن هذه الرواية مهما صحت فهى آحادية لا يثبت بها قرآن ؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، ثم هى أيضا لا تعارض القطعى الثابت بالتواتر ، وهو القرآن الذى بين أيدينا اليوم ، وغاية ما تدل عليه هذه الرواية أنها خبر لا قرآن .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح[3] ، فى معرض ذكر ما يقوى مذهب الجمهور القائلين بتحريم قليل الرضاع وكثيره : « وأيضا فقول عائشة : عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات ، فمات النبى ﷺ ، وهن مما يقرأ - لا ينهض للاحتجاج على الأصح من قول الأصوليين ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والراوى روى هذا على أنه قرآن لا خبر فلم يثبت كونه قرآنا ، ولا ذكر الراوى أنه خبر ليقبل قوله فيه ، والله أعلم ، ومما يدل على أنه ليس قرآنا ، وأنه كان تشريعا ثابتا بالسنة ، ثم نسخ بالسنة اختلاف الرواية عنها فى القدر المحرم ، ففى رواية الموطأ عنها عشر رضعات ، وعنها أيضا سبع رضعات ، أخرجه ابن أبى خيثمة بإسناد صحيح عنها ، وعبد الرزاق أيضا ، وجاء عنها أيضا : خمس رضعات ، وهى ما يدل عليها رواية مسلم التى معنا ، فاختلاف الرواية عنها يدل =

(١) أخرجه مسلم [٢٤/١٤٥٢] ، والترمذى [١١٥٠] ، والدارمى [٢٢٥٠] .

(٢) فى القاموس : « ودجن بالمكان دجونا أقام والحمام والشاة وغيرهما ألفت البيوت وهى داجن » .

(٣) [جـ ٩ ص ١٢٠] .

http://kotob.has.it

= على أنه كان باجتهاد منها استندت فيه على ما ظهر لها من السنة ، ولو كان قرآنا لما نقل عنها كل هذا الاختلاف[1] .

وقال الإمام النـووى فى شرحه على مسلم[2] : « واعترض أصحاب مالك على الشافعية - يعنى القائلين بأن لا حرمة إلا بالخمس - بأن حديث عائشة هذا لا يحتج به عندكم ، وعند محققى الأصوليين ؛ لأن القرآن لا يثبت بخبر الواحد ، وإذا لم يثبت قرآنا لم يثبت بخبر الواحد عن النبى ﷺ ؛ لأن خبر الواحد إذا توجه إليه قادح يوقف عن العمل به ، وهذا إذا لم يجئ إلا بآحاد مع أن العادة مجيئه متواترا توجب ريبة ، والله أعلم » ، وهكذا يتبين لنا أن الأئمة على أنه ليس بقرآن قط ، وأقصى درجاته أن يكون خبرا صحيحا ، وأما رواية أكل الداجن فهى مردودة ومتهافتة ، وليس أدل على هذا من أن القرآن كان محفوظا فى الصدور ، فضياع صحيفة منه - فرضا - لا يؤثر فى ثبوت قرآنيته ما دامت تحفظه الكثرة الكاثرة من المسلمين ، ثم إن القرآن كان مكتوبا فى العسب ، والرقاع والعظام وصحائف الحجارة ، ومثل هذه الأشياء مما لا يتيسر فى العادة للداجن أن تأكله ، ولا سيما والرواية لم تعين لنا نوع هذا الداجن ؛ أهو شاة أم حمام أم غيرهما .

فإن قال قائل : فكيف يتفق ما ذهب إليه من تأويل وما ثبت فى الرواية « كان فيما أنزل من القرآن » ؟

قلت : المراد كان فيما أنزل من شرح القرآن وبيانه ، ولا شك أن السنة شارحة للقرآن ومبينة له قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] . وأيضا فإن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ، ويكون الأمر من نسخ السنة بالسنة ، ويكون قولها فى الحديث « فتوفى رسول الله وهن مما يقرأ من القرآن » أى من حكم القرآن على أنه سنة لا قرآن ، ولا شك أنهم كانوا يعنون بحفظ السنة أيضا ، أو يكون المراد وهن فيما يعلم من أحكام القرآن . =

(١) المرجع السابق .

(٢) [جـ ١٠ ص ٣٠] .

http://kotob.has.it

= ٢ - وللحديث تأويل آخر ، وهو أنه يحمل على أنه كان قرآنا ثم نسخ لفظه وبقى حكمه ، وبعد النسخ لم يعد يسمى قرآنا ولا له حكمه ، فإن قيل : هذا تأويل مقبول لولا ما يعارض من قولها : « فتوفى رسول اللّه وهن فيما يقرأ من القرآن » قلت : إن غرضها الإخبار بأن هذا النسخ لم يقع إلا قبيل وفاة النبى ﷺ فعلم بالنسخ الكثيرون ، وتركوا القراءة به ، ولم يعلم البعض ، فبقى هذا البعض على القراءة حتى تيقنوا فيما بعد نسخه فتركوا القراءة به ؛ قال الإمام النووى فى شرح هذا الحديث : « ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدا ، حتى أنه ﷺ توفى وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكون لم يبلغه النسخ لقرب عهده ، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى(١) .

وهذا الجواب إنما يتم على مذهب من يرى أن من أقسام النسخ ما نسخت تلاوته وبقى حكمه ، وهذا النوع قد أنكره بعض العلماء ، قال الإمام السيوطى فى الإتقان(٢) : « حكى القاضى أبو بكر فى الانتصار عن قوم إنكار هذا الضرب ، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها » .

هذا ولعل الوجه الأول فى الجواب أولى وأسلم .

الشبهة الثامنة : ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب اللّه على من تاب » وفى رواية أخرى له أيضا نحو هذا وفى آخرها « قال ابن عباس : فلا أدرى من القرآن هو أم لا ؟ قال : وسمعت ابن الزبير يقول ذلك على المنبر » . وروى عن أنس عن أبيّ قال : « كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾(٣) . =

---

(١) المرجع السابق .

(٢) [جـ ٢ ص ٢٦] .

(٣) فتح البارى [جـ ١١ ص ٢١٢] ، ومسلم بشرح النووى [جـ ٧ ص ١٣٩] .

http://kotob.has.it

= ورواه مسلم فى صحيحه عن ابن عباس وفى آخره : « فلا أدرى أمن القرآن هو أم لا ؟ » وفى رواية أخرى له عن أنس مثله وفى آخره : « فلا أدرى أشىء نزل أم شىء كان يقوله » وروى عن أبى موسى الأشعرى قصة وفيها « وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنى حفظت منها « لو كان لابن آدم واديان إلخ »[1] كما روى فى غير الصحيحين فظاهر هذه الروايات أنها كانت قرآنا ، ولكن أنى هى فى المصاحف المقروءة اليوم ؟

والجـواب :

١ - أن هذه الروايات كلها لا تدل على أن هذا قرآن ؛ إذ القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ؛ وغاية ما تدل عليه أنها من كلام النبى ﷺ ، وها أنت قد رأيت أن بعض الروايات قد جاءت مصرحة بأن ذلك من كلام النبى ﷺ فحسب ، وأما الروايات التى فيها إيهام أن ذلك قرآن ؛ فإنما جاءت على صيغة الشك كما سمعت ، وإذا كان الجزم فى هذا لا يثبت القرآنية ، فما بالك بالشك والتردد ؟ وليس من ريب فى أنه إذا تعارض اليقين والشك فالرجحان لليقين وعليه فتكون الروايات التى نسبت ذلك إلى النبى ﷺ على أنه من كلامه هى المعول عليها ، وهذا الذى ذهبنا إليه هو ما سبق إليه أئمة العلم .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح[2] تعليقا على قول أبى : « كنا نُرى[3] هذا من القرآن حتى نزلت ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ ووجه ظنهم أن الحديث المذكور من القرآن ما تضمنه من ذم الحرص على الاستكثار من جمع المال والتقريع بالموت الذى يقطع ذلك ، ولا بد لكل أحد منه فلما نزلت هذه السورة وتضمنت معنى ذلك ، مع الزيادة عليه علموا أن الأول من كلام النبى ﷺ .

٢ - أن هذا كان قرآنا ثم نسخت تلاوته لما أنزل الله ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ﴾ ثم بقى حكم ذلك مقررا ، قال الحافظ ابن حجر : « وقد شرحه بعضهم على أن ذلك كان قرآنا ونسخت=

(١) الإتقان فى علوم القرآن [جـ ٢ ص ٢٥] .

(٢) [جـ ١١ ص ٢١٥] .

(٣) نُرى بضم النون بمعنى نظن .

http://kotob.has.it

= تلاوته لما نزلت ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ فاستمرت تلاوتها ، فكانت ناسخة لتلاوة ذلك ، فأما الحكم والمعنى فيه فلم ينسخ ؛ إذ نسخ التلاوة لا يستلزم المعارضة بين الناسخ والمنسوخ ؛ كنسخ الحكم ، والأول أولى ، وليس ذلك من النسخ فى شىء » ومراد الحافظ بالأول أى أنه من كلام النبوة لا قرآنا ، ولعل مما يشهد لهذا التأويل الثانى ما ورد فى حديث أبى موسى الأشعرى فى صحيح مسلم ، وهو ما ذكرناه آنفا ، وهذا الوجه لا يثبت إلا بتسليم كونه قرآنا فى أول الأمر ، ودون إثبات ذلك خرط القتاد ؛ إذ القرآن لا يثبت بالآحاد كما هو رأى المحققين .

٣ - أن هذا من قبيل الأحاديث القدسية ، التى هى من الله ، وقد ورد فى بعض الروايات التصريح بنسبته إلى الله بلفظ : « إن الله يقول » ويشهد لذلك أن أسلوبه ومعناه شبيهان بأساليب ومعانى الأحاديث القدسية ، إذ هى كثيرا ما تدور حول الزهد والفضائل ، قال الحافظ ابن حجر فى الفتح فى أثناء شرحه لهذا الحديث : « ومنه ما وقع عند أحمد وأبى عبيد فى فضائل القرآن من حديث أبى واقد الليثى قال : كنا نأتى النبى ﷺ إذا نزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم : « إن الله قال : إنى أنزلت المال لإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ولو كان لابن آدم ... الحديث »[1] وهذا يحتمل أن يكون النبى ﷺ أخبر به عن الله تعالى على أنه من القرآن ، ويحتمل أن يكون من الأحاديث القدسية والله أعلم ، وعلى الأول فهو مما نسخت تلاوته جزما ، وإن كان حكمه مستمرا » .

والذى يترجح عندى أن يكون هذا من الأحاديث النبوية أو القدسية إذ ليس فيه شىء من إعجاز القرآن وسحره وجلاله وبلاغته .

الشبهة التاسعة : روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن عباس حديثا طويلا ، وفيه أن عمر قال على المنبر : « إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها ، ووعيناها ، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة =

(١) أخرجه أحمد [٢١٩/٥] وفيه : « إنا أنزلنا » وذكره الهيثمى فى المجمع [١٤٣/٧] وقال : رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح .

http://kotob.has.it

= أنزلها الله ، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة أو كان الحَبَل أو الاعتراف »[1] .

وفى الموطأ عن سعيد بن المسيب لما صدر عمر من الحج وقدم المدينة خطب الناس فكان مما قال : « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل : لا نجد حدين فى كتاب الله ، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا ، والذى نفسى بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها بيدى « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة »[2] .

وروى أبو عبيدة وغيره عن زر بن حبيش قال : قال لى أُبىّ بن كعب : كَأَيِّنْ تعد سورة الأحزاب ؟ قال : اثنتين وسبعين آية أو ثلاثا وسبعين آية ، قال : إن كانت لتعدل سورة البقرة ، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم . قلت : وما آية الرجم قال : إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم »[3] . قالوا : فهذه الروايات تدل على أن القرآن سقطت منه هذه الآية .

وللجواب على ذلك نقول : إن رواية أُبى بن كعب التى هى أصرح الروايات فى القرآنية غير صحيحة إذ فى سندها عاصم بن أبى النجود ، وهو مضعف فى الحديث ، وإن كان إماما فى القراءة[4] وقد اختلف العلماء فى توثيقه وتضعيفه ، وإنما ضعف من جهة حفظه ، لا من جهة عدالته ، وقد قال فيه ابن علية : سيئ الحفظ ، وقيل : اختلط فى آخر عمره[5] .

وأما الروايات عن عمر فهى صحيحة ، ولا شك ، وليس من الصواب ولا البحث العلمى الصحيح رد روايات صحيحة بمجرد الهوى ، ولكن الواجب أن نحملها على محاملها الصحيحة من غير تعسف ، ولا تكلف ، وأحب أن أنبه إلى أن رواية الصحيحين ليس فيها =

(١) أخرجه البخارى [٦٨٢٩] ، ومسلم [١٥/١٦٩١] .
(٢) أخرجه مالك فى الموطأ [٦٢٨/٢] .
(٣) أخرجه أحمد فى المسند [١٣٢/٥] ، وانظر فتح البارى [١٠٨/١٤] : فى شرح الحافظ للحديث رقم [٦٨٢٩] ط الفكر - بيروت ، وصحيح مسلم بشرح النووى [٢٠٧/٦] فى شرح الإمام النووى للحديث رقم [١٥/١٦٩١] ط أبى حيان - مصر ، الإتقان [جـ ٢ ص ٢٥] .
(٤) مقدمتان فى علوم القرآن [ص ٨٣] .
(٥) تهذيب التهذيب [جـ ٥ ص ٣٨-٤٠] .

http://kotob.has.it

= التصريح بقوله الشيخ والشيخة إلخ ، ولا أنها كانت قرآنا ، قال الحافظ فى الفتح : « وقد أخرجه الإسماعيلى من رواية جعفر الفريابى عن على بن عبد الله شيخ البخارى فيه ، فقال بعد قوله : « أو الاعتراف » وقد قرأناها « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » فسقط من رواية البخارى من قوله : « وقرأناها » إلى قوله : « البتة » ولعل البخارى هو الذى حذف ذلك عمدا فقد أخرجه النسائى عن محمد بن منصور ، عن سفيان كرواية جعفر ، ثم قال : « لا أعلم أحدا ذكر فى هذا الحديث « الشيخ والشيخة » غير سفيان ، وينبغى أن يكون وهم فى ذلك « قلت » - أى الحافظ ابن حجر - : وقد أخرج الأئمة هذا الحديث من رواية مالك ويونس ومعمر وصالح بن كيسان وعقيل ، وغيرهم من الحفاظ ، عن الزهرى فلم يذكروها ، وقد وقعت هـذه الزيادة فى هذا الحـديث من رواية الموطأ عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب » إلخ ما قال . وهى الرواية التى أشرت إليها آنفا . ومهما يكن من شيء فقد وردت آثار كثيرة فى هذا المعنى ، واستشهد الأصوليون بآية « الشيخ والشيخة إلخ » لما نسخ لفظه وبقى حكمه ، وقد روى حديثها البخارى ، ومسلم ، ومالك ، وأحمد ، وأبو داود والنسائى ، والترمذى(١) ، ولئن كانت روايات الصحيحين خلت من ذكر الآية فقد جاءت فى رواية غيرهما وإذا كان الحال على ما سمعت فما هى المحامل الصحيحة لهذا الحديث ؟

(١) أن هذه الروايات آحادية فهى لا يثبت بها قرآن ، ولا تعارض القطعى الثابت بالتواتر ، وغاية ما تدل عليه أنها حديث من أحاديث رسول الله ، وسنة من سننه ، ولا ينافى هذا قول عمر رضى الله عنه : « وكان فيما أنزل عليه » فإن جبريل - كما ذكرت - كان ينزل ببعض السنة كما ينزل بالقرآن ، وتسميتها آية بالمعنى اللغوى لا الاصطلاحى ، وكذلك قوله : « فقرأناها ووعيناها » فالمراد به نرويها عن رسول الله فعبر عن الرواية بالقراءة ، ومنه يقال : فلان يقرأ الحديث والسنن على فلان ، ويكون قوله : « والرجم فى كتاب الله =

(١) أخرجه أحمد [١٨٣/٥] ، ومالك فى الموطأ [٦٢٨/٢] ، وابن ماجة [٢٥٥٣] وقال الألبانى فى صحيح ابن ماجة [٢٠٦٧] : صحيح .

http://kotob.has.it

= حق » أى فى شرع اللّٰه وحكمه وتقديره[1] ، أو يكون المراد به الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴾ فقد بينت السنة أن المراد جلد البكر ، ورجم الثيب ، ويؤيد هذا التأويل قول الفاروق رضى اللّٰه عنه : لولا أن يقال زاد عمر فى كتاب اللّٰه لكتبتها فى المصحف : إذ لا يقال زاد لما عرف أنه منه ، لكنه لما كانت عنده سنة مؤكدة وحكما لازما حث على حفظها وقراءتها ودراستها ، حتى لا يغفل الناس عنها ، كما حث على حفظ آى القرآن ، والذى يؤكد هذا التأويل ما رواه ابن حمدويه بسنده عن الحسن أن عمر قال : هممت أن أدعو بنفر من المهاجرين والأنصار ، معروفة أسماؤهم وأنسابهم ، وأكتب شهادتهم فى ناحية المصحف أى حاشيته . هذا ما شهد عليه عمر بن الخطاب وفلان وفلان يشهدون أن رسول اللّٰه ﷺ رجم فى الزنا وأنى خفت أن يجىء قوم من بعد يرون أن لا يجدونها فى كتاب اللّٰه فيكفرون بها ، وعمر رضى اللّٰه عنه ما كان يخشى فى الحق لومة لائم فلو أنها كانت من القرآن لأثبتها ، ولما خاف مقالة الناس ، وكونه هم أن يكتبها فى الحاشية لا فى الصلب دليل على أنها ليست قرآنا ، قال العلامة الألوسى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾ [النور : ٢] : « إن الجلد نسخ فى حق المحصن قطعا ، لأن الحكم فى حقه الرجم واختلف فى الناسخ هل هى السنة القطعية ، أو ما رواه عمر رضى اللّٰه عنه من الآية المنسوخة « الشيخ والشيخة » قال العلامة ابن الهمام : إن كون السنة القطعية أولى من كون ما ذكر من الآية لعدم القطع بثبوتها قرآنا ثم نسخ تلاوتها ، وإن ذكرها عمر وسكت الناس ، فإن كون الإجماع السكوتى حجة مختلف فيه ، وبتقدير حجيته ، لا نقطع بأن المجتهدين من الصحابة رضى اللّٰه عنهم كانوا إذ ذاك حضورا ، ثم لا شك فى أن الطريق فى ذلك إلى عمر ظنى ، ولهذا - واللّٰه أعلم - قال على كرم اللّٰه وجهه حين جلد شراحة ثم رجمها : « جلدتها بكتاب اللّٰه ورجمتها بسنة رسول اللّٰه ﷺ » لم يعلل الرجم بالقرآن المنسوخ . =

(١) ومثل ذلك قول اللّٰه تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ ﴾ [التوبة : ٣٦] يعنى فى حكمه وتشريعاته وتقديره الأزلى .

http://kotob.has.it

= ويؤيد هذا التأويل أيضا ما أخرجه النسائى أن مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت : ألا تكتبها فى المصحف ؟ قال : لا . ألا ترى بأن الشابين الثيبين يرجمان ، ولقد ذكرنا ذلك فقال عمر : أنا أكفيكم ؛ فقال : يا رسول الله ، أكتبت آية الرجم ؟ قال : « لا أستطيع » .

وإن نظرة فاحصة فى « الشيخ والشيخة إلخ » لترينا أنها ليس عليها نور القرآن ومسحته ، ولا فيها حكمته وإعجازه ، وإن قول زيد رضى الله عنه : « ألا ترى أن الشابين الثيبين يرجمان » ما يشير إلى عدم بلوغها الغاية فى الدقة والإحكام ، كما هو الشأن فى القرآن ، وهذا يدل على فرق ما بين كلام الله وكلام الإنسان .

٢ - أن هذه الآية كانت قرآنا ثم نسخ لفظها وبقى حكمها ، قال الإمام النووى رحمه الله : « أراد بآية الرجم : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » . وهذا مما نسخ لفظه ليس له حكم القرآن فى تحريمه على الجنب ونحو ذلك ، وفى ترك الصحابة كتابة هذه الآية دلالة ظاهرة على أن المنسوخ لا يكتب فى المصحف ، وبنحو ذلك قال ابن كثير فى تفسيره[1] ، والحافظ ابن حجر فى الفتح[2] ، ولعل السر فى نسخ لفظها عدم إحكام معناها ، وأن العمل على غير الظاهر من عمومها فقد روى الحاكم عن عمر أنه قال : لما نزلت أتيت النبى ﷺ فقلت أكتبها ؟ فكأنه كره ذلك . فقال عمر : ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد ، وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رجم ، هذا إلى ما فى ظاهرها من تجرئة الشباب على الوقوع فى الزنا ؛ إذ الشأن فى الكبير والكبيرة البعد من مواطن الإثم والفجور فاقتضت حكمة الله تنزيه الأسماع عن سماعها ، وهذا الجواب الثانى إنما يتم بعد تسليم قرآنيتها ، وقد خالف فى هذا كثير من العلماء .

الشبهة العاشرة : ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أُبىّ بن كعب قال : إن رسول الله ﷺ قال لى : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » قال فقرأ : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [البينة : ١] . قال : فقرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه =

(١) [جـ ٦ ص ٥١] .

(٢) [جـ ١٢ ص ١٢٣] .

http://kotob.has.it

= لسأل ثانيا ، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ، وأن ذات الدين عند الله الحنيفية السمحة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيرا فلن يكفره » ورواه الترمذى أيضاً [1] وكذلك روى هذا الأثر بزيادات أكثر من هذه[2] .

وللجواب على ذلك نقول :

١ - إن هذا الحديث وأمثاله أحاديث لم تشتهر بين نقلة الحديث ، وإنما يرغب فيه من يكتبها طلبا للغريب ، وما كان كذلك فليس لأحد أن يعترض به على الكتاب الذى حفظ عن رسول الله بالتواتر ، إذ هو على تسليم صحته آحاد فلا يعارض القطعى الثابت بالتواتر ولا يثبت به أيضا قرآن .

٢ - إن هذا الحديث طعن فيه بعض أهل العلم بأنه باطل ، ولعل مما يدل على بطلانه أن سورة ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾ بلفظها الذى ورد فى المصاحف ثبتت متواترة عن أُبىّ بن كعب وقد قدمنا أن قوله : « لو كان لابن آدم واد من مال إلخ » ليس بقرآن ، وإنما هو حديث نبوى أو قدسى ، وكذلك ما زيد فى هذه السورة من ألفاظ هو بالبيان والتفسير أشبه منه بالقرآن ، إذ ليس عليه شىء من نور القرآن ، ولا له إعجازه ، ولا ينبغى أن يعزب عن بالنا أن بعض الصحابة كان يقرأ بعض آيات القرآن على سبيل التفسير والبيان كما كان بعضهم - كأُبىّ وابن مسعود - يكتب فى مصحفه بعض تفسيرات ، وتأويلات ، وأدعية ، ومأثورات فيظن من يسمعها أو يقف عليها أنها من القرآن ، والحق خلاف ذلك ؛ قال أبو بكر الأنبارى بعد أن ذكر ما روى أن عكرمة قرأ على عاصم ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾ ثلاثين آية هذا فيها قال : « هذا باطل عند أهل العلم ؛ لأن قراءة ابن كثير وأبى عمرو متصلتان بأُبى ابن كعب ، لا يقرأ فيها هذا المذكور فى ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾ مما هو معروف فى حديث رسول الله ﷺ ،=

---

(١) أخرجه أحمد [٣/١٣٠] عن أنس بن مالك . و [٥/١٣٢] عن أُبى بن كعب ، والترمذى [٣٧٩٣] ، وقال : حديث حسن صحيح ، وقال الألبانى فى صحيح الترمذى [٣٠٥٨] : حسن .

(٢) مقدمتان فى علوم القرآن [ص ٩٠] .

http://kotob.has.it

= على أنه من كلام الرسول عليه السلام لا يحكيه عن رب العالمين فى القرآن ، وما رواه اثنان معهما الإجماع أثبت مما يحكيه واحد مخالف مذهب الجماعة »[1] .

وقال بعض العلماء : « والذى يؤكد ما قلناه اتصال قراءة أبى جعفر بابن عباس وأبى هريرة وابن مسعود وغيرهم ، وهم قرؤوا على أُبىّ بن كعب ؛ واتصال قراءة ابن كثير بمجاهد ، وقرأ مجاهد على ابن عباس ، وقرأ ابن عباس على أُبىّ ، واتصال قراءة أبى عمرو بمجاهد وسعيد بن جبير وهما قرأا على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أُبىّ ، فهؤلاء الأئمة وأعلام الدين الذين رووا عنهم وحفظوا عليهم نبره ومده وتشديده ، فلو كان من قراءة أُبى ذلك لقرأه عليهم ، ولرووا عنه ، وحفظوا عليه ، لطول تلك الألفاظ »[2] .

وأيضا فقد اضطرب النقل فى هذا الأثر ، فمن قائل : إنه آية من سورة ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾ ، ومن قائل : آية من سورة تشبه سورة براءة ، والباطل دائما لجلج ، والحق دائما أبلج ، وقد وردت هذه القصة فى الصحيحين[3] بدون هذه الزيادات ولا شك أن روايات الصحيحين أوثق من غيرها وأولى بالقبول ، مما يؤيد أن هذا التخبط المروى باطل .

٣ - إن ذلك كان قرآنا ثم نسخ ويكون من حمل ذلك عن أُبىّ إنما هو قبل أن ينسخ ثم لما نسخ رجع أُبى عنه ، وبقوا هم على قراءته لعدم علمهم بالنسخ ، أما جمهور المسلمين العارفين بأنه نسخ فلم يقرؤوا به ولم ينقلوه . وهذا الجواب على سبيل التنزل والتسليم بأنه كان قرآنا ، ودون ذلك صعود السماء .

الشبهة الحادية عشرة : روايات[4] يوهم ظاهرها سقوط شىء من القرآن .

(أ) ما روى أن أبيا كان يقرأ : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٦] . ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام . =

---

(١) تفسير القرطبى [جـ ٢٠ ص ١٣٩] .

(٢) مقدمتان فى علوم القرآن [ص ٩٢] .

(٣) انظر فتح البارى [جـ ٨ ص ٥٨٩] وما بعدها . صحيح مسلم بشرح النووى [جـ ١٦ ص ٢٠] .

(٤) الإتقان [جـ ٢ ص ٢٥] ، مقدمتان فى علوم القرآن [ص ٩٩] .

http://kotob.has.it

= (ب) ما روى أن عمر بن الخطاب قال لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجد فيما أنزل الله علينا أن « جَاهِدُوا كَمَا جاهَدْتُم أولَ مَرَّةٍ » ؟ فإنا لا نجدها ، قال : أسقطت فيما أُسقط من القرآن .

(جـ) ما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعرى قال : كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات ما نسيناها ، غير أني حفظت منها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] ، فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة » .

(د) ما روى فى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا غدرا ، قال أنس : ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع « أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا »[1] .

(هـ) ما روى عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن الزبير يقرأ ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ويستعينون بالله على ما أصابهم » .

(و) ما روى عن ابن عباس وأُبى أنهما قرأا : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه : ١٥] من نفسى فكيف أطلعكم عليها » .

(ز) ما روى عن علىّ أنه قرأ ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ ونوائب الدهر ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ .

والجـواب :

١ - أن هذه الروايات أغلبها باطلة لم يصح منها شيء ، وإنما هى غرائب ومناكير رواها الذين أولعوا بها ، وليس أدل على بطلانها من رواية « أكاد أخفيها من نفسى » وهل يعقل أن يخفى الله شيئا من نفسه ؟ ومن رواية ، والعصر ونوائب الدهر ، فقد تواتر عن على رضى الله عنه أنه كان يقرأ بقراءة الجماعة ، وهل يعقل أن يدع على شيئا يرى أنه من القرآن ، ثم لا يثبته ولا سيما أنه قد آلت إليه الخلافة ، وصار صاحب الكلمة النافذة بين المسلمين ! إن هذا إلا بهتان مبين . =

(١) أخرجه البخارى [٤٠٩٠] .

http://kotob.has.it

= ٢ - أن هذه الروايات على فرض صحتها تحمل على أن ذلك كان قرآنا ، ثم نسخ لفظه وبقى معناه كما تدل على ذلك رواية الصحيحين فى أصحاب بئر معونة .

٣ - أن بعض هذه الروايات محمول على التفسير والتوضيح ، ويكون الراوى سمع من يقرؤها مفسرا ومبينا لمعناها فظن أن الكل قرآن . ولعل هذا يظهر فى وضوح فى الرواية المتعلقة بقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ الآية ، والرواية المتعلقة بقوله تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

رد عـام :

وإليك رد عام يرد به على هذه الشبه وعلى غيرها مما أورد على جمع القرآن .

وهو أن المسلمين أجمعوا على أن هذا الذى كتب فى المصاحف ، وحفظه الألوف عن الألوف ، هو القرآن الذى أنزله رب العالمين ، على نبيه محمد ﷺ ، لا زيادة فيه ، ولا نقصـان ، فمن ادعى زيادة عليه ، أو نقصانا فقد أبطل الإجماع ، وبهت جمهور الناس ، ورد ما قد صح عن الرسول ﷺ ، وغير معقول أن نبطل ما أجمع عليه المسلمون بروايات جلها باطل موضوع . وما صح منها فله محامل صحيحة ، وليس نصا على ما يزعم الزاعمون ، وإن من يزعم أن القرآن نقص منه شىء أو زيد فيه شىء ، كمن زعم أن الصلوات المفروضة كانت عشرا فأنقصها المسلمون إلى خمس ، أو أنها كانت ثلاثا فصيروها خمسا - سواء بسواء - فإذا صح فى العقول شىء من هذا صح ما تقولونه على القرآن . والله سـبحانه - وقد وعد بحفظ كتابه - قد هيأ له من الأسباب الداعيـة إلى حفظه وصيانته من التحريف والتبديل ما لم يتهيأ لكتاب غيره فى الدنيا ، وعلى كثرة ما صوبه أعداء الإسلام إلى القرآن من سهام غير صائبة ، وتلفيقات مزورة فقد بقى القرآن كالطود الشامخ الذى لا تزحزحه عن مكانه الرياح ، والأعاصير ، مهما اشتدت ، وقد تكسرت على صخرته العاتية كل ما راشوا من سهام ، وبيتوا من كيد ، وسيبقى هكذا ، صلدا ، قويا حتى يرث الله الأرض وما عليها ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] .

المدخل لدراسة القرآن الكريم [٢٥٦ - ٢٧٧] .

http://kotob.has.it

الأمر الآخر الذي ورد على لسان القمني في ذات الموضوع حول جمع المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه قوله [ص : ٢٧٠] :

« والمعلوم أنه عندما جمع المصحف « زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه » تم جمع كثير من الآيات المنسوخة إلى جوار الآيات الناسخة ، وهذا هو الواقع الذي فرض إنشاء باب في النسخ بعنوان « ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته » ، وهو الواقع الذي أدى إلى ظهور كثير من الآيات بمظهر التضارب والتناقض » . [الأسطورة والتراث] .

ولا يغني أسلوب الكر والفر في العلم ، فإن من شك في ترتيب آيات القرآن كمن شك في القرآن ذاته ، فالقرآن نزولاً وترتيباً توقيفي بأمر إلهي ، وكان جبريل عليه السلام يوضح للنبي ﷺ موضع كل آية كما جاء في الحديث الذى أخرجه الدارمى فى المقدمة .

ولو لم يكن ترتيب الآيات توقيفيا ، فكيف كانوا يقرؤونه في عهد المصطفى ﷺ وأبي بكر وعمر رضى الله عنهما ؟ هل كانوا يقرؤونه على ترتيب غير معلوم ، فكيف إذن كان المأموم يتابع الإمام ؟ إذا كان الترتيب غير متفق عليه ؟!

بل إن من يطلع على الدراسات القيمة التي قام بها العلماء المسلمون ومنهم « الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز » ير وضوح الترابط بين السور وليس بين الآيات فقط ، ومن شاء فليراجع بحثه القيم في مجلة الأزهر .

فإذن الهجوم موجه على عثمان رضي الله عنه بادعاء أنه جمع المصحف ، ويتناسى هؤلاء أن القرآن جمع في عصر المصطفى ﷺ وكتب في عهده في

http://kotob.has.it

رقاع وأعساف النخل والعظام ، ولما استحر القتل في القراء يوم اليمامة ظهرت فكرة كتابة القرآن وجمعه في صحف زمن أبي بكر ، ثم كان دور عثمان أن طلب هذه الصحف المحفوظة عند « حفصة » آنذاك وكانت هي الأساس الذي بنيت عليه النسخ التي أرسلت إلى الآفاق ، فلم يقم بجمع وإنما قام بنسخ ما كان مكتوباً ومحفوظاً .

ولكن إهدار النصوص الصحيحة وعدم ذكرها والتشبث بنصوص أخرى التى تعارض الصحيح الثابت لابد أن يؤدي إلى مثل هذه النتائج .

٢٢

وللدلالة على التخبط عند القمني نجده يورد الآيات التي نزلت في اليهود والنصارى ، وكذلك الآيات التي تناولت الحرية الدينية .

فيقول [ص : ٢٧١] :

« النموذج الثاني : الآيات المتعلقة بأصحاب الديانات الكتابية :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] ، ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد : ٢٧] ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ٥٥] . وهي الآيات التي يقابلها آيات تقول : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩]

http://kotob.has.it

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

النموذج الثالث : الآيات المتعلقة بالمدى المسموح به من الحرية الدينية :

« ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] ، ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] ، ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . وهي الآيات التي يقابلها : « ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران : ٨٣] » .

[الأسطورة والتراث] .

فهو يرى أن الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... ﴾ [البقرة : ٦٢] تعارض الآية ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

ومع أن الآية واضحة وضوح الشمس بقوله تعالى : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... ﴾ فالأمر معلق بالإيمان بالله أي بوحدانيته ، فأي تعارض بينها وبين الإسلام ؟ وهل الإسلام إلا إيمان بالله الواحد الأحد ؟ فأين التعارض إذن ؟!

وأما الآيات التي زعم أنها ألغت الحرية الدينية - فى زعمه - فإنا نقول له : إن الإسلام لم يلغ الحرية الدينية حتى اليوم بل إنه هو وحده الذى صانها وجعلها حقًا من الحقوق ، بدليل وجود اليهود والنصارى وأتباع بعض الملل المنحرفة في ديار المسلمين .

فلا إكراه في الدين ، بل إن خطوات البدء بالجهاد والقتال كانت : الإسلام ، ثم الجزية ، ثم الحرب ، فمن أراد البقاء على دينه فلا إكراه عليه .

ولو أنك راجعت الفقه الإسلامى لوجدت أن الإسلام قد أعطى أتباع الديانات الأخرى الحق في تطبيق قانون الأحوال الشخصية وفق شرائعهم ،

http://kotob.has.it

ليس هذا فحسب بل اعتبر المال الحرام في حق المسلم مهدراً وغير مقوم إذا أتلف ، وذلك بعكس الحكم عند الذمي فيعتبر في حقه مقوما ، فلو أتلف له مال مثل الخمر أو الخنزير وجب تعويضه له ، فأي حرية أكثر من هذه ؟

٢٣

ولإثبات التخبط الذي وقع به القمني نورد ماذكره حول صحيفة المعاقل، حيث قال [ص : ٢٧٣] :

« كذلك الحال في الموقف من اليهودية واليهود ، فقد كانت يثرب دار هجرة للمسلمين ، بينما كانت معقلا كبيرا ليهود الجزيرة ، وكانت « المصلحة » والحكمة تستدعي أن تسبق المسلمين المهاجرين إلى يثرب ، آيات تردد ذكر أنبياء بني إسرائيل ، وقصص العهد القديم ، والقرار بأن الله فضلهم على العالمين ، وأن توراتهم فيها هدى ونور ، وعليهم الحكم بما جاء فيها ، وكان أول عمل سياسي هام قام به المصطفى ﷺ عند وصوله يثرب هو عقد الصحيفة التي كفلت حرية الاعتقاد لأهل المدينة جميعا ، وكان من أهم نصوصها « هذا كتاب محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ، أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .. وأن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ... » بل واشترع للمسلمين صوم الغفران اليهودي ، بل والتوجه في الصلاة وجهة اليهود « بيت المقدس » . [الأسطورة والتراث] .

http://kotob.has.it

إن القمني يرى أن أول عمل قام به المصطفى ﷺ هو عقد صحيفة كفلت حرية الاعتقاد لأهل المدينة جميعا [1] .. ثم يعود في كتاب « حروب دولة الرسول - جزء ثان - » ليؤخر زمن الصحيفة إلى ما بعد السنة الثانية للهجرة !! وهكذا يستدل بالأمر ونقيضه حسب الهوى ، فتارة يقدم وتارة يؤخر ، وإن سقطة كهذه جديرة أن تهدر قيمة جميع ما كتب وتنسفه من أساسه وتنفي عنه العلمية المزعومة . هذا مع ما جاء في هذه الفقرة من غمز ولمز بأن القرآن كان يمالئ اليهود في الآيات المكية تأليفا لهم ، ثم تغير الحال بعد ذلك ، فالقرآن لا يمالىء أحدا ، وهو في غنى عن الناس جميعا .

ويكفينا في هذا المقام ما قاله « حسن حنفي » : إن القمني دائما لايصل الغاية في التوضيح ويترك ذلك لذكاء القارئ .. فهل يا ترى هو تشكيك في القرآن أم أن ذلك متروك لذكاء القارئ ؟؟؟

---

(١) اعتمد عدد من الباحثين المعاصرين على الوثيقة فبنوا عليها دراساتهم ، وكان من الضرورى التأكد أولًا من مدى صحة الوثيقة قبل أن تبنى عليها الدراسات ، خاصة أن البعض يرى أنها موضوعة ؛ خاصة أنها لم ترد فى كتب الفقه ، أو الأحاديث الصحيحة رغم أهميتها التشريعية . ولكن الحكم بوضعها مجازفة ؛ خاصة وإن وردت من عدة طرق وإن كانت لا ترقى فى مجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة ، وغاية ما تصلح له الدراسة التاريخية التى لا تتطلب درجة الصحة التى تقتضيها الأحكام الشرعية .
وانظر السيرة النبوية الصحيحة [١/٢٧٢ - ٢٨١] .

http://kotob.has.it

ولا نجد بعد ذلك في هذا الفصل أمراً جديراً بالاهتمام سوى ما أورده في [ص : ٢٦٨] نقلا عن الزمخشري :

« وبشأن الشرائع ونسخها في كتاب الله العزيز بوجه عام لحظ الإمام الزمخشري أمرا له قيمته حيث يقول : « والله تعالى ينسخ الشرائع لأنها مصالح ، وما كان مصلحة أمس ، يجوز أن يكون مفسدة اليوم ، وخلافه مصالح .. وكانوا يقولون : إن محمدا يسخر من أصحابه ، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ، فيأتيهم بما هو أهون ، ولقد افتروا ، فقد كان ينسخ الأشق بالأهون ، والأهون بالأشق ، والأشق بالأشق ، والأهون بالأهون ، لأن الغرض المصلحة ، لا الهوان والمشقة .. إن التبديل من باب المصالح كالتنزيل ، وإن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة » . [الأسطورة والتراث] .

ومن المعلوم أن الزمخشري معتزلي ، والمعتزلة يقولون بخلق القرآن ، وهو مذهب عقلي احتوى على الكثير من المغالطات .

ولعل ما أغرى القمني هو فكرة المصالح ، وأن النسخ مرتبط بالمصلحة والمصلحة التى يقصدها الزمخشرى تناقض المصلحة التى يتغياها العلمانى ، فالأولى هى المصلحة الشرعية المعتبرة ، والثانية هى مصلحة الهوى والضلال .

ويظهر أن القمنى يريد اليوم أن ينسخ حكم شيء من القرآن للمصلحة التى يراها هو ، وهذا لا يغيب عن ذهن القارئ الذكي الذي أشار إليه الدكتور « حنفي » .. وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] .

❑ ❑ ❑

http://kotob.has.it

خاتمـــة :

لقد كنا نظن أن ما أغضب هؤلاء هو : اجتهادات بعض العلماء التي لم توافق أهواءهم ، فالعلماء يخطئون ويصيبون ، ولكن الأمر تعدى ذلك حتى وصل إلى الصحابة المعدلين في القرآن ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى الحديث ، بل تعداه إلى القرآن الكريم في ترتيب آياته ، ثم في تفاعله التاريخي مع الأحداث وإنكار أزليته ...

وهنا يتضح المقصد الخفى من نشر هذه الكتب الهدامة ، التي ثار « الصغير » القائم على نشرها على الدعاة « الكبار » في أجهزة الإعلام وقال : « كادوا أن يلقوا بنا في مزبلة الأمم الغابرة » .

ولا أدري من الذى يُلقى بمن ، ألم نكن سادة الأُمم ؟!!!

ولكننا أصبحنا اليوم « وبفضل ما ينشر هذا « الصغير » وأمثاله » أضحوكة الأمم الحاضرة !! فحسبنا اللّه لديننا ، وحسبنا اللّه لرسولنا ، وحسبنا اللّه لأمة هى خير الأمم وإن كانت فرطت فى دينها ، ففيها مناعتها التى ستعيد إليه عافيتها إن شاء اللّه تعالى ، أليس فيها الطائفة الناجية المنصورة التى هى على الحق ، أليس وعدنا رسول اللّه ﷺ أن اللّه تعالى يرسل لها على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ، ستعود إن شاء اللّه فى الوقت الذى يقدره اللّه تعالى لها ، وموعدنا الصبح ، أليس الصبح بقريب .

❑ ❑ ❑

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

قراءة لفكر « سيد القمني » في كتابه

« رب الزمان »

١

عن قصة رحيل إبراهيم وزوجته سارة إلى مصر يقول [ص : ٢٠-٢١] :

« وبنظرة سريعة عجلى على إصحاحات الكتاب المقدس يمكنك أن تجده يموج بالصخب الجنسي ، ونموذجا لذلك ما جاء به مع الرجل الأول في تاريخهم ، البطرك إبراهيم ، الذي حكى الكتاب عنه : « فانحدر إبرام إلى مصر .. وقال لساراي امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر .. قولي أنك أختي ليكون لي خير بسببك ، وتحيا نفسي من أجلك .. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فصنع إبرام خيراً بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال . « سفر التكوين : ٢١ » وهكذا نجد البداية لا تبشر بخير... » [رب الزمان] .

ولا يعني بحال من الأحوال أن يدفعنا غضبنا من اليهود أن نتعدى الحق ونتجاوزه ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ فهل يقودنا الغضب من اليهود إلى شتم الأنبياء والاستهزاء بهم ، فالله يقول : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة : ٦٥] .

فالعبارة التي أوردتها من سفر التكوين ، ثم التعليق باتهام بداية ذرية إبراهيم لاتبشر بخير أمر بالغ الخطورة ، وانتقاص من شأن النبوة ، ويكفي هنا قول

http://kotob.has.it

المصطفى ﷺ : « لم أولد من سفاح قط » و « أنا خيار من خيار » . فأنا أترك ماحكاه عن التوراة وانظر إلى التعليق عن البداية التي لا تبشر بخير هل هي يعقوب وإسحاق عليهما السلام ؟

٢

ويورد رواية عن الكتاب المقدس فيه اتهام لأخت يعقوب عليه السلام بالزنى : [ص : ٢٢] :

« وعندما قتل أبناء يعقوب حفيد إبراهيم بعض الفلسطينيين بعد حالة زنى مع شقيقتهم ، قال لهم يعقوب المعروف باسم إسرائيل « كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين .. وأنا نفر قليل » « التكوين : ٣٤ » . [رب الزمان] .

وهذا ترديد لأكاذيب أعداء الأنبياء وتحريفهم ، ولا يبنى عليه علم ، وليس لإثبات أن العرب أو الكنعانيين أسبق بالسكن من العبريين في فلسطين ، فليس هذا مبرراً لترديد أضاليل وتحريفات أحبار اليهود ، وأنت تعرف أن التوراة كتبت بعد عصر النبوة باعتراف علماء المسيحية وتاريخ الكتاب المقدس .

وقد وصفهم الله بقوله : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧] . وما فعلوه بنبي الله يحيى كاف للدلالة على أفعالهم . ولو سلمنا بالاتهامات التي وجهوها للأنبياء لما سلم أحد منهم عليهم السلام من القذف والشتم . فما هو الهدف العلمي من ترديد هذه الأقوال ؟ وعلماء المسيحيين باعترافك يعلمون هذا التحريف .

http://kotob.has.it

ويتهم المأثـور الإســلامي بالإنحيـاز إلى الجـانب الإســرائيلي بقــوله [ص : ٢٩ - ٣٠] :

« ولا أحد يكابر أن المأثور الإسلامي كمثال كان دوما إلى جانب الإسرائيلي ضد كل حضارات المنطقة ، فكان مع يوسف بن يعقوب وموسى بن عمران وبقية بني إسرائيل ضد مصر وحضارتها وشعبها وحكامها ، وكان مع شاؤول طالوت أول ملك إسرائيلي ، ومع داود مؤسس الدولة الإسرائيلية ، ضد جالوت - جوليات البطل الفلسطيني الذي مات وهو يدافع عن أرضه ضد الاحتلال الإسرائيلي الاستيطاني لبلاده . وكان مع أبيهم إبراهيم أرومة القبيلة العبرية ضد العراق القديم وحضارته ممثلاً في شخص ملكها النمرود . وكان مع البدو العبران جميعا ممثلين في جدهم الأسطوري سام بن نوح ضد كل حضارات المنطقة ممثلة في حام بن نوح وأبنائه كنعان الفلسطيني ومصرايم المصري ونمرود العراقي » . [رب الزمان] .

فبعد أن ذكرت مخازي اليهود في جميع كتبك ، وبعد أن أعلن الإسلام لعنه لليهود وأثبت تحريفهم للكتب ، وقتلهم الأنبيـاء وتكذيبهم لهم ، فلا مجال للقـول بأن المأثور الإسـلامى كان إلى جانب الإسـرائيليين ، وإنما الصحيح من القول أنه كان إلى جانب الأنبياء والرسالات الصحيحة وهذا ما يأباه عليك طبعك .

وعبارتك هـذه كأنك تقصـد بها أن الإسلام أيد الغـزاة على أصـحاب الأرض ، فالإسلام لا ينظـر إلى النـاس نظـرة عنصرية ، وإنما اعتبر المسلمين أمة واحدة بقوله : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

http://kotob.has.it

والعاقل الأكثر علمية هو الذي ينبذ العنصرية التي هي من ضعف العقل البشري ، فالناس جميعا من أصل واحد ، فكلهم من تراب فلا تمايز بين أحد ، فالله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] ، ولقوله ﷺ : « كلكم لآدم وآدم من تراب »(١) . وقوله ﷺ : « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى »(٢) .

فالقرآن الذي أيد الأنبياء هو الذي أعلن صراحة لعن اليهود وفضح ألاعيبهم وتحريفاتهم .

ولا أدري ، ألم تطلع على الآيات الكثيرة التي مدحت الأنبياء من بني إسرائيل ، وأيضا تدخل في المأثور الإسلامى الذي غمزت بميله إليهم ضد المصريين وغيرهم ، و هل الحضارات المادية - وان كانت كافرة بالله - بل وفيها من أدعى الألوهية كفرعون والنمرود هي التي تهمك ؟ وان كانت هذه الحضارات قابلة للتطور بدون العنصر الإيماني فلماذا لم تبق هذه الحضارات ؟ ألا يعد هذا تعصباً للكفر ضد الأنبياء ؟ ما الداعى لهذا الجمود المقيت وإصرارك عليه ؟!!

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود [٥١١٦] عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٤٢٦٩] . وصحيح الترمذى [٣١٠٠] ، وأحمد فى مسنده [٢/٣٦١] .

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد فى مسنده [٥/٤١١] بإسناد صحيح .

http://kotob.has.it

وإني لأعجب من إصرارك على تسمية إبراهيم وأولاده بالبطارقة [ص : ٣٢] في قولك :

« فالمعلوم لدارس التوراة بالمنهج العلمي أن التوراة زمن البطاركة الأوائل : إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق وولد إسحاق يعقوب ثم أبناء يعقوب الأسباط الاثنى عشر وضمنهم يوسف ، تتحدث عن زمان كانت فيه القبيلة العبرية لم ترتق بعد إلى مفهوم التوحيد الاسلامى .. حيث كان التقديس والعبادة توجه إلى « اللوهيم » أي الآلهة .. » . [رب الزمان] .

وهذا أمر مجاف للواقع والأدب ، وقولك بأن إبراهيم وذريته من الأنبياء لم يرتقوا إلى مفهوم التوحيد ، ففى هذا تكفير للأنبياء ونسبتهم إلى الوثنية ، ولايكفي تدليلك بالاسم الوارد في التوراة « الوهيم » ، فالوهيم في العبرية وإن احتوت معنى الجمع ، لكنها على سنة اللغات السامية في التعظيم ، وكما ورد في القرآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ . فهل هذا تعدد للآلهة ؟

إنما هو أسلوب للتعظيم ، بل إن هذا الخلط قد حصل في كثير من كتبك ، إذ أنك اعتبرت تعدد الأسماء والصفات للإله في التوراة إنما هو تعدد للآلهة ، فنحن نعلم من القرآن أن لله تعالى أسماء وصفات حسنى ، ومن الحديث نعرف أنها تسعة وتسعين اسماً للمولى عز وجل ، ولكنها لا تعني التعدد ، إنما هي أسماء وصفات للذات الإلهية الواحدة(١) .

---

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] . ولحديث النبى ﷺ عند البخارى [٧٣٩٢،٧٢٣٦] ، ومسلم [٦/٢٦٧٧] بلفظ : إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة . هذا وقد وردت الأسماء الحسنى مفصلة فى حديث الترمذى [٣٥٠٧] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٧٨٦] .

http://kotob.has.it

واتهام الأنبياء بالشرك فرية لم يقل بها أحد من قبلك . وهل بعد أن أثبت القرآن تحريف اليهود للتوراة وبعد أن ظهر لك ولغيرك من الباحثين الغربيين هذا التحريف تنسب الشرك إلى الأنبياء بانياً ذلك على هذه التحريفات ؟ إن هذا ليس نقضاً لدين واحد وإنما هو هجوم على جميع الأديان .

٥

ويدعي أن مسألة الخلود لم تكن موجودة عند يوسف عليه السلام

[ص : ٣٣] : ☚

« ومثال آخر على الالتباسات التي وقع فيها السيد شاهين ، قوله على لسان رام بطل الفيلم بما يشي بإيمان يوسف بن يعقوب بعالم آخر تخلد فيه الأرواح ، وأن الجسد الذي يعمد المصريون إلى تحنيطه ليس أبدا قيمة في مسألة الخلود ، وهنا خلط ما بعده خلط ، وخبط ما بعده خبط ، لأن الإسرائيليين الأوائل منذ فجر تاريخهم وحتى القرون الأولى للميلاد لم يعتقدوا إطلاقا في خلود للروح في عالم آخر ، وأن الشعب الأوحد في ذلك الزمان الذي ابتدع فكرة الخلود من بعد الموت والبعث والحساب أمام موازين العدالة الإلهية هو الشعب المصري وحده مطلقاً ودون شريك ... » .

وادعاؤك هذا يشمل يعقوب وذريته من الأنبياء أنهم لم يكونوا على معرفة بخلود الروح وهو ادعاء باطل ، ولا أرى في عبارتك إلا تمجيداً للدين الفرعوني الذي نسبت إليه المعرفة المطلقة بمسألة الخلود ، وأنه ابتدع مسألة الحساب والميزان .

http://kotob.has.it

وهل كان الفراعنة يعبدون الله ؟ أم كانوا يعبدون أوزيريس وآمون ؟ وهل نسيت أنك أثبت - أنت نفسك - في مواضع أخرى أنه من أدخل التوحيد إلى مصر أحد الفراعنة الذي كانت أمه سامية وتربى لديهم ، وبذلك جلب معه عقيدة التوحيد وهي من عقائد الرعاة فعقيدة التوحيد دخيلة على مصر لذلك حصلت الفتنة بين الكهنة وهرب بعضهم ، أليس هذا تناقضاً في أقوالك ؟

وبلغت العنصرية أوجها في إشارتك إلى أن الشعب المصري مطلقا دون شريك هو الذي ابتدع ذلك ، منكرا ذلك على الأنبياء من لدن آدم إلى إبراهيم ، ناهيك عن أنبياء بني إسرائيل ، وغيرهم ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر : ٧٨] . أليس هذا فرعنة للمنطقة ؟ ومحاولة نسب كل شيء لهم ، حتى التوحيد وعقيدة الخلود أليست هذه عنصرية مشابهة للصهيونية كما قال « أبو زيد » في الأتيليه ؟

٦

وأشد من ذلك : اقتناعك التام بنظرية التطور في الدين وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة : [ص : ٣٣] :

« ولما جاءت المسيحية وأخذت بعقيدة الخلود ، استبدلت فقط رب الخلود المصري « أوزيريس » بيسوع المسيح ، ثم جاء الإسلام فأقر عقيدة الخلود ، ولم يخرج عن التصور المصري للبعث والحساب .. بينما اعتبر الإسلام أن فناء الجسد ليس مشكلة بعد تطور مفهوم

http://kotob.has.it

> الألوهية إلى إله كلي القدرة ، حيث يصبح بإمكانه الكلي أن يحيي تلك العظام الرميم مرة أخرى ، وهو اعتقاد سبق تطويره والقول به في الزمن السابق للإسلام بجزيرة العرب ، وهو ما تفصح عنه أشعار الجاهليين حول الخلود والحشر » . [رب الزمان] .

فها أنت تشير صراحة إلى « تطور مفهوم الألوهية » فحتى الألوهية خاضعة في نظرك لنظرية النشوء والارتقاء . وهذا من العبث والتلفيق ، فإن كان اليهود متهمين بالعنصرية ، فلا أرى عندك إلا تعصباً للفرعونية . والمؤمنون يؤمنون بأن التوحيد واليوم الآخر « البعث » وهو ما سميته بالخلود ، هو الأصل من لدن آدم عليه السلام ، وكلما انحرف الناس بعث اللّه لهم رسولاً ليعيدهم إلى الأصل أما كون وجود التوحيد والعقائد الصحيحة لدى بعض المتحنفين والنصارى وبعض اليهود قبل ظهور الإسلام فهو إثبات للحق بأنها من بقايا الرسالات السابقة وليس تطوراً كما ذهبت إليه . وما يهمني قولك : اعتقاد سبق تطويره قبل الإسلام ، أي : أخذه مطوراً ، ثم بعد ذلك تدعي اللمس الخفيف للإسلام !!

إذن .. الإسلام أعاد التوحيد لأصوله ، فالإسلام متمم ومصحح وليس مبتدعاً للتوحيد .

فلم ينسب أحد منهم إلى نفسه اختراع هذه العقائد وإنما نسبوا أنفسهم إلى أنبياء سابقين . وهل ذكرك لوجودها هو انسياق مع نظرية تعلم المصطفى ﷺ للدين واقتباسه من الأحناف واليهود ؟ فما هذا الغمز واللمز ؟ أليس هذا مما أشار إليه الدكتور « حنفي » بأنك تترك القارئ ليستنتج بنفسه . ألم تقرأ قول اللّه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة : ٢] ،

http://kotob.has.it

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

٧

ويدلل من علم الأركيولوجيا على عدم ثبوت وجود ليوسف وابراهيم وموسى وغيرهم تاريخيا لعدم العثور على حفائر أركيولوجية لهم [ص : ٣٤] : ☚

« هذا بينما التاريخ كعلم لا يعرف في وثائقه المدونة ولا في حفائره الأركيولوجية ، على الإطلاق شخصا باسم يوسف ، ولا جماعة باسم الأسباط ، ولا صديقا للإله باسم إبراهيم ، ولا نبيا باسم موسى ، ولا عظيماً باسم داود ، ولا حكيماً حاز على شهرة فلكية ملّك على مملكة أسطورية باسم سليمان ..

فقط حكاها لنا كتاب مقدس باسم التوراة .

ثم علمناها إيمانا عبر الكتاب المقدس الأخير القرآن الكريم » .

[رب الزمان] .

فماذا تقصد بقولك « علمناها إيمانا » فهل الإيمان يختلف مع العلم ؟ وهل أصبح علم الأركيولوجيا حاكما على العقائد ؟ وهل ادعى الأركيولوجيون كمال علمهم ؟

إن كان كذلك فأين هي ألواح موسى التي نزلت مكتوبة ؟ لمَ لم يجدها علم الأركيولوجيا ؟ وأين المائدة التي نزلت على عيسى عليه السلام؟ بل وأين التابوت ؟

فهل فقدان الآثار ينفي وجودها أصلا ؟

http://kotob.has.it

إن علم الأركيولوجيا مازال في مهده ، ولم يكتشف إلا الشيء اليسير مما كان موجوداً . بل وحتى علم التاريخ لم نجد فيه إجماعاً من المؤرخين على مسألة واحدة ، لأنه علم ينقصه التوثيق والإسناد ومعرض لأهواء الكاتب .

وكذلك علوم اللغات القديمة معرضة للتحريف في الترجمة بقصد أو غير قصد بدليل تضاربها واختلافها .

فهل نترك تواتر وإجماع الأمم على وجودهم ؟ ناهيك عن إجماع الكتب السماوية ، من أجل علمك المغلوط والمنقوص ؟

٨

ويكرر نفس الفكرة في الصفحة [٣٨] اعتمادًا على حفائر الأركيولوجيا :

« لكن ذلك العلم نفسه ، علم الحفائر والآثار ، علم التاريخ – رغم الهوس الحفائرى فى إسرائيل الآن – يجد الأرض ضنينة بأي معلومة ذات شأن ، فالتاريخ كعلم لا يعرف عظيما أقام لإسرائيل مملكة باسم « شاؤول » ، ولا يعلم بشأن محارب ذى بأس أسس لإسرائيل قوميتها باسم « داود » ، ولم ترد في وثائقه بالمرة أية إشارة لملك حكيم حاز شهرة فلكية باسم « سليمان » ، كما لم يسمع أبداً ولم يسجل في مدونات مصر ولا في مدونات الدول المجاورة ، خبر جيش الدولة العظمى وهو يغرق في بحر تفلقه عصا ...

لكن الأسماء المعظمة المبجلة المفخمة في التاريخ الديني فلا شيء منها البتة وقطعا في التاريخ كعلم » . [رب الزمان] .

http://kotob.has.it

سبحان الله ، بكل جرأة تجزم وتقطع وكأنك قد أحطت بجميع العلوم ، وجميع المؤرخين الآخرين لا رأي لهم ، بل وأهدرت أعظم وأصدق كتاب على وجه الأرض قاطبة ألا وهو القرآن الكريم الذى ذكر كل أولئك الأنبياء ومعجزاتهم التي استهزأت بها «كانفلاق البحر بالعصا» وغيرها .

وادعيت كذلك أن مدونات الشعوب المحيطة لم تذكرهم ونسيت أنك استشهدت بشعر « عمرو بن مضاض الجرهمي » الذي أشار إشارة واضحة إلى سدانة البيت الذي بناه الخليل عليه السلام ، فتارة تستدل بالشعر الجاهلي وتارة تهدره !

ليس هذا فحسب بل حينما خاطب القرآن - قريشاً وهم من يتمنون خطأً واحدا للمصطفى ﷺ - قائلا : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج : ٧٨] لم يلق اعتراضا منهم ، والناس أمناء على أنسابهم . ويكفي هذا دليلًا تاريخياً على وجود إبراهيم عليه السلام .

وإن شئت فمقام إبراهيم الذي مازال أثرا حتى اليوم ، ألم يكن العرب يعرفون أنه مقام إبراهيم ؟ أم أنه ليس من الآثار ؟ وبئر زمزم ونسبته إلى إسماعيل عليه السلام ، والعرب تعرف ذلك جيدا . أليس هذا أثراً بارزاً ؟

أما قولك : إن علم الحفائر والآثار لم يسمع ، فهذه العلوم لا تسمع ، وإنما يسمع البشر وينقلون ، وهذا هو المتواتر .

فاهنأ بمدونات فرعون واتخذها شاهداً على الأنبياء . ومنذ متى كان المعارضون يحتفظون بتواريخ من يخالفهم .

http://kotob.has.it

٩

ثم أنكرت مسألة الدم والضفادع والجراد في قولك [ص : ٤٠] :

« وتتالى الأحداث فيضرب موسى بعصاته النيل ليتحول دماً ، وتصير مصر خراباً ، ثم يضرب بعصاته ضربات متتالية ، فتمتلئ مصر بالضفادع والبعوض والذباب والطاعون والجراد مع برد وظلام .. »[1] .

[رب الزمان] .

لقد وردت هذه المسألة في القرآن الكريم على غير ما سقت وحرفت ، حيث يقول تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ [الأعراف : ١٣٣] .

ونحن لا نعرف قطعا طريقة الإرسال بالتحديد ، ولكننا نؤمن بأنها حدثت ، وإنك تضع نفسك هنا في صدام مع نص قرآني لا نحتاج فيه إلى أركيولوجيتك لإثباته .

١٠

ويدعي أن الرواية التوراتية الواردة عن سليمان هي التي حملت العالم الإسلامي والمسيحي على الاعتقاد به [ص : ٤١] :

« وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحي بل والإسلامي على الاعتقاد بأن الملك سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهة ،

---

(١) لأن هذا الدعى جاهل بالقرآن ، وران على قلبه ما كسب من ضلال وبهتان ؛ فأعمى الله بصيرته فلا يدرى من الذى أخذ آل فرعون بالسنين !

وللقارئ الكريم أن يرجع فى ذلك إلى تفسير الطبرى [١٣/٥٧] فقرة «١٥٠١٤» ط. المعارف ، وعمدة التفسير [٥/٢١٣] ط. التراث الإسلامى .

http://kotob.has.it

لكن الحق أنه إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو نبوخذ نصر ، فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات .. » . [رب الزمان] .

أما نحن المؤمنين فنؤمن بقول الله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ [الأنبياء : ٨١] ، ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الأنبياء : ٨٢] .

ولا تنس أن هذه المنطقة قد تعرضت للكثير من الغزوات منها غزو بنوخذ نصر ، فما الذي أدراك أنها أزيلت أو أنها غير موجودة أساساً ؟!

وما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال - كما يقول الأصوليون - ناهيك عن الزلازل وغيرها من الأحداث ، ولكن أخبرني لماذا لم نجد قصراً واحداً لفرعون ؟ لماذا كلها مقابر وأعمدة ؟ ومثل هذه الأعمدة موجودة في العراق والشام ، حتى الأهرامات يوجد مثلها في المكسيك فهل كان الفراعنة هناك أيضاً ؟ ونحن نؤمن بأن سليمان ملك نبي آتاه الله من الخوارق الكثير كتسخير الرياح والشياطين وتكليم الطير ملتزمين بالنص القرآني . ولم يكن منشأ إيماننا به كنبي من مصادر أخرى . ولكن أعرض عليك أن تحفر فربما تجد .

١١

ويعود إلى وصف إبراهيم وذريته من الأنبياء بالبطارقة [ص : ٥٠] :

« ناهيك عن كون مسألة البطاركة برمتها - كما حكتها التوراة - تدخل في عداد الأساطير عند باحثين محترمين ، إضافة إلى جلة

http://kotob.has.it

محترمة من باحثين آخرين ، يرون أن قصة إبراهيم والبطاركة الأوائل لون من الصياغة التي تمت متأخرة بعد الخروج لربط الخارجين بتاريخ قديم » .

فمن هؤلاء الباحثون المحترمون حتى نعرف مصدر احترامهم ؟

فالنسبة إلى مجهول تلاعب بعقل القارئ لإلقاء سموم في روعه تتعارض مع دينه حتى ينسجم مع الباحثين المحترمين .

إن النقمة ينبغي أن تنصب على من بدل وحرف وقتل الأنبياء وكذبهم لا على الأنبياء وان كنا لا نشك في أن التوراة والإنجيل جرى تحريفهما ، فإن الأمر لا يخلو من بقايا صحيحة فيهما .

وهل يجوز تسمية الأنبياء بالبطارقة ؟ هكذا ، ولكن لاغرو ألم تذكر في إحدى الصحف أنه لا مقدس لديك إلا الله ؟ فهل قرأت قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ... لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣] .

١٢

ويلمح الكاتب إلى أن التوحيد هو معوق الشعوب والسبب المباشر في انهيار الدول مستدلا في ذلك بـ « إخناتون » [ص ٧٠] :

« والعجيب في أمر إخناتون أن تفرغه لعقيدته لم يجن على دولته الإمبراطورية سوى الانهيار بعد أن انصرف عن شئون دولته الدنيوية وما تحتاجه من فنون سياسية وعسكرية وإدارية إلى تصوفه وغيابه عن واقع دولته في غيبوبة غيبية » .

http://kotob.has.it

وهـكذا ينطق اللّٰه لسانك بخبيئة قلبك ، فالتوحيد – وإن كان فرعونيًـا – عندك مذموم .

ولكن – ولله الحمد – فبالتوحيد عاشت إمبراطوريات إسلامية لأكثر من ١٣٠٠ عام .

ثم لا ترضى أن تـكون عقيـدة التوحيـد مصـرية في الصفحة [٧١] ، فكأنك تستنكف أن يكون التوحيد مصريا صرفاً وكأنه عيب من العيوب بقولك :

« أما الشـك فمدعاته هو أن إخناتون قد تربى في طفولته خارج بلاده مصر عند أخواله الساميين » .

فكان مصريا بثقافة سامية !

وهكذا يرغمك اللّٰه على أن تعود إلى الحق ولو جزئيا ، فالتوحيد من الأنبياء السـاميين ، واستكثرت بنفسك على المصريين أن يوحـدوا . وهذا تناقض مع ما ادعيته سابقاً أن عقيدة التوحيد والخلود مصرية طورت بعد ذلك .

وقد أكدت هذا المفهوم في الصفحة [٧٢] بأن المصريين سرعان ما عادوا للانتقام لآلهتهم واعتبروا عبادة إخناتون خيانة عظمى « واستحق إخناتون بعد ذلك أن يلقبه مواطنوه « مجرم أخت آتون » .

وبهذا تدمر نظرية التوحيد المصرية التي تغنيت بها في مواضع كثيرة .

ولا يكفي تبريرك بعد ذلك بأن العامل البيئي للبدو له نظرة مصبوغة بالتوحيد والوحدانية [ص ٧٢] :

« ومن هنا نزعم أن العامل البيئي أدى دائما بالبدو إلى نظرة مصبوغة بالتوحد والوحدانية مقابل أثر التعدد الهائل للحياة وصخبها في الحياة

http://kotob.has.it

ولكنك لم تقل لنا : لماذا لم تتجه بلاد الأنهار إلى التعدد بعد ظهور الإسلام وانتشاره فيها ؟

ولماذا لم تمنع الحياة الصاخبة في أوربا من وجود مسلمين موحدين هناك ؟ أم أن أثر البيئة توقف !! وهل كان أثر البيئة في التوحيد عند جميع البدو منتشراً قبل الإسلام ؟ فمن كان يعبد الأصنام إذن ؟ وأين نظرياتك حول أصل الأصنام وتعددها ، أليس هذا تناقضا ؟ لا شك أن هذا هو الهوى ، وتلفيق التاريخ ، فلا صرامة علمية وإنما تطاول على الثوابت الإيمانية معتمداً على المستشرقين وعلم الحفريات الناقص .

١٣

وفي موضع آخر يتساءل متعجبا [ص : ٨٢] : [redacted]

« بهذا المنطق يجب علينا أن نؤمن إيمان العجائز بفضل الإسرائيليين الذين فضلهم الله على العالمين ، وأن نؤمن بهم كتاريخ لنا .....
بحيث تربعوا داخلنا منذ سنين طويلة مضت ، منذ حفظنا قصص إسرائيل وبني إسرائيل المؤمنين ، وقصص الكافرين من أجدادنا الفراعين .. ألا يستحق الأمر أن نقول : عجبي !!

ويكفي هذا لإثبات أنك تريد دينا قوميا متعصبا للأجداد ، وإن كانوا على خطأ ، وليس تعصبا للعلم أو الحق ، إنما تتمسك بآراء أجدادنا وإن كانوا كافرين ، وهذا ما عابه القرآن بقوله : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [يونس : ٧٨] . ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٣] .

http://kotob.has.it

إنه لا فضل اليوم لبني إسرائيل بعد أن أعلن الله مخازيهم ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

فالمؤمن يعتبر تاريخ الأنبياء تاريخا له ، وأنت وشأنك وفرعون إذا أردت .

١٤

ويتهم تراثنا الإسلامي بالخلط بمسلمات لا أصل لها [ص : ٨٤] :

« الرؤية الاستاتيكية للتراث التي لا تربطه بواقع ، بقدر ما تعتبره شيئا فضائياً جاء من فراغ ، رغم تزلزل كل البنى التحتية التي قام فوقها ، حقا نحن أغرب أمة أخرجت للناس ، نخلط التراث بمسلمات ما أنزل الله بها من سلطان بالحكي الشعبي ، بالتاريخ الحقيقي مع تزييف نموذجي ليلتقي بالمأثور الديني ... » .

سبحان الله ! فهل الدين بحاجة إلى كتب التاريخ لإثبات وجوده ؟! بالرغم من احتوائه على روايات لا أساس لها ، فنحن لا نحتاج في ديننا إلا إلى الكتاب والسنة ولا يهمنا ما قبلهما وما بعدهما ، وما قيل في الحواشي .

نعم .. لا يهمنا إلا المحجة البيضاء التي تركنا عليها رسول الله ﷺ .

وهل زيفنا التاريخ وخلطناه بالحكي الشعبي بشكل نموذجي ؟ لا والله فالضرر كل الضرر أصابنا من تحريف التاريخ بل ومن سوء تفسير التاريخ ونبذ العلوم الموثقة بالأسانيد من الأحاديث ، وما أغرب قولك : « حقًّا نحن أغرب أمة أخرجت للناس » فهذا تحريف لآية من آيات القرآن على تعمد منك(١) ،

---

(١) مصداقا لقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

http://kotob.has.it

بل ومثل هذه الكلمات هي التزييف الحقيقي . ولا أراك بجميع أعمالك إلا أحد الخالطين بالحكي الأسطوري والقصصي الذي لا سند له فلماذا التذمر ؟

١٥

ويحاول أن يضع حواجز بين العروبة والإسلام ، أو بين القومية والإسلام : [ص : ١٣٧] :

« هل يمكن حقا الركون إلى الرؤية الأصولية التي توقف ذاكرة الأمة عند لحظة ابتدائية أولى ، هي لحظة تواتر الوحي القرآني ، وتحدد للتراث مفهوما أوحد هو المفهوم الإسلامي ، وتؤطره مكانيا بمهبط الوحي بجزيرة العرب ؟ وحينئذ هل يغدو العربي المسلم بغير تراث وطني وقومي ؟ ..... فهل من سبيل إلى الخروج من دائرة الإيمان والكفر إلى فضاء أوسع لا يظله غير مناخ علمي حر تماما .. فهل ينبغي أن يظل شبح الرعب من معادلة الإيمان والكفر وما يصحبه الآن من أدوات تنفيذية لا تقيم وزنا لأبسط الحقوق الإنسانية ؟! » .

إن الإسلام لم ينف أهمية العرب فقد قال المصطفى ﷺ : « خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام »[1] بل وكان من الصحابة من هو عالم بالأنساب وأيام العرب ، وكان ابن عباس يسمي الشعر : ديوان العرب .

إذن .. فلا تناقض بين الإسلام والعروبة ، بل إن الإسلام أشار إلى المآثر الحضارية للعرب البائدة « عاد وثمود » بالرغم من كفرهم ، كما أشار إلى سبأ وسد مأرب . وأشار إلى فرعون ذي الأوتاد ، ولو كانت ذاكرة الأمة توقفت

(١) جزء من حديث أبي هريرة ، أخرجه البخارى [٣٣٨٣] ، ومسلم [٢٣٧٨] .

http://kotob.has.it

على الدين والوحي فكيف يدرس التاريخ اليوم في الكليات المتخصصة ؟ أما أن يعبث بتفسير التاريخ للخروج بنتائج تهدم الدين فهذه أهواء فلسفية فيما يدعى فلسفة التاريخ ، وهل العربي لا يعتبر التاريخ الإسلامي جزءًا من تاريخه وتراثه ؟ ألم يكن أجداده فاعلين فيه ؟ وهل يطمع في أكثر من أن يترسخ في أذهان أبناء الحضارات الأخرى الخلط بين المسلم والعربي عند ذكر الحضارة الإسلامية ؟

أما قولك : « فهل من سبيل إلى الخروج من دائرة الإيمان والكفر » فأنت حر فى نفسك الآن أن تخرج أو لا تخرج ، أما نحن فمتمسكون بدائرة الإيمان .

إن إيماننا لم يمنعنا من التحضر ، وبناء الحضارة الشامخة التي استمرت قرونا طويلة ، مما يثبت أن الإيمان لا يناقض الحضارة بل يعضدها ، ويضع لها أسسها وقواعدها الأخلاقية والسلوكية التي تحفظ حقوق الإنسان وإن كان مخالفاً لدين الإسلام .

وإن أخطأ بعض المؤرخين أو الفقهاء فيجب ألا يحسب ذلك على الكتاب والسنة ، ولا يحسب على الإسلام ، فهل اذا أخطأ مؤرخ منكم ينسحب خطؤه على التاريخ ؟ وهل إن أخطأ حاكم علماني ينسحب ذلك على العلمانية ؟

إن التعميم أمر ممقوت ، وكما يقول علماء الأصول : « لازم المذهب ليس بمذهب » ، وأما حقوق الإنسان في ظل العلمانية فقد رأيناها واضحة جلية في علمانية تركيا التي تدخلت حتى في أزياء الناس وحرمتهم من حرية تعلم القرآن . وأما تقدم المسلمين المؤمنين فرأيناه في ماليزيا في عصرنا الحاضر من غير تطرف ولا تزمت ولا علمانية .

http://kotob.has.it

ويتطرق إلى مسألة القول بواقعية النص القرآني التي قال بها « أبوزيد » مدعيا أن النص معلق في الفضاء غير مرتبط بأي واقعة تاريخية [ص : ١٤١] :

«كما استخدمته منظومة رجال الدين ذاتها لتأمين مصالحها الخاصة بإبقاء النص معلقا في الفضاء غير مرتبط بأي واقعة تاريخية كانت سببا له ، لأمر مفهوم تماما استمر عبر أربعة عشر قرنا مضت ، رزح فيها المسلمون تحت كافة أنواع القهر الطبقي والطغيان السلطوي .. » .

إن أي نص من كتاب أو سنة له سبب للنزول أو مناسبة للورود حتى تتضح العلة منه ، أما إذا كنت تنكر كما ينكر الآخرون أن النزول المنجم للآيات ينفي أزليتها ، فهل نسيت أن الخالق عالم بما سيكون ؟

هذا فيما يخص الكتاب والسنة ، أما أقوال الرجال كائناً من كانوا فلا عصمة لها ، وقد قال الفقهاء بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان ، فينبغي أن تفرقوا في نقدكم بين النصوص الأصلية وغيرها ، وكذلك بين النص وتطبيقه فما هو ذنب الإسلام في سوء التطبيق وانتفاء القهر الطبقي ؟ فالاتحاد السوفيتي صاحب أكبر أكذوبة لنصرة الطبقات الكادحة ، كم مَارس من الظلم والقهر باسمهم ؟ والحقيقة أن المستفيدين هم أعضاء الحزب والمنظرون الخياليون ، وهل سادت العدالة أمريكا بسبب العلمانية فلماذا أخفى عنك دور اللوبي في قهر الشعوب ؟

وأما استدلالك بمسألة الناسخ والمنسوخ بقولك [ص : ١٤٣] :

« ولنلاحظ أن مفهوم النسخ بدوره كان معتمدا آخر لكثير من التبريرات للتوجهات القمعية ، أو ما هو ضد مصلحة الأمة ، وذلك باستخدامه تبادليا عند الحاجة مع مفهوم الأزلية .. » .

http://kotob.has.it

إن أبسط الردود عليك هو القول بأن من أنزلها عالم بأنها سوف تنسخ ، ولا تنس الحكمة البالغة في تدرج التشريع كما قال تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

ثم هل إذا أسيء استخدام نص كما قال سيدنا علي « حق أريد به باطل » هل ينسب هذا للإسلام ونصوصه الأصلية ؟

١٧

ويسارع إلى اتهام رجال الدين بالكهنوت ومساندة السلطة : [ص ١٤٥] :

> **« ومن ثم فإن ما نسمع ونقرأ من كلام مرسل لم يستطع أن يفرق بوضوح بين الدين وبين المشتغلين بأمور الدين ، وبين الدين ، وبين الخطاب الديني وبين الدين في ذاته كمقدس ، سر تقديسه الوحى الإلهى وبين الفكر الديني الذي يشرح أو يفسر أو يضيف أو يؤول أو يستخدم ذلك الوحي لمآربه أو لوجه الله » .**

إن هذا الاتهام غير علمي ، فنحن لا نرى التعميم ضد أي فئة من الفئات وإن كنت من العقلانيين الماديين ، فلا يقول بهذا عاقل .

وإن التاريخ يثبت لنا أن أئمة المذاهب الأربعة كانوا على رأس من قاوم الحجر على الفكر حتى بلغ الأمر مبلغ التعذيب ، ولم نعلم في مذهب من المذاهب أن أحداً امتحن الناس في عقائدهم سوى مذهبين ، أما الأول فأصحابه دعاة الحرية والعقلانية وقد لاقى منهم بقية المذاهب الويلات وهم

http://kotob.has.it

المعتزلة ، وأما الآخرون فهم الخوارج الذين يمجدهم « أبو زيد » والذين كفّروا الناس حكاما ومجتمعات . فليتك تكون أكثر تحديداً ، فهل يقبل الناس إطلاق قول كهذا ؟ وعلى سبيل المثال هل يقبل أن يقال : كل المؤرخين كذابون ؟

ومن فعل ذلك في شرح أو تفسير أو تأويل مخالف للحق سرعان ما فضح أمره وأشارت إليه الأصابع ، ونبذ الناس أقواله ، فلا يصح إلا الصحيح .

١٨

ويحاول الاستدلال بكلمات سومرية مقارنا إياها بما يقابلها في اللسان السامي ليقنعنا أن « إيل » تشابه « اللّه » [ص : ١٥٨] :

« لكن اللسان السامي أبدل الكلمة السومرية « BIT » بمعنى المعبد بمقابلها السامي بيت ، وأضافها إلى « أيل » لتصبح «بيت أيل» أي بيت اللّه ، ولاحظ التقارب في النطق بين أيل واللّه .. » .

أما أنا فأقول : لقد تحدى القرآن بقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

وأنا - ثقة باللّه - أقول : أتحدى أن يكون أو قد كان من يجرؤ اليوم على التسمي بهذا الاسم وإن شئت فجرب والتحدي قائم حتى اليوم .

والقرآن أشار إلى ما يعبد من دون اللّه بآلهة وأرباب ، مما يعني أن كلمة اللّه لا تطلق إلا على اللّه جل وعلا . وأذكرك مرة أخرى بأن التلاعب في الألفاظ بين لغة ولغة لا يقره المؤرخون . والأصل في دلالة الكلمة هو معناها السائد عند إطلاقها .

وقد يأتينا غداً من يفسر لنا « BIT » بالبط جرياً وراء اللغة النسائية المدللة .

http://kotob.has.it

١٩

ويحاول الكاتب إقناعنا أن « بكة » ليست هي مكة [ص : ١٦١ - ١٦٢] :

« وقد قدم مفتي الديار المصرية « حسنين مخلوف » كتابا للسيد « محمد حسنى عبد الحميد » عنوانه « أبو الأنبياء » نقل فيه مؤلفه عن « جرجي زيدان » أن الأصل في اسم مكة هو لفظ « بكة » أو « بك » السامية الأصل .

ويشير د. « خليل أحمد » إلى أن الاسم « بك » ربما كان بابليا أو آشوريا .. ويذهب بعض الباحثين مذهبا آخر .. أن أهل حمير كانوا يقلبون القاف كافا بزعم هؤلاء أن أصل الكلمة « مكة » هو « مقة » وكان « مقة » اسما للإله السبئي المعروف في التاريخ العقائدي بآل « مقة » ، ومن هؤلاء الباحثة اليمنية « ثريا منقوش » التي تزعم أن كثيرا من عادات الحج إلى البيت المكي في الجاهلية كانت على غرار التقاليد اليمنية القديمة في تأدية فروض العبادة والحج للإله ال « مقة » » .

إن كل هذا العبث تَهرُّب من الآية القرآنية : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] ونكران لها .

فساعة تنازعنا فيه بالمصريين ، وساعة تنازعنا فيه باليمنيين ، وكل هذا لطمس الحقيقة الإيمانية .

ونظرية تبديل الحروف لا يمكن الاعتماد عليها في كتابة التاريخ ، فهل الغرض من كل هذا أن توهم القارئ بأن عادات الأديان الوثنية دخلت إلى الإسلام ؟ فلا أنت ولا « ثريا منقوش » تستطيع إقناعنا بأي جذر وثني للإسلام وهو دين التوحيد الخالص . أما أن يتوافق الإسلام مع الصحيح من الرسالات السماوية السابقة فلا شك فيه ، لأن الدين والرسل يأخذون من منبع واحد .

http://kotob.has.it

وينقل عن المستشرقين رأيا في تقديس الجاهليين للحجر الأسود [ص : ١٦٤] :

« إن الحجر الأسود كان فوق أصنام الكعبة منزلة ، وأن قدسية البيت عند الجاهليين لم تكن بسبب الأصنام ، بل كانت بسبب هذا الحجر الذي قدس لذاته وجلب القدسية للبيت، وأنه ربما كان شهاب نيزك أو جزءا من معبود مقدس قديم .. » .

وهذا لم يثبت تاريخيا أن العرب قد عبدت الحجر أو الكعبة ، و « ربماتك » بأنه قد يكون سبب التقديس لأنه من نيزك أو بركان لاتضير . واحتمالات لا ينبى عليها علم ، فالعرب كانت تطوف به لأنه بيت الله بناه إبراهيم عليه السلام ، والمشركون لم ينفوا وجود الله بل أشركوا معه آلهة عبدوها من دونه .

بل إن القصائد التي أوردتها [ص : ١٦٥] عن إيمان عبد المطلب :

لا هم إن العبد يمنـــع حله فامنــع حـــلالك
لا يغلـبن صليبهم ومحا لهم غـــدراً محـــالك
إن كنت تاركهم وقبـــــــلتنا فأمـــر مابـــدا لك

فما هي إلا من بقايا الحنيفية ، وليس فيها الالتجاء إلى الكعبة أو الحجر ، وإنما إلى رب البيت ، هذا بالإضافة إلى ما أوردته من أشعار « لابن الزبعري » و « رؤبة » و « فضيل بن حبيب » كلها توثق أنهم كانوا يؤمنون برب البيت وليس بالبيت .

فكفر الكفار لم يكن بمعرفة الخالق المدبر ، وإنما بصرفهم للعبادة لمن دونه ، وكثيرا ما ورد في القرآن ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ فالإنكار منصب على العبادة من دون الله وليس على إنكارهم وجود الله .

http://kotob.has.it

٢١

أما محاولات الربط بين عدد الأشواط والكواكب ، وبين الشكل المكعب والكعبة فكلها من الترهات التي تجمع سواقط الروايات للتدليل على الأصول الوثنية للإسلام - حاشاه من ذلك - ، فهل إذا اكتشفنا أن عدد الكواكب يزيد على السبعة سوف نزيد عدد الأشواط في الطواف ؟!

٢٢

ويتهم المـأثور الإسـلامي بالتمييز جنسـياً وخلقيـاً بين الذكـر والأنثى [ص ٢٢٠] : ☚

« مأثورنا يعيد وضع المرأة إلى زمن حواء الأسطوري ، زمن الخطيئة الأولى ويمركز الشـر كله حولها ، فهي شـيطان غـواية لأنها رفيقة إبليس ، ولا تكون مع رجـل إلا وكان الشـيطان ثالثهما .. حتى قصص الأنبيـاء تخبرنا أن نسـاء الأنبيـاء قد وقعن في الخطيئة .. امرأة نوح ، امرأة لوط .. وهكذا يؤسس موروثنا لتبخيس المرأة ، فقد خلقت من ضلع أعوج ، وناقصة عقل ودين » .

إن القرآن لم يشر إلى ما تسميه الخطيئة الأولى ، فإن ما قاله بالنص : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ [البقرة : ٣٦] ، أما إشارة القرآن إلى امرأة نوح وامرأة لوط ليست مَسَبَّة لجنس المرأة ، فهو بالمقابل أشار إلى الكثير من الرجال المخطئين .

http://kotob.has.it

أما أن المرأة والرجل لا يكونان إلا والشيطان ثالثهما ، فالنص يقول : « لا يخلون »[(١)] وإذا كانت السنة قد بينت طبيعة المرأة بأنها خلقت من ضلع ، وأنها فى عاطفتها أقوى من الرجل وإن نقصت عنه فى العقل والدين ، فإن القرآن يقول : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء : ١] .

إن ما جاء فى السنة المشرفة فى معرض الوصاة بالنساء خيراً ، ففى الصحيح عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه ، أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « المرأة كالضلع ، إن أقمتها كسرتها وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج[(٢)] .

وفى رواية عنه ﷺ : « ... واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرًا »[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخارى [٥٢٣٣] ، وقد ورد فى حديث مرفوع صريحاً أخرجه الترمذى من حديث جابر : « لا تدخلوا على المغيبات فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » ؛ ولمسلم من حديث عبد اللّٰه بن عمرو : « لا يدخل رجل على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان » . والمغيبة : من غاب عنها زوجها .

ويجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس عند أمن المحظور ، لحديث أنس بن مالك رضى اللّٰه عنه فى البخارى [٥٢٣٤] قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى النبى ﷺ فخلا بها ... » الحديث . قال الحافظ فى الفتح : « فخلا بها رسول اللّٰه ﷺ » أى : فى بعض الطرق ، قال المهلب : لم يرد أنس أنه خلا بها بحيث غاب عن أبصار من كان معه ، وإنما خلا بها بحيث لا يسمع من حضر شكواها ولا ما دار بينهما من الكلام .

فتح البارى [٤١٧/١٠] ط دار الفكر بيروت .

(٢) أخرجه البخارى [٥١٨٤] .

(٣) أخرجه البخارى [٥١٨٦] .

http://kotob.has.it

وكأن فيه إشارة إلى ما أخرجه ابن إسحاق فى « المبتدأ » عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما : « إن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم » .

فكأن المعنى : أن النساء خلقن من أصل خُلق من شيء معوج .

ويستفاد من الحديث : ملاطفة النساء والإحسان إليهن ، والصبر عليهن ، وكراهة طلاقهن بلا سبب .

كما يستفاد من الحديث التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ، والمراد بالكسر « الطلاق » لما ورد فى صحيح مسلم : « وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها[1] ، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن ، والصبر عليهن ، وأن من بالغ فى تقويمهن فاته الانتفاع بهن مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ، ويستعين بها على معاشه .

فهذا ما نفهمه من هذا الحديث ، فإن كان لك رأى آخر ، فاللّه حسيبك .

أما الميراث فله حكمة عظيمة في توزيع الثروة ، حتى تخرج بواسطة المرأة إلى أسر أخرى فلا يظل المال في أسرة واحدة .

فالمرأة حين ترث من مال أبيها تنقل ماله إلى بنيها من صلب رجل آخر ، وفي هذا إعادة توزيع للثروة .. فبدلا من أن تقرأ القراءة الصحيحة تعتبرها مهانة !! وأما الفهم الصحيح لناقصة دين ، فهو بما يفوتها من صلاة وصيام لعذر الحيض أو النفاس ، وأما نقص العقل فهو زيادة العاطفة لدى المرأة في تكوينها لدورها الأمومي الذي يتطلب الكثير من العطف والحنان ، فلماذا

(١) أخرجه مسلم [١٤٦٨ - ٦١] .

http://kotob.has.it

تشوه صورة الإسلام الذي أعطى للمرأة ما لم يعطها غيره ؟ وأما كونها خلقت من ضلع أعوج فلا مسبة فيه ، فقد خلق الرجل من التراب ، ولعل علم التناسخ اليوم يثبت لنا أن أفضل الخلايا للاستنساخ هي العظم .

❑ ❑ ❑

http://kotob.has.it

قراءة لفكر « سيد القمني » في كتابه

« النبي إبراهيم والتاريخ المجهول »

١

يعبر الكاتب عن ظهور الديانات السماوية الثلاث بأنها إفراز المواطن السامية في شرق المتوسط :

« لا مراء أن شخصية النبي إبراهيم عليه السلام ، تعد واحدة من أهم الشخصيات في التاريخ الديني ، فقد بلغ هذا النبي منزلة لا نزاع حولها في الأديان الكبرى الثلاثة ، التي أفرزتها المواطن السامية شرقي المتوسط ، اليهودية والمسيحية والإسلام ، وأنه في كنعان التقى بربه ، وهو الرب المعروف في التوراة بالاسم « إيل » أو « إل » – وإليه تنسب الأسماء مثل جبرائيل وميكائيل وإسرائيل وإسماعيل ... الخ – ويفترض الباحثون أن أصل لفظ الجلالة في اللغة العربية « إلاه – اللّٰه » « كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول » . [ص : ١١] .

فلا يجوز القول : بإن الأديان أفرزتها المواطن السامية ، فهي ليست من المواطن ، وليست من البشر ، وإن محاولة ربطها بالأرض وعادات الناس إنما هو انسياق وراء المفاهيم العلمانية الحديثة حول أنسنة النصوص وما إلى ذلك ، وهي مدخل لنفي الأصل السماوي لهذه الأديان ، وأما اعتبار اسم « إيل »

http://kotob.has.it

أو « إل » هو أصل لفظ الجلالة « اللّه » فهذا كلام غير مقبول ، فلفظ « اللّه » بالذات ليس له من قبل سميّ .

٢

ويرفض الكاتب اعتبار إبراهيم عليه السلام المؤسس الأول لملة الإسلام معترضا على الآية القرآنية :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا .. ﴾

[آل عمران : ٦٧] .

بالإضافة إلى نفيه لأي علاقة للنبي إبراهيم ببلاد الحجاز :

« حول علاقة النبي إبراهيم ببلاد العرب الحجازية ، فلم يرد لهذا الأمر أي ذكر في التوراة المتاحة بين الأيدي اليوم ، وهو بحد ذاته مدعاة للتقصي ، إزاء ما ورد في الإسلام عن علاقات حميمة وأساسية وجذرية للنبي إبراهيم بجزيرة العرب وديانة الإسلام ، خاصة مع علمنا أن التوراة قد انتهت كتابتها قبل تسعة قرون من الميلاد في بعض الأسفار ، في أبعد تقدير وقبل قرن واحد من الميلاد في اقرب تقدير لأسفار أخرى ، بمعنى أنها قد حازت في معارف الإنسان قصب السبق ، مما يدعو للوقوف مع مسألة هبوط النبي إبراهيم عليه السلام بلاد الحجاز ، وجهل التوراة بهذا الأمر بغرض الوصول إلى المصداقية ، حسب مقررات المنهج العلمي .

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ١٢] .

إنه من الإسفاف أن نبحث فقط في التوراة عن صحة زيارة سيدنا إبراهيم للحجاز فقط ، أو في الحفريات المصرية أو في آثار الأمم الملاصقة ، وننسى

http://kotob.has.it

الشعر الجاهلي ، بل وننسى الآثار الشاهدة التي ما زالت قائمة حتى اليوم في مكة « بناء الكعبة ، وجود مقام إبراهيم ، وبئر زمزم الذي نازعت فيه قريش هاشماً بأنه بئر أبيهم إسماعيل » .

ناهيك عن ورود ذكر إبراهيم في القرآن الكريم وإسكانه لزوجه وولده في مكة ، والقرآن الكريم أكثر توثيقا من كل ما سبق لمن آمن بالله ورسوله .

وإن الآية التي ذكرتها ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ لا يفهم منها أن إبراهيم هو المؤسس الأول لملة الإسلام ، إنما كان حنيفا مسلما ، أي مسلما وجهه لربه مخلصا له العبادة ، فلا تعني الكلمة الدين الإسلامى كما جاء به محمد ﷺ ، وإنما تعني المعنى العام للإسلام الذي هو : الاستسلام والخضوع التام لله عز وجل .

وكان يكفي أن نرفض الاحتجاج بالتوراة لعلمنا المسبق بدخول التحريف إليها ، وأكبر دليل على ذلك أن التوراة في الأصل كانت مكتوبة في ألواح موسى فأين تلك الألواح ؟

فالمنهج العلمي يجب أن يركز على البحث عن تلك الألواح .

ولقد نقلت في كتبك أنت عن علماء مسيحيين : أنه من الثابت لديهم تحريف التوراة وأنها كتبت بقرون عديدة وبأيدي عديدة .

http://kotob.has.it

٣

وعن وجود النبي إبراهيم تاريخيا ينفي وجود وثائق أركيولوجية تاريخية تؤكد وجود النبي إبراهيم ، ويورد في هذا السياق عبارة للمستر «مايرِ» :

« فيما يقول المستر « ماير » ، فإنه لم يعثر حتى الآن على أي دليل آثاري ، سواء كان كتابة أو نقشا ، أو حتى نقش يقبل التفسير ، أو في نصوص تقبل – حتى – التأويل يمكن أن يشير إلى النبي وقصته سواء في آثار وادي النيل ، أو آثار وادي الرافدين ، على كثرة ما اكتشف فيهما من تفاصيل ووثائق .

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ١٦] .

إن عبارة « ماير » أكثر دقة من عبارتك التي اعتبرت فيها الرسالات الثلاثة في جانب ، وعلم التاريخ في جانب آخر ، فلا علم التاريخ مكتمل ، ولا الحفريات والآثار الأركيولوجية ادعت أنها بلغت الكمال وأنها وجدت كل شيء ، وطالما أننا نتكلم باسم العلم لمقارنة نصوص دينية فينبغي أن نتوخى الحذر في إصدار عبارات عامة . ومستر ماير كان أكثر ذكاءً من تلميذه حيث تحوط لكلامه بقوله : لم يعثر حتى الآن .

٤

ويحاول ربط النبي إبراهيم بأساطير هندية وفارسية ، ويميل إلى رأي « فلهلم رودلف » في هذا الموضوع :

« وكان عدم وجود الدلائل التاريخية مدعاة ، لأن يقول باحث مثل « فلهلم رودلف » إن حفاوة القرآن الكريم بالنبي الخليل ، ترجع إلى محاولة النبي محمد ﷺ تألف قلوب يهود يثرب مع القوة الإسلامية

http://kotob.has.it

الطالعة ، وعندما فشلت المحاولة أخذه من الجميع عنوة واقتدارا ، وزعم أنه جده البعيد ، وجد جميع العرب المسلمين ومؤسس العقيدة الإسلامية ، ولعلنا لم نزل بعد نذكر تلك الضجة الكبرى التي ثارت حول ما كتب عميد الأدب العربي « طه حسين » ويشبه إلى حد بعيد ما ذهب إليه « فلهلم رودلف » حيث يقول : « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقـرآن أن يحدثنا أيضـا ، لكن ورود هذين الإسمين في التوراة ، لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة ، في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى .. » كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ١٧] .

فمحاولة نسبة إبراهيم عليه السلام للأساطير ، أو الأخذ برأي « رودلف » أو « طه حسين » لنفي وجود إبراهيم وإسماعيل ، والادعاء بأن هذه حيلة لإيجاد صلة بين العرب واليهود ، فهذا كلام مردود عليه بعلم اللغة ، فمن اللغة العربية نعرف أن إبراهيم وإسماعيل ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ، ليس هذا فحسب بل إِهمال أقوال الجاهليين وما ورد في قصائدهم عن البيت وعن إبراهيم وإسماعيل مناف للمنهج العلمي في البحث الذي يجب أن يأخذها بالاعتبار .

ومثل هـذا الكلام منقول عن « جولد تسهير » اليهـودي المستشرق في كتابه : « العقيدة والشريعة » . ثم إذا كان القرآن أو النبي « حاول أن يتألف اليهود فهل يمكن أن ينسب العـرب إلى إبراهيم عليه السلام ولا يعترضون ؟ إن لم يكن كذلك فالعرب تهتم بالأنساب ، ثم لماذا لم يعترض اليهود وهم يدركون أننا أبناء إسماعيل ؟

http://kotob.has.it

أضف إلى ذلك أن العرب عند بدء الإسلام لم يرفضوا وصف الإسلام لهم بالبنوة لإبراهيم ، وذلك بقوله تعالى : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج : ٧٨] .

فلم ينكر مشركو قريش ذلك رغم تصيدهم وترصدهم للنبي آنذاك .

ثم هل تحدث الإسلام عن اليهود قبل الهجرة أم بعدها إن كان الغرض هو تألف اليهود ؟! علما بأن عقيدة اليهود تقوم على نسبة اليهودي لأمه وليس لأبيه عنصرية لسارة ضد إسماعيل ابن هاجر لأنه ليس لأم عبرية ، والعرب يعرفون ذلك تماما .

ولم تكن هذه المرة الأولى التي ينكر فيها اليهود نبيا من الأنبياء من أجل أمه ، فقد أنكروا عيسى من قبل لأنه ليس من أم يهودية .

ه

ويتحدث عن مسألة دخول الإسرائيليات إلى كتب التراث الإسلامي :

« أما بالنسبة لكتب الأخبار الاسلامية ، فقد لجأت لذات التوراة الموجودة بين الأيدي اليوم ، واستقت منها تفاصيل هائلة كما وكيفا ، بحيث أصبحت هذه التفاصيل مرجعا إسلاميا للمسلمين ، لورودها في أمهات الكتب الإسلامية وتشكل كما هائلا داخل هذه الكتب .

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ١٨] .

إن إطلاق القول بدخول الإسرائيليات إلى بعض كتبنا التراثية لا ينفي أن هناك أساسا آخر ليس من الإسرائيليات ، فليس كل التاريخ العربي مبنيا على الإسرائيليات ومأخوذاً من التوراة ، فالأمة العربية ذات ذاكرة « مدحتها أنت في مواضع أخرى » ، وأشعار العرب هي ديوانهم ، ولقد حفظت لنا هذه

http://kotob.has.it

الأشعار تواريخ موغرة في القدم كمملكة كندة ، وحفظت لنا شعر « عمرو ابن مضاض الجرهمي » وأخرى « لقصي بن كلاب » وغيرها . أشارت إلى أصل العرب الممتد إلى إبراهيم عليه السلام .

علما بأن المحققين المعاصرين المخلصين دأبوا على نبذ هذه الإسرائيليات من كتب التراث .

٦

وعن هجرة إبراهيم إلى فلسطين يقول : [redacted]

« إن هؤلاء المرتحلين قد خرجوا من مكان أسمته التوراة « أور الكلدانيين » ، دون أن توضح سببا عقديا ، أو حتى خلافا فقهيا ، أو سياسيا لخروجهم من هذا المكان الحضاري العريق ، فقط تذكر التوراة أن هدف المرتحلين كان أرض كنعان - المفترض أنها فلسطين الحالية - والتي تواتر وصفها في التوراة بأنها « أرض اللبن والعسل » مما يشير إلى أن هدف الرحلة كان الوصول إلى أرض أكثر خيرا وفيئا ، ولعل أول خلاف نلحظه بين هذه الرواية التوراتية ، وبين الرواية القرآنية ، هو أن القرآن الكريم يذكر أبا إبراهيم بالإسم « آزر » فالآيات تقول : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ والخلاف هنا ليس فقط حول الاسم « تارح - آزر » ، إنما هو خلاف عقدي أيضا ، حيث تفهمنا الآيات أن الابن كان يخالف الأب في معتقده ، وأن هذا الأب كان يعبد نوعا من التماثيل الإلهية » .

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٢٤] .

إن الادعاء أن سبب رحلة إبراهيم إلى أرض أكثر خيرا افتراض لا صحة له .

http://kotob.has.it

فلا أظن أن فلسطين أكثر أنهارا من بلاد الرافدين أو أخصب أرضا أو ألطف مناخا .

وأما الادعاء أن هناك خلافا حول اسم أبي إبراهيم في القرآن « بين آزر وتارح » فقد حل هذه المسألة المفسرون بأن آزر المذكور في القرآن هو عم إبراهيم ، وقد جرت العادة على تسمية العم بالأب كما جاء في الحديث : « عم الرجل صنو أبيه »[1] ، كما أن العرب تقول « العم أب والخالة أم » .

ومما يدعم قولنا هذا قوله تعالى للمصطفى ﷺ : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ .

وذهب بعض المفسرين إلى أنه ﷺ ولد من آباء حُنفاء ، وهذا ما يؤيد قولنا أن « آزر » كان عمه وليس أباه .

كما أنني أرى تفسير ابن كثير يذكر بأن له اسمين ، وكذلك تفسير البيضاوي أن آزر وصف والاسم تارح ، كلاهما تفسيران وجيهان مقبولان .

٧

ويذهب الكاتب إلى إنكار وجود « النمروذ » وقصته مع إبراهيم معروفة وواردة في القرآن :

« وعندما ولد النبي إبراهيم عليه السلام كان يحكم بلاد الرافدين الطاغية « نمروذ الجبار ابن كنعان » الذي ادعى الألوهية ، هذا ماترويه كتبنا التراثية ، وقد بحثنا عن اسم « نمروذ » في قوائم ملوك العراق القديم ، فلم نظفر بنتيجة ، وطاشت جهودنا ، غير أننا لحظنا وجود

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه [٩٨٣] ، عن أبى هريرة وبه أبو داود فى سننه [١٦٢٣] .

http://kotob.has.it

منطقة آثارية يطلق عليها هذا الاسم « نمروذ » ، ومن الواضح أن هذا الاسم قد أطلق في بداية العصور الاسلامية ، تأثرا بهذه الروايات » .
كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٣٥] .

لا يعني ذلك بحال من الأحوال أن هذه الشخصية غير موجودة ، فهل انتهت الحفريات لنحكم على فقدان الأثر بوجوده ؟!

ليس هذا فحسب بل قولك : إن هناك منطقة أثرية يطلق عليها هذا الاسم ثم الاستنتاج أن من الواضح أن هذا الاسم أطلق في بداية العصر الإسلامى فهذا قول لا دليل عليه .

فحينما تريد الاستدلال بما تريد تهتم بأسماء المواقع والأماكن ، ولكن عند الإسلام وإثبات آياته تجعلها أي المواقع متأثرة بالنص الإسلامي .

٨

وقام الكاتب بالاستشهاد من بعض الكتب على الكذبات التي ارتكبها إبراهيم : [redacted]

« وفي الحديث عن محمد ﷺ قوله الذي يورده الثعلبي مدعما : « إن إبراهيم عليه السلام ، لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في الله تعالى ، قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله : للملك الذي عرض لسارة : إنها أختي » . كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٣٨] .

إن نقلك من كتاب « عرائس المجالس » يدل على جهلك بكتب السنة ، فكان ينبغى لك أن تقرأ الحديث فى مصادره ، خاصة وأنه ورد فى أصح

http://kotob.has.it

كتابين للحديث وأعلاهم توثيقاً ، ألا وهما : صحيح الإمام البخارى[(١)] ، وصحيح الإمام مسلم[(٢)] ، وكان الأجدر بك أن تقرأ الحديث جيداً وكذلك شرح علماء الحديث المتخصصين له ، حتى تكون على بينة من أمرك . وعلى كل حال لقد أعطيت لنا فرصة لنوضح للقارئ وجه الحقيقة فى ذلك ، فنقول مستعينين باللّه تعالى : قال ابن عقيل : دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم ، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغى أن يكون موثوقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن اللّه ، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه ، فكيف مع وجود الكذب منه ، إنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكـذب عند السامع ، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام - يعنى إطلاق الكذب على ذلك - إلا فى حال شدة الخوف لعلو مقامه ، وإلا فالكذب المحض فى مثل تلك المقامات يجوز ، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما ، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم ، فإن الكذب وإن كان قبيحاً مخلًّا لكنه قد يحسن فى مواضع وهذا منها[(٣)] .

وقال الإمام النووى : قوله ﷺ : « لم يكذب إبراهيم النبى ﷺ إلا ثلاث كذبات ، ثنتين فى ذات اللّه تعالى قوله : إنى سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا . وواحدة فى شأن سارة وهى قوله : إن سألك فأخبريه أنك أختى فإنك أختى فى الإسلام » . قال المازرى : أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن اللّه تعالى فالأنبياء معصومون منه ، سواء كثيره وقليله ، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ، ويعد من الصفات كالكذبة الواحدة فى حقير من أمور الدنيا ففى إمكان

(١) صحيح البخارى [٣٣٥٨] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه .

(٢) صحيح مسلم [٢٣٧١ - ١٥٤] .

(٣) فتح البارى [٤٠/٧ : ٤١] ط دار الفكر - بيروت .

http://kotob.has.it

وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف ، قال القاضى عياض : الصحيح أن الكذب فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم ، سواء جوزنا الصغائر منهم وعصمتهم منه أم لا ، وسواء قل الكذب أم كثر ؛ لأن منصب النبوة يرتفع عنه ، وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم .

وأما قوله ﷺ : « ثنتين فى ذات اللّٰه تعالى وواحدة فى شأن سارة » فمعناه : أن الكذبات المذكورة إنما هى بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع ، وأما فى نفس الأمر فليست كذبًا مذموماً لوجهين :

أحدهما : أنه ورّى بها فقال فى سارة : أختى فى الإسلام ، وهو صحيح فى باطن الأمر ، وسنذكر إن شاء اللّٰه تعالى تأويل اللفظين الآخرين .

والوجه الثانى : لو كان كذبًا لا تورية فيه لكان جائزًا فى دفع الظالمين ، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنسانًا مختفيًا ليقتله أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصبًا ، وسأل عن ذلك ، وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به ، وهذا كذب جائز ، بل واجب ، لكونه فى دفع الظالم ، فنبه النبى ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة فى مطلق الكذب المذموم .

قال المازرى : وقد تأول بعضهم هذه الكلمات وأخرجها عن كونها كذبًا ، قال : ولا معنى للامتناع من إطلاق لفظ أطلقه رسول اللّٰه ﷺ ، قلت : أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع ؛ لورود الحديث به ، وأما تأويلها فصحيح لا مانع فيه ، قال العلماء : والواحدة التى فى شأن سارة هى أيضًا فى ذات اللّٰه تعالى ، لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة ، وقد جاء ذلك مفسرًا فى غير مسلم فقال : ما فيها كذبة إلا بما حل بها عن الإسلام أى

http://kotob.has.it

يجادل ويدافع ، قالوا : وإنما خص الثنتين بأنهما فى ذات اللّه تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعًا له وحظًا ، مع كونها فى ذات اللّه تعالى ، وذكروا فى قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ أى سأسقم ، لأن الإنسان عرضة للأسقام ، وأراد بذلك الاعتذار عن الخروج معهم إلى عيدهم وشهود باطلهم وكفرهم ، وقيل : سقيم بما قدر عليَّ من الموت ، وقيل : كانت تأخذه الحمى فى ذلك الوقت .

وأما قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ فقال ابن قتيبة وطائفة : جعل النطق شرطًا لفعل كبيرهم ، أى فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون ، وقال الكسائى : يوقف عند قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ ﴾ ، أى فعله فاعله ، فأضمر ثم يبتدئ فيقول : كبيرهم هذا فاسألوهم عن ذلك الفاعل ، وذهب الأكثرون إلى أنها على ظاهرها ، وجوابها ما سبق . واللّه أعلم(١) .

٩

ويعود إلى ديدنه في قلب الكلمات والتقديم والتأخير فيها ليصل إلى أن أصل العشيرة الإبراهيمية من أرمينيا :

« إذا كانت التوراة قد وصفت النبي إبراهيم « عليه السلام » بأنه رجل آرامي ، فقد انتهينا إلى أنه رجل « حوري » أيضا ، ولم يزل اللسان الشامي يحتفظ إلى الآن بهذا المعنى ، فرجل الدين أو الكاهن هو « الخوري » ....

وكثيراً ما أثار عجب الباحثين ودهشتهم وهو أن طوائف تعيش اليوم في جنوب روسيا تتكلم اللغة الآرامية القديمة المحسوبة من اللغات

---

(١) مسلم بشرح النووى [١٣٦/٨ : ١٣٧] ط دار أبى حيان – مصر .

http://kotob.has.it

السامية ، ومع بحثنا يزول هذا العجب ، لأن من هذه المنطقة قدم أصحاب اللسان الآرامي فى القديم ، ويحمل اسمها « أرمينيا » معنى الآرامية .

وآخر أدلتنا على الأصل الخوري أو الحوري أو الآرامي للقبائل الإبراهيمية ، وأنها كانت عناصر وافدة على المنطقة ، يضطرنا إلى وقفة سريعة عجلى مع النبي موسى التوراتي والهه « يهوه » المنطوق عبريا « جاهوفاه - بتعطيش الجيم وبفاء مثلثة التنقيط » وقد قصدنا التعبير « موسى التوراتي » قصدا ، لتميزه عن النبي موسى « عليه السلام » كما يعرفه المسلمون » . كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٥٤ ، ٥٥] .

هذا أمر مختلف فيه ، فقد اعتبرهم بعض المؤرخين من الآشوريين ، وهناك من اعتبرهم من الآراميين ، واعتبرتهم أنت مرة من الهكسوس ، وهناك آخرون اعتبروا الهكسوس من العرب .

فلا مجال للترجيح ههنا ، ويكفي أن نعلم أنهم من ذرية سام بن نوح .

١٠

وأما ادعاؤك أن ذكر الحور العين وأنهار الجنة وردت في المأثور الشعبي :

« ولم يزل مأثورنا الشعبي يتحدث عن الحوريات ونساء الحور ، وأما الجنة ففيها أجمل النساء : الحوريات ! وفي الأحاديث النبوية عن مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة » ، وقال كعب : نهر دجلة نهر بالجنة ولا ننسى أن كعب من أصل عبراني يهودي ، وفي الحديث أنها جميعا تنبع من الجنة من تحت عرش الرحمن ، وأن من أنهار الجنة في سورة محمد ،

http://kotob.has.it

نهر لبن ، ونهر العسل ، والتوراة تقول عن الأرض الموعودة « أرض اللبن والعسل » ! كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٥٧] .

يا رجل لم ترد في المأثور الشعبي وإنما وردت في القرآن : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة] ، ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ... ﴾ [محمد : ١٥] .

ثم الاستدلال بحديث الأنهار الأربعة ، وأن هذه الأنهار لا تنزل من أرمينيا ، كل ذلك لإثبات أن الجنة هي تلك المنطقة ، أو لإثبات أن إبراهيم من أصل أرمني كلها تخرصات لغوية ، فلو كانت الجنة هي تلك الأرض فلماذا تركوها ؟ وإن كانت على هذه الحالة من الخصب فلماذا ابتغوا غيرها ؟ ألم تذكر قبل قليل أنهم هاجروا إلى أرض كنعان من أجل الخصب . وأرض اللبن والعسل ؟ فهل الجنة لاتحتوي ذلك ؟ إذا كانت أرض أرمينيا هي الجنة فلماذا تركوها من أجل أرض كنعان ؟

١١

ونجدك تسلم عند ورود « قحطان » أما عند ذكر « عدنان » فتحتاج إلى اللف والدوران بذكر عدن وجنة عدن .. لتصل بعد ذلك إلى أن العدنانيين يدعون القيسيين لتصل أنهم الهكسوس ←

ومعروف أن إسماعيل هو ابن إبراهيم ، ومعروف أيضاً هذا الأصرار الغريب في كتب التراث على تقسيم العرب إلى إسماعيلية وقحطانية ،

http://kotob.has.it

ومعروف كذلك أن القحطانيين هم من سكان جنوب الجزيرة أصلا ، وهم الذين انتشروا في الجزيرة باسم العرب العاربة ، أي الراسخة في العروبة ، أما العرب الإسماعيلية فهم العرب العدنانية، وهم العرب المستعربة ، أي لم يكونوا عربا إنما اكتسبوا العروبة ، وسكنوا شمال الجزيرة وامتدادها مع بادية الشام ، نحو الشمال ، على الخط القادم من الموطن الذي افترضناه موطنا أول للعشيرة الإبراهيمية .

ولنلحظ أن العرب الإسماعيلية قد أطلق عليهم : العرب العدنانية ؟ فهل يشير ذلك إلى ذكرى في التراث عن أصل هؤلاء ؟ وقصد منها التعريف بموطنهم « عدن » ؟ أو ما أطلقت عليه التوراة « جنة عدن » ؟ حيث الأنهار الأربعة ، ربما ، وربما كان هبوط بعض هؤلاء وتوغلهم جنوبا في جزيرة العرب ، هو الذي أعطى مدينة « عدن » اليمنية اسمها الحالي ، تيمنا بعدن الأصلية في الشمال حيث جنة الحور الكاسية . ربما ؟! » .

وإذا كنا قد ذهبنا إلى أن العدنانيين ليسوا عربا أصلا ، وإنما قدموا من « أور الكاسيين » ، أو أنهم أحد القبائل الكاسية ، فإننا نجد كتب التراث لم تزل تحفظ بين طياتها قولا رائع الدلالة والتوافق والتناغم مع مذهبنا ، فتقول السيرة الحلبية : « وولد عدنان يقال لهم : قيس ، وولد قحطان يقال لهم يمن » .

ولعلنا لسنا بحاجة إلى إيضاح أن « كاسي » هي « قيسي » ، وإذا كنا قد زعمنا أن القبيلة العدنانية « النسل الابراهيمي » قد وفدت ضمن مجموعة من الهجرات المتدفقة على شكل موجات متلاحقة من المنطقة الكاسية ، وقلنا إن من أكبر هذه الهجرات وأخطرها ، الكاسيين الذين هبطوا في غزو بربري كاسح على دولة بابل الأولى حوالي عام ١٦٠٠ ق.م فإننا نزعم أيضا أن ضمن تلك الموجات المتبربرة ، جاءت

http://kotob.has.it

موجة الهكسوس لتحتل مصر حوالي عام ١٦٨٠ ق.م ، والهكسوس هو الإصطلاح الذي أطلقه أصحاب البلاد على الغزاة ، وقد ترجمه المؤرخ المصري « مانيثون MMANITHON ٣٠٠ ق.م » بمعنى الملوك الرعاة ، وقد فصل « جيمس هنري برستد J. H. BRASTED » كلمة هكسوس استنادا إلى « يوسفيوس » بحسبانها تتركب من ملصقين ، الأول « هك » بمعنى ملك ، والثاني « سوس » بمعنى « راعي » ، ولنلحظ أن كلمة « يسوس » تعني « يرعى » ، ويؤكد لنا برستد أن كلمة « هكسوس » لفظ دارج في اللغة الآرامية ، و « اللغة الآرامية بالذات وبالتحديد ، إذن لك الشكر يابرستد ! » .

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٥٩ ، ٦٠] .

وبذلك الزعم يكون أجداد المصطفى هم أصحاب الغزوات البربرية ؟ ومما يؤكد هذا أنك بعد استدلالك باشتقاقات لغوية من لغة تحتج بها على أخرى وتقدم وتؤخر وتضيف وتحذف ، تختم الفصل بأحاديث عن رسول الله ﷺ بقولك : ولعل ذلك يتضح بحب الرسول للخيل وأن إسماعيل أول من ركب الخيل ، ووصفه ﷺ لها بأنها ميراث أبيهم إسماعيل . وأن الحصان لم يعرف فى مثل هذا التاريخ في مصر وغرب آسيا ، مع أن علم الأجناس للخيول يعتبر الخيل العربية الأصل أفضل الخيول ، بل ويحتفظ بسجلات لأنسابها حتى اليوم .

ليس هذا فحسب بل لها صفات خاصة هيكلية تختلف عن بقية الخيول .

http://kotob.has.it

١٢

ويعود الكاتب لترديد ما يقوله « ماير » عن سقطة إبراهيم في مصر :

« وهكذا سلم « ماير » عن ايمان بالرواية دون مناقشة ، وأخذ منها العظة بحسبان ماحدث للنبي كان أمرا مقصودا ليكون درسا للمؤمنين وعبرة ، فيستمر يقول : « وعندما أخذ فرعون سارة ، صنع إلى إبرام خيراً جزيلا بسببها ، وهذا ماقد يفعله العالم أحيانا لمن يستسلمون له » « يقصد بالعالم مصر » .. وعندما يترك الإبن الضال بيت أبيه ، يخسر كل ما يعطي الحياة قيمة حقيقية . وينحط إلى مستوى الخنازير ، ولو شعر في بداءة الأمر بنشوة السرور الوقتي ، للحصول على الشهوة المشتهاة ، إن سقطة إبراهيم في مصر تعطينا صورة عن طبيعته الأصيلة ، التي لم تكن نبيلة بأي حال من الأحوال ، فإبراهيم بطبيعته الأصيلة لم يكن يسمو كثيرا عن سائر بني المشرق ، الذين لا يترددون عن الكذب لكسب خير أو دفع ضر . كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٦٥] .

إن ذلك لا يبيح لنا أن نشتم الأنبياء وإن كان نقلا عن غيرنا ، وإجازة الخطيئة على الأنبياء مذهب دأب عليه اليهود في كل كتاباتهم ...

فعلمك المسبق بتحريف التوراة كان يجب أن يجنبك الاعتماد على وثيقة مزعومة مشكوك في صحتها فتبني عليها أحكاماً .

١٣

ويذهب الكاتب إلى تقسيم العرب إلى بائدة ومستعربة :

« حيث نجد تقسيما – لاشك لم يأت من فراغ – للعرب إلى : عرب عاربة بائدة ، وعرب مستعربة باقية ، وكان أشهر العرب البائدة أهل

http://kotob.has.it

« إرم » حتى صار اسمهم علما على العرب البائدة فعرفوا بالأرمان ، فلما هلكت ثمود قيل لبقايا إرم أرمان .

والإصرار الواضح لرحيل النبي نحو الجنوب يحيلنا معه باستمرار إلى جزيرة العرب جنوبا ، فالتوراة تكرر دائما التعبير :

- ثم ارتحل إبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب . [تكوين ١٢ : ١٩] .

- فصعد إبرام من مصر .. إلى الجنوب . [تكوين ١٣ : ١] .

- وانتقل إبرام من هناك إلى أرض الجنوب ، وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار . [تكوين ٢٠ : ١] .

وقد حاول الباحثون تفسير اللفظة « هـ - نجب » في الأصل العبري ، بأنها تعني « النقب » أي صحراء النقب جنوب فلسطين « والهاء أداة التعريف العبرية » وتأسيسا على أن كنعان التوراتية هي فلسطين ، لكن « هـ - نجب » تعني أيضا مع استخدام ظاهرة القلب « الجنوب » وهو ما أخذت به الترجمة العبرية كما في النصوص السابق إيرادها ، فترجمت « هـ - نجب » بمعنى الجنوب .

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٧٣ ، ٧٤] .

إن هذا التقسيم ناقص ، فالعرب ثلاثة أقسام : عرب بائدة « عاد وثمود وغيرهم » وعرب عاربة « القحطانيون » وعرب مستعربة « العدنانيون أبناء إسماعيل » .

وتدعي أن « إرم ذات العماد » التي ذكرت في القرآن هي أصل الآرامية اعتمادا على أن بقايا منهم كانت تسمى الأرمان ، اعتمادا على قول أحد المؤرخين بالاشتقاق من « الأرم » وتعود من جديد إلى أسلوبك في القلب والإبدال والتقديم والتأخير لإثبات مسير إبراهيم إلى الجنوب . وليس إلى مكة وكل هذا سيتضح حينما تريد أن تنفي بناء الكعبة من قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام .

http://kotob.has.it

وفي حديثه عن العمالقـة : يورد روايات مبتـورة عن البيت ، وينكر أن « مكة » و « بكة » اختلاف لهجوي ، ويدخلنا فيما هو أشد من الاختلاف اللهجوي مستدلا ببعض العبارات لتصبح ثمود وعاد في اليمن ، فأين مدائن صالح ؟ :

« وهكذا وجدت الرواية التوراتية لها ترديدا في كتب الأخبار الاسلامية ، وقد رددت هذه الكتب قصة ترك إبراهيم لهاجر وولدها في فلاة أو برية ، وحددت الآيات القرآنية موضعها بالقول : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

ويعقب المسعودي بالقول : فأجاب الله دعوته فآنس وحشتهم بجرهم والعماليق ، بعد أن فجر الله بئر زمزم تحت خد وليدها وهو يبكي عطشـا ، مما جـذب الطير الذي هـدى بدوره جرهم والعماليق إلى المكان ، كما يؤكد المعنى نفسه الثعلبي في قوله : « فذهب بهما إبراهيم حتى قدم مكة ، وهي إذ ذاك عضاة وسلم وسمر ، وبحواليها خارج مكة أناس يقـال لهم العمـاليق ، وموضـع البيت يومئـذ ربوة حمراء » وقد ذكر المسعودي أن إسماعيل قد صاهر القبيلتين ، وتزوج عملاقة وجرهمية » . كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٨١] .

وأما محاولتك إيجـاد أصـل « السلفات » من « فلس » ثم تضيـف إليها « طي » لتصبح بعد ذلك : « فلستي أو فلسطي » ثم تستنتج منها الفلسطينيين ، فياله من جهد جهيد ومن تلفيق عجيب تهديه لسادتك لا نعرف أحداً سبقك إليه !!

http://kotob.has.it

ثم تنكر وجود العماليق كاسم على مسمى ، لأنهم قوم لهم حضارة فنية وأصول مصرية فهي التي بنت الأهرامات ولذلك سموا بذلك الاسم ...

فأقول لك : إن علم حفرياتك أثبت أنه في جزر في المحيط في المكسيك هياكل عظمية لبشر زاد طولهم عن عشرين ذراعا ، فلماذا ننكر أن هناك أقواما لهم أحجام كبيرة ، بل إن أسلافنا كانوا أكبر حجما ، وأن طبيعة المخلوقات تتضاءل ، ومثال ذلك : الديناصور .

ثم تعود من جديد إلى قصة مدينة « منف » المصرية والكهان الذين هربوا من مصر ، وتعتقد أنهم استقروا في اليمن ، وبالتالي جاء اسم العمالقة من العماليق المصريين ثم تفرقوا بعد أن أقحط اليمن إلى أن وصلوا إلى الوادي الذي كانت فيه هاجر :

« لعل أهمها الصراع الذي نشأ بين كهان مدينة « منف » المقدسة ، وكهان مدينة « عين شمس » ، وانتهت بانتصار كهنة عين شمس واستيلاء كهنتها على عرش البلاد ، مع نهاية الأسرة الرابعة الحاكمة في الدولة القديمة ، والذي تبعه بالضرورة فرار كهنة منف وأتباع الدين المنفي ، في هجرة كبرى ، ربما اتجهت إلى جزيرة العرب ، اضافة إلى ما يعلمه التاريخ عن هجرات مثيلة اتجهت إلى شرقي المتوسط وعبر بعضها البحر إلى ميسينا وكريت ، وربما لم تكن هجرات بالمعنى الدقيق للكلمة ، إنما نوع من الهرب الكبير .

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٨٩] .

وأعجب العجب في هذا الكلام أن اليمن ما زالت إلى اليوم أكثر زرعا ومطرا من مكة ، وأن ما أصاب القوم هناك هو تدمير سد مأرب وليس انقطاع المطر ، وفي كل الأحوال كانت اليمن أكثر ريا وخصبا من بلاد الحجاز . فلماذا هاجروا من اليمن إلى الحجاز إذن ؟

http://kotob.has.it

ثم نجدك تشتق من اسم مصر القديم « مجر » وتربطه بجرهم ، فالعمالقة مصريون ، وبالتالي هم بناة الكعبة ، لأن العبريين لم يبنوا بيتا وإنما مكان اجتماعهم يسمى خيمة الإجتماع :

« أن كلمة « جرهم » مأخوذة من الأصل « مجر » الذي يعني « مصـر » ولا يكون هناك مندوحة من التسليم – في ضوء ما جمعناه من شواهد – بأن الجراهمة هم العمالقة هم المصريون ، وأن العملقة كانت من صفة المصريين أو الجراهمة ، لتفسر عظمتهم في الإنشاء والإعمار ، وعليه تكون هاجر أم إسماعيل ، وكذلك زوجته ، من العمالقة الجراهمة المصريين ، ولعل اسم « هاجر » يشير إلى معنى المصرية ، فالهاء أداة التعريف العربية الشمالية وفي العبرية ، و « جر » أو « مجر » هي مصر وربما أسقط حرف الميم بالتخفيف مع مرور الزمن . ومن هنا نفهم أيضا لماذا لم يعترض أحد على « أورسيوس » من أهل زمانه وأولهم أستاذه « أوغسطين » ، فلا ريب أن الأمر حينذاك لم يكن مثيرا للاعتراض ، وهو بالطبع لن يكون كذلك ، إلا إذا كان لدى أهل زمانه مأثور هو من المسلمات والمعروف ، ومن نوافل المعلوم الذي اكتسب قدسية التقادم ، يشير إلى ماوصلنا اليه ، وهو أن العمالقة مصريون ، ومن هنا أيضا نفهم لماذا ظل العبريون طوال حوالي ألف عام من تاريخهم يعبدون ربهم في خيمة ، أو جعلوا من هذه الخيمة بيتا له ومسكنا أسموها « خيمة الاجتماع » ولم يكن ذلك إلا لأنهم أهل بداوة وتنقل ، بينما تمكن فرعهم الإسماعيلي المتصل بالجراهمة العمالقة أن يقيم للرب بناء معماريا بدلا من الخيمة البدوية في زمن مبكر « ومن يعرف البناء في مجتمع خيموي ؟ » . كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٩١] .

مع أن الكثير من المؤرخين يرون العكس ، وهو أن العماليق من الجزيرة هاجروا إلى مصر ، ويؤيد قولهم اختلاف لون سكان شرق أفريقيا عن بقية

http://kotob.has.it

القارة . وربما لم يسقط أي حرف وإنما هي من دولة المجر فطالما أن العلم أصبح ربما فهذه ربما أخرى !

ومثل هذا القول نجده في نقل إله مصر « آمون » وتتنقل بين « يمن وإيمان وآمين » وتوصلنا في النهاية إلى أن التوحيد أصله مصري :

« ولا مفر هنا من تذكر أشهر الآلهة المصرية القديمة « آمين » أو « آمون » وكان إله الدولة الرسمي ، وظل معبودا بهذا الاسم ما يزيد على ألفي عام ، ويعني اسمه في المصرية القديمة « الواحد الخفي » عن الإدراك ، ثم نتذكر أن الألف أو الهمزة تقلب ياء في الساميات ، فيصبح « آمين » هو « يمين » ، ويصبح « آمن » هو « يمن » . أما المذهل حقا فهو مانجده في كتب التراث مصدقا لمذهبنا فتقول السيرة الحلبية في حديثها عن مأثور قديم ، يقول : إن أول من سكن اليمن ، من يدعى يعرب ابن قحطان ، « ويعرب هذا قيل له أيمن ، وسمي اليمن يمناً لنزوله فيه » وكان من السهل أن تقلب « آمن » أو « آمين » إلى « أيمن » ، ولا تختم الصلوات في أي ديانة شرقية حتى اليوم دون التأمين عليها باسم الواحد الخفي « آمين » . كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ٩٣] .

كل هذا الدس واللف والدوران تمهيد لرأيك بأن التوحيد مصري فرعوني وليس سماوياً ، فتخلط آمون بآمين ويمن بيمن وهكذا تستمر في ظاهرة القلب .

http://kotob.has.it

ويدي الكاتب استغرابه من وجود بعض الآثار تشبه إلى حد كبير الأهرامات المصرية ويحاول من ذلك ايجاد صلة وعلاقة لتلك المناطق مع الفراعنة :

« ومن أهم ألغاز التاريخ الكبرى والأحجية التي حيرت ذوي الحجى ، ولم تزل تلك القبور الهرمية والهضبية الهائلة في « عمان » ، وفي واحة « يبرين » ، وفي « ساحل الحسا » ، وفي جزيرة « البحرين » وبلغ عددها في جزيرة البحرين وحدها حوالي ١٥٠ قبرا ، لذلك كان أهم افتراضات حل اللغز ، أن تلك القبور قد أعدت كمكان للدفن المقدس لسكان وادي الرافدين ، وقد جاءنا الدليل في شكل خبر بالنشرة الإخبارية للصحافة بالتلفاز المصري ، والتي تذاع حوالي الحادية عشرة صباحا يوم ١٩٨٨/٢/٢٢م ، ويقول الخبر : إنه قد اكتشف في مقابر جزيرة البحرين عدد من الجعارين الفرعونية ، إضافة إلى تمثالين صغيرين لأبي الهول المصري ، وقد تأكدت مصرية هذه القطع النادرة من الكتابة الهيروغليفية ، المنقوشة أسفل التماثيل » .

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول [ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤] .

فما قولك بالأهرامات الموجودة في المكسيك وجزر الكناري التي تضم أصناما مشابهة للأصنام المصرية بل وحروفا هيروغليفية وغيرها ؟!

ومما يزيد في اهتزاز هذه الفرضية : أن بعض المؤرخين قالوا : إن أصل الفراعنة من جزيرة العرب ومن قبيلة العماليق ، بدليل اختلاف لون بشرتهم عن بقية قارة أفريقيا ، وإن أردنا التنزل إلى بعض الأساطير « التي لا أقيم لها اعتبارا » فإن بعض القبائل اليمنية تقول : إن فرعون أصل اسمه « عون » وهو من أصل يمني ، ففر إلى مصر وصار اسمه « فرعون » وعبد هناك .

http://kotob.has.it

والأقرب إلى المعقول أن هذه الأشكال كانت من الثقافة المتاحة السائدة بدرجات من الإتقان متفاوتة ، فتكرارها في أكثر من موضع لايعني انتقال البناة ولكن قد يعني انتقال المعارف .

١٦

أما الخرائط التي وضعتها في الصفحات [١٣٧ - ١٣٩ - ١٤١] لرحلة إبراهيم في جزيرة العرب عن طريق سيناء ، فلماذا لم يسلكها كهان « منف » ؟ ودخلوا عن طريق اليمن بواسطة الساحل الشرقي لإفريقيا ؟

سؤال يحتاج إلى جواب !!

❑ ❑ ❑

http://kotob.has.it

قراءة لفكر « سيد القمني » في كتابه

« الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية »

١

يستمر الكاتب كعادته فى التفسير المادي للتاريخ معتبراً أن النبوة مرحلة من مراحل التطور الإنساني كما سبق وألمح ، فيفتتح كتابه بالعبارة التالية :

« إذا أراد الله إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء » – قالها عبد المطلب ابن هاشم ، وهو يشير إلى أبنائه فبرغم التفكك القبلي فى بيئة البداوة ، التي عاشتها جزيرة العرب ، فإن هناك من استطاع أن يقرأ الظروف الموضوعية لمدينة مكة بوجه خاص ، وأن يخرج من قراءته برؤية واضحة ، هي إمكان قيام وحدة سياسية بين عرب الجزيرة ، تكون نواتها ومركزها « مكة » تحديدا ، برغم واقع الجزيرة المتشرذم آنذاك .

وكان هناك من هو على رأي عبد المطلب من ذوي النظر الثاقب ، والفكر المنهجي المخطط الذين استطاعوا أن يصلوا إلى النتيجة نفسها ، بعد قراءة واعية للخريطة السياسية ، والظروف الاجتماعية والاقتصادية ، لكن الكثرة الغالبة لم تكن مع هذه الرؤى » .

وهو لم يشر إلى المصدر الذي أخذ منه هذه العبارة ، ثم أضاف إليها قوله :

« حتى اليهود الذين كانوا يعيشون بين ظهراني العرب – كعرب – ما خطر لهم هذا التوقع قط » . الحزب الهاشمي [ص ٥١] .

http://kotob.has.it

إن هذه القراءة المقلوبة للتاريخ دعت الدكتور نصر حامد أبو زيد في أتيليه القاهرة أن يقول : « فعل سيد قمني في هذه الدراسة ما فعلت التوراة ... إلى أن يقول : بمعنى أنه قام بعمليات استبعاد متتالية ... إلى أن يصل للقول : كانت نتيجة ذلك كله تحويل الإسلام إلى أيديولوجية هاشمية .

فهذا شاهد من أهل الدار يشهد .

٢

ثم أشار إلى قول الأسود بن عبد العزى : إن مكة لقاح لا تدين لملك ، ثم أشار إلى خطبة النعمان بن المنذر التي ختمها بقوله : إن العرب حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين : « فهذا الأسود بن عبد العزى يقدم الاعتراض البديهى والواضح والمباشر ، قائلا : « ألا إن مكة لقاح لا تدين لملك » .

ولعل هذه القراءة تجد حجتها في تجربة رجل مثل النعمان بن المنذر ، الذي ورث الملك أبا عن جد في مملكة الحيرة ، ومع ذلك وقف يلقي خطابه أمام كسرى الفرس ، وفي حضرة وفود دول عدة ، مدافعاً عن عروبته بقوله :

« فليست أمة من الأمم إلا وجهلت آباءها ، وأصولها ، وكثيرا من أوائلها ، حتي إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دينا ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أبا فأبا ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعي لغير أبيه .. وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضا ، وتركهم الانقياد إلى رجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما

http://kotob.has.it

يفعل ذلك من يفعله من الأمم ، إذا أنست من نفسها ضعفا ، وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف ، وإنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يعرف فضلهم على سائر غيرهم ، فيلقون اليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمتهم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين » . الحزب الهاشمي [ص ٥٢] .

٣

وذهب إلى أن مكة بالذات بعيدة المنال من أي هجوم خارجي :

« وفي خطاب « النعمان » دعم أخر لوجهة نظر « الأسود بن عبد العزى » ، فهو يؤكد أن الأمم إنما تقبل الخضوع لملك فرد في وحدة سياسية ، إذا « تخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف » .

وقد أثبت الحجاز - ومكة بالذات - أنه بعيد المنال ، ولا يتخوف نهوض عدوه إليه ، فبينما كانت الممالك العربية قد وقعت تحت الاحتلال أو النفوذ الأجنبي - ففقدت اليمن استقلالها منذ الربع الأول من القرن السادس الميلادي ، وسقطت تحت حكم الأحباش ثم الفرس ، وفقدت مملكة الحيرة استقلالها وتحولت إلى إمارة يحكمها أمير فارسي ، واضطربت أحوال المملكة الغسانية بعد أن قلب لها الرومان ظهر المجن - فإن منطقة الحجاز بمدينتيها الرائدتين « مكة ويثرب » ، كانت تتمتع باستقلال نقي، هيأها له وضعها الجغرافي ، ووعورة الطريق إليها ، فكانت هي البيئة العربية الخالصة ، البعيدة عن مجال الصراع الدولي » . الحزب الهاشمي [ص ٥٦] .

ولكن هذا ما كذبه التاريخ ، فقد غزاها تبع اليماني ، وغزتها قبائل أخري قبل قريش ، بل إن غزو أبرهة الحبشي لها ليس ببعيد وقد ذكر اللّه قصة هذا الغزو في القرآن الكريم في سورة الفيل .

http://kotob.has.it

بالإضافة إلى أن الملك كان معروفاً في العرب ، حتى عند العرب البائدة «كطسم وجديس وغيرها » حتى وصل الأمر إلى ديكتاتورية عنيفة هناك ، ولا ننسى في هذا السياق مملكة بلقيس ومملكة كندة ومملكة زنوبيا فى تدمر .

إذن .. فمفهوم المملكة كان معروفاً لدى العرب ، وإيراد هذه الأخبار كان يحتاج إلى تمحيص أكبر أيضاً ، فلم تكن المدينة هي التي تنافس مكة فى ذلك الوقت والزمان ، بل الطائف أيضاً ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١] .

يعنون بالقريتين : مكة ، والطائف ، والرجل هو الوليد بن المغيرة من مكة وعروة ابن مسعود الثقفي من الطائف .

فرد عليهم سبحانه بقوله : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

٤

الادعاء بأن الإبحار في البحر الأحمر كان محفوفاً بالمخاطر :

« وكانت الجزيرة العربية تمثل بحرا واسعا تخترقه قوافل الإبل في شبه مجموعات من السفن ، تمخر عباب البحر الفسيح ، وقد حلت هذه القوافل محل الملاحة بالبحر الأحمر الذي كانت فيه الملاحة عسيرة . ولم تكن سفن ذلك العهد تستطيع استعمال البحر الأحمر المملوء بالجزر ، التى تجعل الملاحة خطرا عليها » . الحزب الهاشمي [ص ٥٧] .

http://kotob.has.it

وهذا ادعاء لا سند له ، بدليل إقامة قريش علاقات تجارية مع الحبشة ، فكيف كان يتم التبادل التجاري بينهما ؟

بل كيف تمت رحلة الهجرة إلى الحبشة ؟ وكيف حاول الهرب عكرمة حينما فتحت مكة ؟ وثبت في التاريخ أن هناك ميناء الشعيبة لمكة وميناء ينبع للمدينة وغيرها خصوصاً وأن السفن في ذلك الزمن كانت صغيرة .

ويصدق كل هذا قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

إذن : الادعاء بأن تركهم للخط البحري لصعوبته أمر يحتاج إلى تمحيص .

٥

أما ما أخبرت به عن تبع وإرادته هدم الكعبة :

« ومصداقا لقول الأستاذ « أحمد أمين » نجد الروايات الإخبارية تجمع على قيام « تبع » ملك اليمن في وقت مبكر بحملة لإخضاع مكة ويثرب ، كأهم المحطات التجارية على الطريق ، ويقول « المسعودي » : « وهو الملك السائر من اليمن إلى الحجاز ، وكانت له مع الأوس والخزرج حروب ، وأراد هدم الكعبة ، فمنعه من كان معه من أحبار يهود » .

كما تجمع هذه الروايات على عدد آخر من محاولات ملوك حمير التبابعة ، لتوسيع نفوذهم وسيطرتهم على الخطوط التجارية في أماكن مختلفة من الجزيرة ، ومنها قيام « تبع بن ملكى كرب » بتجريد حملتين : الأولى على طريق التجارة مع الفرس ، وقصدت منطقة الحيرة ، والثانية على طريق الشام مصر ، وقصدت الحجاز » .

الحزب الهاشمي [ص ٩٨] .

http://kotob.has.it

فلعلك نسيت أنه أيضاً أوقف وقفاً بالمدينة تسلسل في الناس إلى أن وصل إلى أبي أيوب الأنصاري ، وموقع هذه الدار قريب من الدار التي سكنها رسول الله ﷺ ، وكانت معلومة لأهل المدينة إلى ما قبل التوسعة الأخيرة .

ويفيد هذا القول أن نفراً من أهل الكتاب كانوا على علم بمكانة الكعبة ، وعلى علم تام أن خاتم الأنبياء سيكون مولده مكة ومهجره المدينة .

أضف إلى ذلك أن سلمان الفارسي « وكان من أهل الكتاب » هاجر إلى المدينة بناء على وصية حبر من أحبار النصاري الذي أعطاه أوصاف رسول الله ﷺ التي كان منها أنه يقبل الهدية ويرد الصدقة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، ومن المعلوم أن سلمان لم يسلم حتى تحقق من صفات رسول الله ﷺ ورأى فيه العلامات التى عرفها من الحبر النصراني .

٦

ويري الكاتب أن مكة نهضت تجاريًا :

« ومع نهاية القرن السادس الميلادى نجد مكة تقف على الطريق ، مالكة لمركز رئاسي لا شك فيه ، بعد أن أتاحت لها الظروف الداخلية تجميع التجارة الخارجية في يدها ، وأتاحت لها الظروف الخارجية أن تستغل الأوضاع العالمية لصالحها ، خاصة الصراع الدولي الهائل بين الروم والفرس فى الشمال والجنوب ، وهو الأمر الذي أعانها على القيام بأمر تجارة العالم ، والنجاح فيه بكفاية ، أكسبت أهل مكة ثروة عظيمة ، فحظيت باحترام عربى عام ، حتي باتت مؤهلة للزعامة ، في وقت أخذ فيه العرب يتطلعون إلى منطقة عربية مستقلة ، تتولي زعامة النهضة العربية وتقودها » . الحزب الهاشمي [ص ٥٩] .

http://kotob.has.it

إن نهضـة مكة لم تكن تجارية ، فالذي أنشـأ رحلة الشـتاء والصيف قصي ابن كلاب .

وقد كانت الأصنام منصوبة في الكعبة قبل قصي ، وكان العرب يحجون إلى البيت قبل قصي بأمد طويل ، وإن أول من أدخل الشرك في الطواف هو « عمرو بن لحي » . فمكة اكتسبت مكانتها من العامل الديني . حتى أن العرب كانوا يسمون قريشاً أهل الله لسدانة البيت .

فمن أين له إثبات أن العامل الاقتصادي هو الذي دفع إلى التوحيد وتكوين الدولة على أساس قومي أمر لا دليل عليه ، لا سيما أن الدين أعلن أنه « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى » أرجو من القارئ أن يعود إلى المدخل الخاص بالمستشرق « جولد تسهير » .

٧

وأشار إلى الشكل المكعب للكعبة بقوله :

« وبتعدد الأرباب تعددت الكعبات ، حيث كانت الكعبة « البناء المكعب » هي الصيغة المعمارية المفضلة لبيوت أرباب الجاهلية ، وأحيانا أخرى كانت هذه الكعبات تقام تقديسا للأحجار الغريبة والنادرة ، مثل الأحجار البركانية أو النيزكية ، وكلاهما كان يغلب عليه اللون الأسود نتيجة عوامل الاحتراق ، ونظن هذا التقديس ناتجا – إضافة لغرابة شكل الحجر – من كونه قادما من عالم غيبي مجهول ، فالحجر البركاني مقذوف ناري – من باطن الأرض وما صيغ حوله من أساطير قسمته طبقات ودرجات ، وأحتسبته عالما لأرواح السالفين المقدسين – كذلك الحجر النيزكي ، وربما كان أكثر جلالا ، لكونه كان يصل الأرض وسط

http://kotob.has.it

مظاهرة احتفالية سماوية تخلب لب البدوي المبهور ، فهو يهبط بسرعة فائقة محتكا بغلاف الأرض الغازي ، فيشتعل مضيئا ومخلفا وراءه ذيلا هائلا، لذلك، كان هول رؤيته في التصور الجاهلي دافعا لحسبانه ساقطا من عرش الآلهة في السماء ، حاملا معه ضياء هذا المكان النوراني ، ثم كان طبيعيا أن يحاط بالتكريم والتبجيل » . الحزب الهاشمي [ص ٦٥] .

فينبغي أن يعرف كل من يجهل أن الكعبة في مكة لم يكن شكلها الأساسي مكعباً ، إذ أن الحطيم كان جزءاً منها، وقد ورد في حديث رسول الله ﷺ لعائشة :

« لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ، ولجعلتها على أساس إبراهيم ؛ فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت ، ولجعلت لها خلفاً »(١) .

ثم ادعاؤك حول أصل أحجار الكعبة وبشكل خاص الحجر الأسود ، هل هو من أصل بركاني أو نيزكي ؟ وأقول : إن النيزك حين يصل إلى الأرض لا يكون ملتهباً ، بل بارداً ، ولا مضيئاً بل يضيء في الطبقات العليا ولونه أسود ، وهذا يتناقض مع رواياتك الأخرى أن الحجر كان أبيض وأسود من مس دم الحيض ... وهكذا تكتب الأساطير على خيال وتهيؤات ولكن هذه المرة سعياً لإثبات أمور أشار إليها د. حسن حنفي « راجع المقدمة » بأنك تريد من القارئ أن يستنتج .

---

(١) أخرجه البخارى [١٢٦] ، ومسلم [١٣٣٣] .

http://kotob.has.it

٨

وقد ذكرت أن تعدد الآلهة عند العرب ساعد في انقسامهم :

« وواضح لدي أي باحث أن هذا التفرق العقائدي ، وتعدد العبادات والأرباب ، قد ساعد بفعالية في زيادة الفرقة القبلية ، بحيث أصبح عائقا دائمًا ومستمرا في سبيل المحاولات التي قامت من أجل خلق كيانات سياسية في جزيرة العرب ، إضافة إلى الطبع القبلي الذي يأنف كبرياؤه وينفر من فكرة سيادة سياسية واحدة » .

الحزب الهاشمي [ص ٦٦] .

وأقول : لو كان هذا المقياس صحيحاً فهل تعدد الآلهة في مصر منع من قيام دولة مركزية ؟ وهل تعدد الآلهة في بلاد ما بين النهرين منع من تكوين دولة أيضاً ؟

إن هذه القاعدة لا يمكن الاعتماد عليها لإثبات أن توحد العرب يقتضي توحيد الإله وإنما هي تخرصات منبعها التفسير المادي للتاريخ .

٩

أما الادعاء أن بداية تحول الطبقات كان عاملاً في الدعوة حيث يقول :

« فبدأت تدخل مرحلة تحولات بنيوية واضحة في تركيبها الاجتماعي ، وبدأت تضمحل في داخلها التركيبة القبلية ، مع إفراز جديد لمواقع سلطة ومؤسسات لم تكن موجودة من قبل ، وهو إفراز طبيعي للاستقرار والملكية .

ويشرح لنا الدكتور « أحمد الشريف » ظروف المجتمع المكي من الداخل ، فيقول :

http://kotob.has.it

« غير أن الثروة لم تكن موزعة توزيعا عادلا، فقد كانت الهوة بين الأغنياء والفقراء كبيرة من الناحية الاقتصادية .. وكان التفاوت الطبقي موجودا على الرغم من الإحساس بالقرابة ، ووجود علاقات الحلف والولاء ، وعلى الرغم من الإحساس النفسي العام بالمساواة - ومتمثلا في الفروق الواضحة بين طبقة الصرحاء وطبقة الموالي ، بالنظر إلى ما كانت تكفله الثروة وشرف البيت لصاحبها ، من تأهيل للدخول في مراكز القيادة والزعامة . وكان العرب يتطلعون إلى مثل جديدة في الأخلاق والاجتماع تساير الطبع العربي » . الحزب الهاشمي [ص : ٧٣] .

وأقول : لم يكن هذا العامل فعلاً ، فأول المؤمنين كانوا من السادة «كأبي بكر وعثمان والزبير وأبي عبيدة » وكان من بينهم العبيد والمستضعفون « بلال وعمار وخباب » ثم إن الإسلام لم يلغ الطبقات، فالله تعالى يقول : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

وإن إزالة الطبقات أمر مستحيل فالواقع يؤكد ذلك بدليل ما حصل في الدول الشيوعية التي تحولت من ثورة باسم العمال إلى ملكية للحزب .

ولكن ماذا نفعل مع التفسير المادي الماركسي للتاريخ وصراع الطبقات والذي جعلته أساساً للدين ؟

١٠

ويتحدث عن التفاف العرب حول مكة : [redacted]

« وكان هذا الوعي دافعا لنزعة قوية من التسامح الديني ، ولنضوج ميزهم عمن حولهم من أعراب ، فاستضافوا في كعبتهم المكية الأرباب

http://kotob.has.it

المرتحلة برفقة أصحابها التجار ، وقاموا بتبني هذه الأرباب تدريجياً فكان أن تركها أصحابها في كعبة مكة ، ليعودوها في مواسمها ، فكثرت المواسم المكية بالاحتفالات الدينية بالأرباب المختلفة ، وكثر أيضا الخير والبركة من التجارة ، وكان حَتميا أن تهفو قلوب العرب وتجتمع عند كعبة فيها أربابهم ومعاشهم وأمنهم ومرحهم وسمرهم » .

الحزب الهاشمي [ص ٧٤] .

وأقول : إن هذا الالتفاف لم يأت مصادفة ، وإنما لعلمهم اليقيني أن هذا البيت قد بناه إبراهيم ، بل إن زيارة العرب لمكة لم تكن بقصد التجارة فقط ، بل كانت هناك شعائر يؤدونها كالطواف والصعود إلى عرفة ومنى وهي مناطق لا علاقة لها بالكعبة .

١١

ويتهكم على هجوم الطير الأبابيل على جيش أبرهة فيقول :

« وإن ارتفاع النجم الملكي وصعوده بعد حملة الفيل ، أمر يحتاج إلى الوقوف معه وقفة سريعة ، توضح لنا إلى أَي مدى بلغ أمر قريش في نفوس القوم ، إلى الحد الذي دفع العرب جميعا إلى رجم قبر أبي رغال ، دليل الجيش الغازي ، وإلى الاعتقاد الواثق برب الكعبة المكية الذي صد عن بيته جيشا ما كان ممكنا أَن يصده العرب ، تلك الثقة التي تجلت في الاعتقاد بأن جيش إبرهة قد تعرض لهجوم جوي فريد في نوعه ، إذ أرسل اللّه على الجيش طيورا ترميه بالأحجار ، وينقل السهيلي عن النقاش : « أن الطير كانت أنيابها كالسباع ، وأكفها كأكف الكلاب ، وذكر البرقي أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة كرأس الإنسان ، وكبارها كالإبل » . الحزب الهاشمي [ص : ٧٤] .

http://kotob.has.it

إن هذا الهجوم الجوي هو الذي زاد في قناعة العرب من مكانة البيت . فإن لم تقنعك سورة الفيل التي وصفت المعركة ، فارجع إلى الأشعار الجاهلية التي وصفت الهجوم وصفا دقيقا . فمن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت :

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء مصدق ... غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمسي ورحله ... على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم ... جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعاً هاربين ولم يؤب ... إلى أهله ملحبش غير عصائب

ثم إنه لا اختلاف بين المعنيين حول ظهور الحصبة التى كانت بعد حصى الفيل ، فلا مانع للأخذ بهما معاً .

ولكن نسيت أمرًا بالغ الأهمية أن السيدة الوحيدة التي لم تغادر مكة هي « آمنة بنت وهب » لحملها بالمصطفى ﷺ .

١٢

ثم تعود لتناقض نفسك فتذكر محاولات السيطرة على مكة القديمة فتقول :

« تنبئنا كتب الأخبار أن محاولات السيطرة على مكة مسألة قديمة ، تعود في قدمها إلى قبيلة جرهم وهي من أصل يمني قحطاني ، وكيف أنه قد اصطرع حول مكة عرب الجنوب القحطاني وعرب الشمال العدناني ، فتنتقل من سيادة جرهم إلى سيطرة أياد بن نزار ،

ليغلبه عليها بعد ذلك مضر ، ومن مضر تنتزعها خزاعة اليمنية مرة أخرى ، لينتهي بها الأمر إلى الاستقرار في يد قريش في قبضة قصي ابن كلاب » . الحزب الهاشمي [ص : ٨١] .

ولعلك نسيت ما سبق أن ذكرته في موضع سابق أن مكة لم تتعرض لاعتداء ، وأن مكة لقاح تستعصي على الملك .

أما إشارتك إلى أن القرشيين « استعانوا بالكنعانيين » فكيف تم انتقالهم بهذه السرعة علما بأنهم كانوا يسكنون فلسطين ؟! فأين المنطق فى فهمك وكلامك ؟

١٣

ثم تعود لتكرر قولك عن امتلاك وسائل الإنتاج ودورها في السلطة : ☚

« وكان أبرز مؤسسات قصي السياسية هى دار الندوة التي بناها ، والتي ربما كانت ذات الكعبة أو فناءها ، فكانوا يجتمعون إليه ليقضي بينهم ويدير أمور دولته الصغيرة ، ومن بعده كانت قريش تجتمع فيها لتشاور في حربها وسلمها ، ومن هناك تعقد ألويتها : مما يعني دخول قريش مرحلة متحضرة وشوطا بعيدا ، ابتعد بها عن النظام المشيخي القبلي الذي حلت محله دار الندوة ، ومثل القبائل فيه كبراؤهم أو « الملأ » ، وهو مما سيفرز - بالضرورة - بداية الصراع حول امتلاك وسائل الإنتاج والسلطة السياسية كما سيأتي بيانه ، فبالندوة ابتعد قصي بقريش وبمكة عن القبلية باتجاه الحضارة ، وحل الملأ محل الشيوخ ، وحلت الندوة محل الديمقراطية البدوية » .

الحزب الهاشمي [ص : ٨٢] .

http://kotob.has.it

وكل هذا لا يخرج إلا عن التفسير المادي للتاريخ الذى أُشْرِبه قلبك ، إن الكعبة ما كانت إلا للتعبد وأما دار الندوة فكانت للمشورة وأخذ الرأي سلماً أو حرباً على القبائل وتصريف أمور مكة تجارياً ، وكلاهما ينقل عن الآخر و « ربما » التي تكررها ليست من الصرامة العلمية التي تعارض بها الرسالات ولكن للقصص التخيلي .

١٤

أما الادعاء أن قصي بن كلاب أصاب ملكاً ، وأن أمر مكة قام على الدين ممثلا في الكعبة المكية حتى صار أمر قصي شرعا متبعا ففى قولك :

« ثم يقول ابن كثير : « ... فكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا، أطاع له به قومه ، وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة ، فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة أرباعا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة .. فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة ، من حجابة البيت وسدانته ، واللواء ، وبنى داراً لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات سماها دار الندوة » .

قال ابن الأثير : « كان أمر قصي فيهم شرعا متبعا، معرفة منهم لفضله وتيمنا بأمره » ، وقال الطبري : « فكان في قومه في حياته وبعد موته كالدين المتبع » . الحزب الهاشمي [ص ٨٣] .

فقصي لم يبن الكعبة ، ومكانة الكعبة معروفة قبل قصي .

ثم نجدك تارة تنفي عن العرب طاعة الملوك ما لم يشعروا بخطر ، وتارة تجعل أمر قصي شرعا متبعاً ، فكيف يستقيم هذا الأمر ؟ هناك تناقض وبلبلة

http://kotob.has.it

فى الفكر ، فنسيت قول الأسود بن عبد العزى : إن مكة لقاح لا تدين لملك . وكذلك خطبة النعمان بن المنذر التي أوردتها . فإذا كنت تتصيد وتلوي التاريخ في تفسيرك فكن ذكوراً .

١٥

أما إشارتك : أن قصي ركز جميع سلطانه في ابنه عبد الدار .

ففى قولك :

« إيمانا منه بفردية الحكم المطلق ، وحتى لاتتفرق مكاسبه وتتناثر ، ترك قصي بن كلاب كل سلطاته ووظائفه وسننه الزكية ، لولده البكري عبد الدار ، دون أخيه عبد مناف ، ورحل إلى عالم الأسلاف ، بعد أن أسس لقريش دولتها الواحدة في مكة ، ولكن قصي ما كان يعلم أن الحقد سيتملك قلب عبد مناف على ملك عبد الدار وما حظي به من تشريف ، فكان أن توارث الأبناء أحقاد الآباء ، وقام ابناء العمومة يستعدون القبائل على بعضهم وتجمع بنو عبد مناف مع مؤيديهم في حلف المطيبين ، فرد عليهم بنو عبد الدار وحزبهم بحلف الأحلاف ، وتجمع الفريقان للقتال من أجل السيادة على مكة . ويشرح ابن كثير الأمر في قوله : « ثم لما كبر قصي ، فوض أمر هذه الوظائف التي كانت إليه من رئاسات قريش وشرفها ، من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار ، وكان أكبر ولده .. فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا : إنما خصص عبد الدار بذلك ليلحقه بإخوته » . الحزب الهاشمي [ص ٨٩] .

http://kotob.has.it

فهذا أمر له سببه ، إذ إن بقية أبناء قصي شرفوا في عهد أبيهم ، فرأى قصي أن يرفع من شأن عبد الدار بإيكال هذه الأمور إليه .

وأنت نفسك قلت في آخر الفقرة : « إنما خصص عبد الدار بذلك ليلحقه بإخوته » فبماذا يلحقه ؟ أليس بالشرف ؟! ثم ما هو معني ترك السنة الزكية ؟ فهل الأخلاق تورث ؟ وهل هذا منع بقية أبنائه من الاقتداء بأخلاقه ؟

كان ينبغي دراسة المقولة بدقة أكثر بدلاً من وضع أسس للتفسير المادي الماركسي للتاريخ يدور حول الثروة والمكاسب .

١٦

وأما تفسيرك لهجرة أمية إلى الشام بأنها إرساء لقواعد الدولة الأموية مستقبلا حيث تقول :

> **« وكانت السنوات العشر التي قضاها أمية بن عبد شمس في منفاه الشامي رصيدا لبيته الأموي من بعده ، فقد ارتبط هناك بأهلها بأواصر السنين والمصاهرة التي كانت لأبنائه ذخرا وعتادا ، حيث قامت هناك دولة كبرى من بعد سنين ، يرأسها حفيده معاوية ، تلك التي عرفتها الدنيا باسم الدولة الأموية » .** الحزب الهاشمي [ص ٩٠] .

فأقول : ألم يكن هنالك سفراء للعرب ؟ فقد ذكرت أنت وفي الصفحة [٩٠] أن أبناء عبد مناف كانوا يتوجهون إلى الجهات الأربع لتأمين حماية قوافلهم ، وكان هاشم يتوجه إلى الشام وهو الذي أقام الإيلاف مع أهلها ، أليس من الأقرب لأهل الشام إيلاف بني هاشم طالما أن التفسير مادي

http://kotob.has.it

للتاريخ ؟! ولكن هذا التناقض لا ينفعك ، ألسنا مع كتب أساطير وربما ... وما أكثر الربما ت !

أضف إلى ذلك أن قبر هاشم في غزة إلى اليوم . بل إنك أسبغت على بني قصي صفة المجيرين ، فأي علاقة أقوى مع أهل الشام : علاقة امية أم علاقة هاشم ؟

فالأمر يحتاج منك أن تعيد تحليلك ولكن على أسس غير مادية .

١٧

ويعتبر أن الكرم والجود عند بني هاشم تكتيك :

« **على الرغم من أن ألوية السيادة المستقرة في بيت عبد الدار قد كفلت له اختصاصات التحكم والقوة فإن تكتيك هاشم اتجه منحى آخر تمثل في اكتساب القلوب ، فقام يهشم الثريد لقومه بيديه – لذلك لقب هاشما – ومد بسخائه القاصي والداني** » . الحزب الهاشمي [ص ٩٧] .

ونحن نعلم أن الكرم والجود وما يتبعهما من سقاية ورفادة مكلفة وتؤدي إلى الفقر وليس للأمر أي علاقة بالتكتيك ، فلو كان الأمر تكتيكا لاحتفظت بالأموال ليشتروا بها الرجال أو لإنشاء الجيوش . وهناك فرق بين الكرم الطبيعي والطارئ ، فالطارئ لا يستمر وإنما ينتهي .

http://kotob.has.it

١٨

ويحاول إقناعنا أن هاشما قَوِى أمره مع الخروج بيثرب وشد الوثاق بهم :

« لكن هاشما أعطى الوضع المتأزم أبعادا جديدة ، عندما دعم قوى حزبه العسكرية برجال الحرب والدم والحلقة من بني النجار والخزرج في يثرب ، فشد الوثاق بهم بأن تزوج سلمى بنت عمرو من بني النجار من الخزرج ، ليكون ذلك لحزب عبد الدار وعبد شمس إعلانا صريحا عن قيام التحالف بين الحزب الهاشمي وأهل الحرب اليثاربة ، وترك ولده شيبة المعروف بعبد المطلب ينمو ويربو ويرضع الفروسية بين أخواله » . الحزب الهاشمي [ص ٩٧] .

أي حزب هذا الذي كان لبني هاشم ؟ فالهاشميون ينسبون إلى هاشم ، فكم كان عدد أبناء هاشم ؟ وهل كان عددهم يؤهلهم لتكوين حزب ؟ بل لم يكن العدد يكفي لتشكيل عائلة صغيرة فضلا عن قبيلة أو حزب .

ثم الإشارة إلى تعلم عبد المطلب الفروسية بسبب نشأته بين أهل يثرب ، فهل كل فرسان مكة « وما أكثرهم » تعلموا الفروسية في يثرب ؟

١٩

أما إصرارك على أن الأيديولوجية التي وصفها عبد المطلب كانت تقوم على إلغاء الوساطات والشفاعات :

« ومن الواجب ملاحظة امتداد ذلك التحالف في زواج حفيد عبد المطلب ، النبي محمد ﷺ ، من السيدة خديجة بنت خويلد

http://kotob.has.it

الأسدي - رضي الله عنها - في الوقت الذي استمر فيه على التكتيك الهاشـمي ، بأن سار على السنة الكريمة المعطاء بالجـود ، حتى لقبه الناس : شيبة الحمد .

لكن الجديد في أمره ، هو عمله على وضع أيديولوجيا متكاملة لتحقيق أهداف حزبه ، فكان إدراكه النفاذ لسنة جده « قصي » الدينية والسياسية مساعدا على تحديد الداء ووصف الدواء ، والداء فرقة قبلية عشائرية ، والأسباب تعدد الأرباب وتماثيل الشفعاء ، ومن هنا انطلق عبد المطلب يضع أسس فهم جديد للاعتقاد ، فَهم يجمع القلوب عند إله واحد ، ويتميز بأنه يلغي التماثيل والأصنام وغيرها من الوساطات والشفاعات ، لأنه لا يقبل من أحد وساطة ولا شفاعة إلا العمل الصالح » . الحزب الهاشمي [ص ٩٩] .

وهذا يدل على أَنك لم تدرك الفرق بين العبادة والشفاعة ، فكفر قريش ليس من قبيل التشفع فقط ، وإنما كان أيضا لصرف العبادة لغير اللّه ، واتخاذهم آلهة تعبد من دون اللّه .

ولقد ورد على لسانك في أكثر من موضع أنهم استنكروا سب آلهتهم وليس شفعاءهم ، فهذا القول من قبل التدليس .

ثم إن أصل الحنيفية يعود إلى إبراهيم عليه السلام ، وقد اعتنق الحنيفية الكثير من العرب ، ولم يكونوا كلهم في مكة ، بل كانوا منتشرين في نجد ونجران والطائف وغيرها .

وأخطر ما في الأمر : ادعاؤك أن عبد المطلب عمـل على وضـع أيديولوجية لحزب ، مبنية على سنة جده ، فأين هذه الأيديولوجية ؟ فتارة تنسب الأمر إلى الأحناف وأنهم على دين إبراهيم ، وتارة تجعل عبد المطلب هو الذي عمل

http://kotob.has.it

على جمع الناس على التوحيد ، وهذا ما لم نسمع به من قبل ، أو أنه دعى لذلك أو جعل الشفاعة بالعمل الصالح !! فما هذا إلا لتشبيه أعمال عبد المطلب بأدق تعاليم الإسلام التي لا يعلمها إلا نبي ، وما ينفي قولك هو ما أثبته نفسك عند استسقاء عبد المطلب حاملاً المصطفى ﷺ وهو صغير وقال قصيدته التي مطلعها :

« وأبيض يستسقى الغمام بوجهه » فكيف جعل الاستشفاع بالعمل الصالح ؟

٢٠

أما وصفك لرؤيا عبد المطلب لحفر بئر زمزم بالوحي :

« وتمهيدا لما أزمع ، أعلن في الناس : أنه بينما كان نائماً في الحجر بالكعبة أتاه رئي ، وغته ثلاث مرات ، وأوحى إليه الأمر بحفر البئر المعروفة باسم زمزم ، وتقول كتب الأخبار الإسلامية ، إنها كانت بئرًا لجرهم بين صنمي إساف ونائله دفنتها حين تركت مكة . نعم لقد تمثل تنافس بني العمومة من قبل في احتفار الآبار ، جذبًا للقبائل وقوافل التجارة ، فقديما حفر عبد الدار « أم جراد » ، ولما حفر عبد شمس « الطوي » ، رد عليه هاشم بحفر « بدر » ، فزاد أمية في الكرم وحفر « الحضر » فهي البئر الوحيدة التي قيل فيها أنها حفرت بأمر غيبي - في حلم عبد المطلب - إضافة إلى ما شاع يتردد حول أمرها ، فهي فعل إلهي لا إنساني ، فجرها الله قديما تحت خد إسماعيل ابن إبراهيم « عليه السلام » ، ليشرب وأمه منها » الحزب الهاشمي [ص ١٠٠] .

http://kotob.has.it

فليس هذا الكلام بمقبول إلا مع التحديد لنوع الوحي ، فإن الوحي درجات ، فقد أوحى الله إلى النحل ، وأوحى إلى الأرض ، وأوحى إلى أم موسى ، والوحي على الإطلاق لا يكون إلا للأنبياء .

وأما قول ابن عباس أنه كان على ملة الأشياخ فقول مطاط ، فأي أشياخ قصد ؟ هل الأشياخ من أجداده ، الأقربين أم الأبعدين ؟ أم الأشياخ عامة ؟

وأما عن اتباعه لمكارم الأخلاق وتركه لشرب الخمر فهو أمر لم يستأثر به وحده ، بل كان الكثير من عقلاء العرب على شاكلته .

٢١

وأورد مسألة الاستسقاء بعبد المطلب :

« وليس أدل على مثل هذه التوجهات بشأن عبدالمطلب مما زعمه الإخباريون من اعتقاد العرب في شأنه ، كصاحب ملة ، وكرجل له نوع ما من العلاقة بالسماء ، وفي أنه ثمة رابط بين ذلك وعلمه اليقيني المسبق بأن حفيده ، محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم » هو نبي الأمة وموحدها المنتظر . فتشير كتب التراث إلى أن قريشا استقت به من السماء بعد جدب أشرفت معه على الهلاك ، فصعد بهم ومعه حفيده إلى جبل أبي قبيس ينادي ربه : « اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنو إمائك ، وقد نزل بهم ما ترى ، وتتابعت علينا السنون ، فذهبت بالظلف والخف والحافر ، اي الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير ، فأشفت على الأنفس ، أي أشرفت على ذهابها ، فاذهبن عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب ، فما برحوا حتى سالت الأودية

الحزب الهاشمي [ص ١٠٢] .

http://kotob.has.it

إن المسألة وردت في الحديث الشريف ، وصحيح القصيدة أنه استشفع بالمصطفى ﷺ وهو طفل ، وألصق ظهره بالكعبة وهو يدعو .

ولقد ورد الحديث في المدينة عندما استُسقى المصطفى ﷺ وانهمر المطر ، فذكر عبد المطلب ، فذكره أصحابه من المهاجرين بتلك القصيدة التي جاء فيها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيـع اليتامى عصمة للأرامـل

أما زعم الإخباريين بأنه صاحب ملة ، فلم يقل أحد أنه مؤسس ملة حتى نقول بذلك وأحسن ما قيل فيه إنه من الأحناف على بقايا دين إبراهيم عليه السلام .

٢٢

وأورد قصة اليهودي الذى تنبأ بموعد ظهور النبي المنتظر :

« وعن اليقين بعلم عبدالمطلب بأمر حفيده ، يتحدث كتبة التراث مسلمين بالأمـر ، ثم يقصون أقاصيص تعبر عن هـذا التسليم وذاك اليقين ، فيذكرون عن ولده العباس « رضي اللّه عنه » قوله : « قال عبد المطلب : قدمت من اليمن في رحلة الشتاء ، فنزلنا على حبر من اليهود يقرأ الزبور ، فقال : من الرجل ؟ قلت : من قريش ، قال : من أيهم ؟ قلت : من بني هاشم ، قال : أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك ، قلت نعم ما لم يكن عورة ، قال : ففتح إحدى منخري فنظر فيها ثم نظر في الأخرى ، فقال أنا أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة ، وإنما نجد ذلك « أي كلا الملك والنبوة » في بني زهرة ، فكيف ذاك ؟ قلت لا أدري . فقال : إذا تزوجت فتزوج منهم . فلما رجع عبد المطلب إلى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف ! فولدت له حمزة وصفية ، وزوج ابنه عبد اللّه آمنة بنت وهب أخي وهيب فولدت

http://kotob.has.it

له رسول الله » فكانت قريش تقول ، فلح عبد الله على أبيه ، أي فاز وظفر .. ثم رأيت في أسد الغابة .. أن عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد .. وجاز أن يكون الملك والنبوة اللذان تكلم عنهما الحبر ، هما نبوته وملكه ﷺ » لأنه أعطيهما . الحزب الهاشمي [ص ١٠٤] .

ألم يلفت نظرك أن كتاب اليهود هو « التوراة » وليس « الزبور » ؟!

وهذا مما يشكك في صدق الرواية ، وإن أردنا أن نقبلها ، فالنبوة للمصطفى والملك لبني العباس ، وهذا ما حصل فعلًا .

وهذا لا ينفي أن أهل الكتاب كانوا على علم صحيح باق لديهم بظهور نبي هذه الأمة زمانا ومكانا ، وعلامات بارزة حيث تحدثت التوراة والإنجيل بذلك وقصَّ القرآن علينا نحن المسلمين كما قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ .

ثم أليس من الملفت للنظر أن الكثير من بني هاشم لم يبادروا إلى الإسلام فور ظهوره ؟ فلو كان الأمر تكتيكا لكانوا أول من بادر للدخول فيه ، فهذا العباس عم رسول الله ﷺ لم يسلم إلا قبيل الفتح ، وعمه أبو لهب ناصب النبي العداء ؛ ومات كافراً ، وأبو طالب لم ينطق بالشهادتين . وهذا يكذب ما زعمت من أن المسألة تخطيط وتكتيك .

بل إن عقيل بن أبي طالب باع جميع أملاك الهاشميين الذين هاجروا إلى المدينة . فلو كان الأمر تكوين حزب فمن الذي دعاهم إلى ذلك .

http://kotob.has.it

ويصر على نفي علاقة إبراهيم بالحنيفية ويعزو مصدرها اليمن :

« ويذهب « الدكتور جواد على » إلى افتراض أن تكون عقيدة حنفاء مكة التي نادى بها عبد المطلب بن هاشم ، بعد سبعة قرون ، امتدادا لحنيفية رحمن اليمن ، رب السماء « ذوي سموي » ويلمح إلى ذلك في قوله عن أحناف مكة « لا نستطيع إنهم نصارى أو يهود ، إنما أستطيع أن أشبه دعوة هؤلاء بدعوة الذين دعوا إلى عبادة الإله رب السماء ذوي سموي ، أو عبادة الرحمن في اليمن » ويذكر الفخر الرازي أن عقيدة أحناف اليمن ، كانت أركانا أربعة هي : حج البيت واتباع الحق ، وملة إبراهيم ، والإخلاص لله وحده ، ثم يضيف قوله : إن عدم معرفة هؤلاء لتاريخ نشوء عقيدتهم ، فقد نسبوها إلى إبراهيم النبي العبري .

ويذهب الألوسي إلى أن الصابئة هم قوم النبي إبراهيم « عليه السلام » وأهل دعوته ، مما دفع بعض العلماء إلى حسبان الحنفاء صنفا من الصابئة وبالتحديد الصنف المؤمن أو من بقى على الإيمان منهم » .

الحزب الهاشمي [ص ١١١] .

إن القول بأن أهل اليمن كانت لديهم عقيدة تشمل حج البيت واتباع الحق والإخلاص لله ، وأن جهلهم بتاريخ نشوئها دفعهم إلى نسبتها إلى إبراهيم استمرار لرفضك وجود إبراهيم في التاريخ .

وما أشرت إليه لا يعتبر أركانا ، فملة إبراهيم هى الإخلاص لله وحده والحج وغيره من ضمن شعائرها . أما التخرص بأن دين إبراهيم هو الصابئة فهذا ما لم يرد به نص لا من القرآن ولا من غيره . وهل كون أهل اليمن يتبعون ديناً يشبه دين إبراهيم يجعل مصدره إليهم ؟ فلمَ لا يكون من بقايا دين

http://kotob.has.it

إبراهيم عليه السلام ، ألم يكن أهل اليمن يحجون البيت في مكة ؟ بل وذلك اليماني الذي ظلم وصرخ فكانت حادثته سبباً لقيام حلف الفضول .

إن تجميع كل هذه الأقوال يصب في قناة محاولتك إلغاء وجود النبي إبراهيم عليه السلام .

٢٤

ويعود إلى اعتبار الدين عاملا من عوامل التقدم والتطور في العصور :

« **في هذه الظروف المواتية من الناحية الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ظهرت النهضة العربية ، وكانت دينية ، والدين كان عاملا من عوامل التطوير والتقدم في العصور القديمة ، ولم يتنازل الدين بعض الشيء عن هذه الناحية إلا بانتشار العلوم ، ووجود العوامل التي تنافسه في القيام بهذا الدور في العصر الحديث** » . الحزب الهاشمي [ص ١١٧] .

وهنا يتضح بجلاء تأثرك بنظرية النشوء والارتقاء والتفسير المادي للتاريخ ، فإذا كان العلم يحل محل الدين والعلمانية تقوم مقام الدين ، فلماذا تنفق أمريكا اليوم على التبشير أكثر من عشرة بلايين دولار سنويا ، وتقيم الإذاعات والمحطات التليفزيونية للغرض نفسه ؟

أما قولك : « إن الدين كان عاملاً من عوامل التطور » فهل أصبح اليوم غير ذلك ؟

http://kotob.has.it

ونفى تأثر « أمية بن أبي الصلت » في أشعاره بالقرآن والأحاديث :

« ويقول جواد على : إن أمية حرم على نفسه الخمر وتجنب الأصنام ، وصام والتمس الدين وذكر إبراهيم وإسماعيل ، وكان أول من أشاع بين القرشيين افتتاح الكتب والمعاهدات والمراسلات بعبارة : باسمك اللهم « استعملها النبي محمد ﷺ » ثم تركها واستعمل بسم الله الرحمن الرحيم » وقد روى الإخباريون قصصا عن التقاء أمية بالرهبان وتوسمهم فيه أمارات النبوة ، وعن هبوط كائنات مجنحة شقت قلبه ثم نظفته وطهرته تهيئة لمنحه النبوة » . الحزب الهاشمي [ص ١٢٠] .

« ويعتبر أمية أحسن الحنفاء حظا في بقاء الذكر، فقد بقي كثير من شعره وحُفظ قسط لابأس به من أخباره ، وسبب ذلك عند « جواد على » بقاؤه إلى ما بعد البعثة ، واتصاله بتاريخ النبوة والإسلام اتصالا مباشرا ، وملاءمة شعره بوجه عام لروح الإسلام ، برغم أنه حضر البعثة ولم يسلم ، ولم يرض بالدخول في الإسلام ، لأنه كان يأمل أن تكون له النبوة ، ويكون مختار الأمة وموحدها ، ولذلك برز كنموذج للاستقامة والإيمان والتطهر والزهد والتعبد ، وقد مات سنة تسع للهجرة بالطائف كافرا بالأوثان وبالإسلام » . الحزب الهاشمي [ص ١٢١]

وهو الذي يقول :

ويوم موعدهم يحشرون زمراً   يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر

الحزب الهاشمي [ص ١٢٢]

وهو يعلل ذلك بأن تلك الأشعار قد كتبت قبل البعثة ، علما بأنه عاش حتى العام التاسع الهجري . فانظر إلى كلمة « التغابن » فهي مصطلح قرآني لم يعرف من قبل علما للقيامة . فالجزم بأنه لم يُقْتبس من القرآن أمر مشكوك فيه .

http://kotob.has.it

أما عن أنه لم يسلم فكثير مثله جحدوا الحق نقمة لأنفسهم لأنهم كانوا يأملون في الحصول على هذا الشرف ، ولكن ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١١٥] .

٣٦

وأورد رواية عمار بن ياسر عن زواج الرسول ﷺ بخديجة :

« وهنا يروي لنا ابن كثير « .. أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله ﷺ خديجة ، وما يكثرون فيه ، يقول : أنا أعلم الناس بتزويجه إياها ، إني كنت له تربا ، وكنت له إلفا وخدنا ، وإني خرجت مع رسول الله ﷺ ذات يوم ، حتى إذا كنا بالحزورة ، أجزنا على أخت خديجة وهي جالسة على أدم تبيعها ، فنادتني ، فانصرفت إليها ، ووقف لي رسول الله ﷺ ، فقالت : أَما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار : فرجعت إليه فأخبرته ، فقال : بلى لعمري ، فذكرت لها قول رسول الله ﷺ ، فقالت : اغدوا علينا إذا أصبحنا ، فغدونا عليهم ، فوجدناهم قد ذبحوا بقرة ، فكلم أباه وألبسوا أبا خديجة حلة ، وصفرت لحيته « أي صبغت بالحناء » وكلمت أخاها ، فكلم أباه وقد سقي خمرا ، فذكر له رسول الله ﷺ ، ومكانه ، وسأله أن يزوجه ، فزوجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعاما فأكلنا منه ، ونام أبوها ، ثم استيقظ صاحيا فقال : ما هذه الحلة ؟ وما هذه الصفرة وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي كانت قد كلمت عمار بن ياسر : هذه حلة كساكها محمد بن عبد الله ختنك ، وبقرة أهداها لك فذبحناها حين زوجته خديجة ، فأنكر أن يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحجر ، وخرج بنو هاشم برسول الله ﷺ

http://kotob.has.it

فكلموه ، فقال : أين صاحبكم الذي تزعمون أني زوجته خديجة ؟ فبرز له رسول الله ﷺ فلما نظر إليه قال : إن كنت زوجته فسبيل ذاك ، وإن لم أكن فعلت فقد زوجته » الحزب الهاشمي [ص : ١٣٢] .

لا ندرى الغرض من إيراده لهذه الرواية هنا ، فإن كان الغرض أن أبا خديجة كان يحتسى الخمر ؛ فهى عادة عربية قديمة ، وإن كان الغرض منها أنه أنكر أن يكون أبوها زوجه ، فمعلوم أنه كان سكرانا ، ولما أفاق أنكر . وهذه عادة السكارى دائما ، وإذا كان الغرض من ذلك أنه يرفض زواج محمد من خديجة فهنا أمران :

الأول : أن محمدًا كان فقيراً وليس من الأغنياء ، وهذا معلوم للقاصى والدانى فلا جديد فيه .

الثانى : أن أبا خديجة - فى رواية القمنى - لما رأى محمدًا نظر إليه وقال : إن كنت زوجته فسبيل ذاك ، وإن لم أكن فعلت فقد زوجته ، وهذه كافية وترد على صاحب الغرض السيئ .

ويستفاد من القصة أن أخت خديجة هى التى طلبت من عمار بن ياسر أن يكلم صاحبه ، وأن السيدة خديجة هى التى رغبت فى الرسول ﷺ ، وأن الرسول الكريم عندما سمع بذلك أحبه وتمناه .

إن هذه الرواية وأشباهها لا يخلو سندها من مقال ، ولو أحسن لتتبع القصة فى مظانها من كتب الصحاح ، ولكنه عمد إلى رواية مكذوبة فى سندها عمر ابن أبى بكر المؤملى وهو متروك (١) . لغرض فى نفسه أفصح عنه فى صدر كلامه حيث قال :

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٢٢٤/٩] .

http://kotob.has.it

« وقد أوضح القرآن الكريم فضل هذه السيدة على نبيه ﷺ وعلى المسلمين في قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى : ٨] .
وقال : « أكثر الناس من الكلام في هذه الزيجة » .
الحزب الهاشمى [ص : ١٣١ ، ١٣٢] .

هذا هو الغرض الخبيث من إيراد هذه الرواية المكذوبة هنا فهل أحد من أمة النبى ﷺ له فضل عليه !! لا يقول بهذا إلا ضال مضل .

وتفسيره للآية على هذا النحو ما سبقه إلى ذلك أحد حتى إبليس نفسه ما قال بذلك !

كذلك ما معنى أكثر الناس من الكلام فى هذه الزيجة ؟ هذه إيماءة خبيثة ، فعادة الناس جميعاً أن تنقل كل شيء عن رسول الله ﷺ لأنه الأسوة الحسنة ، لكن أن تفرد هذه ويقال عنها مثل هذا الكلام ، فهذا ما نرفضه .

٢٧

وأما الادعاء بأن قريشا سالمت محمدا في البداية فى قولك :

« وتقول سيرة ابن هشام : إن محمدا ﷺ لما بادأ قومه بالإسلام ، لم يجدوا في دعوته غضاضة ، ولربما لم يكترثوا لها ، ولعل مرجع ذلك إلى حرية الاعتقاد التي كانت عرفا مسنونا ، عرفا حتمته المصالح التجارية في مكة ، فكان المسيحي فيها يعيش إلى جوار الحنفي إلى جانب اليهودي ، مع الصابئ والزرادشتى وعبدة النجوم ، وعبدة الجن ، وعبدة الملائكة ، وعبدة الأسلاف وتماثيل الشفعاء ، دونما قهر أو فرض أو إجبار ، حتى إن العبد كان يظل على دين يخالف دين سيده ، دون أن يخشى في ذلك مساءلة أو ملامة ، وبرغم أن

http://kotob.has.it

محمداً ﷺ من الفرع الهاشمي فإن حزب « عبد الدار – عبد شمس – نوفل » لم يهتم كثيرا في البداية للدعوة الجديدة ، خاصة أن محمداً ﷺ لم يخرج آنذاك عن أطر عرفهم المسنون في حرية الاعتقاد ، فلم يجبر أحدا لاعتناق دعوته ، كما لم يحاول فرضها أو اعتبارها الديانة الوحيدة الواجب اعتناقها » . الحزب الهاشمي [ص ١٣٣] .

فهو كلام مرفوض ، فمن أول يوم دعاهم جهارا أجابوه بقولهم « تبا لك » .

ولو كانوا مثل ما زعمت لما اضطر الصحابة لإخفاء إسلامهم ، ولما تعرضوا للتعذيب والإيذاء من قبل مشركي قريش إذا كانوا على هذا القدر من التسامح الديني المزعوم .

أما قولك : « إنه لم يجبر أحداً لاعتناق دعوته » فهذا هو حال الإسلام إلى يوم القيامة ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ ﴾ [الكهف : ٢٩] ، وليس الأمر مقصوراً على بداية الدعوة أو غيرها . أما الشق الآخر من العبارة بأنه لم يعتبرها الديانة الوحيدة الواجب اعتناقها ، فهى عبارة ملغومة ، نعم لايكره الناس على الإسلام ، ولكن هل اعتبر أن الأديان الأخرى صحيحة مقبولة خاصة بعد بعثته ﷺ ؟ والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، فلماذا يدعو إلى الإسلام إذا كان الأمر كذلك ؟ ولكن كل هذا كان تمهيداً منك لما ستقوله بعد ذلك من أنه غير أسلوب الدعوة بعد الهجرة ، وذلك جرياً منك وراء استاذك « جولد تسهير » .

http://kotob.has.it

وأما اتهام النبي ﷺ بأنه ألب العبيد فى افترائك حيث تقول :

« حتى ذلك الحين ، كانت قريش لا تزال في هدوء وترقب ، لكن محمدًا ﷺ الذي صمم على إتمام الأمر مهما تكلف من مشقة ، قام يؤلب العبيد على أسيادهم يناديهم ، « اتبعوني أجعلكم أنسابا ، والذي نفسي بيده لتملكن كنوز كسرى وقيصر » وهنا بدأ القوم يشعرون بحجم الخطر الآتي ، فالأرستقراطية القرشية حتمت مصالحها وجود العبيد ، بل أن يتكون جيشهم الذي يحمي التجارة من هؤلاء العبيد في أغلبه ، وبات الأمر أمر حياتهم ومعاشهم ، ثم إن دعوة النبي ﷺ إلى جعلهم أنسابا التي تمثلت في عتقه لعبده زيد بن حارثة ثم إعطائه أفضل النسب وأشرفه ، بتبنيه إياه ، كان يعني لبقية الدهماء من الأعراب أملا عظيما » .
الحزب الهاشمي [ص ١٣٤] .

إن نسبة أسامة إليه وإلحاقه به ﷺ ، فهذا لم يكن شيئاً جديداً على العرب ، وقد جاء الإسلام ليلغي التبني وليأمر بدعوة كل مولود لأبيه [١] ، إنه ﷺ لم يوجدها ولم تكن تكتيكاً .

ثم إن الإدعاء بأنه ﷺ بث دعوته بين العبيد وخصهم وحدهم يدحضها إيمان الكثير من السادة الذين كانوا على رأس المهاجرين إلى الحبشة أمثال حمزة وعثمان .

---

(١) أخرج البخارى فى صحيحه [٤٧٨٢] عن ابن عمر رضى الله عنهما أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

http://kotob.has.it

ولإثبات عالمية الإسلام وليس قوميته فقد آمن صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي .

وأما وجود العبيد فكان منتشراً في كل العالم لا سيما في الدول العظمى ذات الثقافات والحضارات « على حد تسميتك لهم » . ثم إن أمريكا ألم تقم بأكبر عملية خطف للعبيد من أفريقيا ؟ فوجود العبيد ليس خاصية قريش وحدها .

٢٩

وعن غرض جيش أبرهة من غزو مكة فى قولك :

« مع اعتبار العامل الاقتصادي الذي دفع الحبشة لمحاولة احتلال مكة التي لم تعد في ذلك الوقت مجرد محطة تأخذ العشور والضرائب ، وإنما تحول أهلها إلى امتلاك هذه التجارة ، فكانوا يشترون تجارة اليمن والشام بأموالهم ويحققون الفائض الذي يحددونه هم أصلاً » .

الحزب الهاشمي [ص ١٤٩] .

فإن غرض أصحاب الفيل معلوم وهو هدم الكعبة ، وليس احتلال مكة ، فأبرهة لم يبد رغبته في احتلال مكة أو قتال أهلها ، فالغاية عنده كانت هدم الكعبة لصالح كنسية القليس .

ولقد كان فرح العرب أمراً مشهوراً لانتصار اللّٰه لبيته . ولو كان غرض أبرهة الاحتلال لقبض على عناصر التجار الفاعلة . ولكن الصراع الطبقي والتفسير الماركسي فى رأسك يأبى إلا قلب الأمور .

http://kotob.has.it

وأما اتفاق الأنصار « الأوس والخزرج » مع رسول اللّٰه ﷺ فلم يكن لشن الحروب والغارات ضد أهل مكة كما ادعيت فى قولك :

« ولكن الخزرج سرعان ما تراجعت إزاء التطورات الجديدة في مكة وأرسلوا وفودهم إلى ابن أختهم محمد ﷺ » في مكة ، وقاموا بمحاولة إقناع الأوس بالأمر لما له من وجاهة من عدة نواح : الأولى أنه نبي مؤيد من اللّٰه وفي ذلك كفالة النصرة ، والثانية أنه طرف محايد ، فلا هو أوسي ولا هو خزرجي ، أما الناحية الثالثة والأهم سياسيا واقتصاديا فهي ، أنه بخروجه من مكة اليهم يمكنهم بقيادته شن الحرب على أهل مكة بل قطع خطوطها التجارية مع الشام التي تمر على المدينة » .

الحزب الهاشمي [ص ١٥٠] .

إن الاتفاق الذي تم في بيعة العقبة كان على أن يمنعوه ﷺ مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم ، وليس على قطع الطريق على قوافل أهل مكة وشن الحروب .

وما بدأت الغزوات من المدينة إلا بعد ترسخ الإيمان في قلوب المهاجرين ، والأنصار – الأوس والخزرج – بعد أن أذن اللّٰه للمسلمين جميعاً بالقتال دفاعاً عن وجودهم ورداً لحقوقهم .

ولقد ذكرت أن أهل المدينة هم الفرسان وأهل الحلقة سابقاً فهل كانوا بحاجة إلى زعيم قرشي لقطع التجارة على قريش ؟ ما هذا التناقض منك ؟ إن أعتى مؤلف روايات لا يستطيع تسخير النصوص لهواه بهذه الطريقة .

http://kotob.has.it

٣١

والادعاء أن النبي ﷺ كان يصانع اليهود فى قولك :

« فكان لا بد أن يعمل النبي حسابا لهذا الشعور فنرى النبي ﷺ يصانع اليهود مرة ، ويجادلهم مرة أخرى ، ويصبر عليهم حتى تحين الفرصة ، فيقلم أظافرهم ، ثم يرى نفسه آخر الأمر مضطرا إلى التخلص منهم نهائيا » . الحزب الهاشمي [ص ١٥١] .

فإنه يظهر منه كلام « جولد تسهير » جلياً الذي ادعى أن توجه الإسلام اختلف بعد الهجرة .

فهذا أسلوب لا يليق أن يطلق على رسول اللّٰه ﷺ ، ولوكان الأمر كذلك لصانع من كان أخطر منهم في مكة .

وكذلك لا يمكن إطلاق لفظ المصانعة على الآيات القرآنية من باب أولى .

ولكن ما لم تفهمه أنت هو أن دعوتهم فى بادئ الأمر كانت بالحسنى ، فلما أظهروا المكر والخداع جرياً على سنتهم مع الأنبياء أقيمت عليهم الحجة فلما ناصبوا رسول اللّٰه ﷺ العداوة وحاربوه حاربهم رسول اللّٰه ﷺ مثل ما حاربوه .

٣٢

إنك ترى أن الاتفاق الذي تم بين الرسول ﷺ والأنصار إنما كان لإنشاء دولة فقط حيث تقول :

« أما المهمة الجليلة والعظمى فكانت قيام النبي « صلى اللّٰه عليه وسلم » بانشاء نواة لدولة عربية إسلامية في الجزيرة ، محققا نبوءة جده : إذا أراد اللّٰه إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء » . الحزب الهاشمي [ص ١٥٣] .

http://kotob.has.it

وهذا خطأ يضاف إلى ثروة أخطائك السابقة ، فالوثيقة التي أبرمت كانت على أمة فيها المهاجرون والأنصار ، وإن القـراءة الدقيقة لهـذه الوثيقة تثبت سماحة الإسـلام والاهتمام بالأمة أكثر من الاهتمام بإنشاء دولة ، فلا داعي إذن للربط بينها وبين مقولتك الأولى :

« إذا أراد الله إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء » .

علماً أن هذه المقولة لم تذكر لها أصلاً أو مصدراً معتمداً ، ومع ذلك بنيت عليها كل كتابك « الحزب الهاشمي » .

٢٣

والأعجب من كل ما سبق أن تختم الكتاب ببيتين مزعومين وضعا على لسان يزيد بن معاوية :

« مشاعر عبر عنها لسان يزيد بن معاوية الأموي « منسوبا إليه عن قصيدة طويلة لابن الزبعري » :

لعبت هاشـم بالملك فلا | خبر جاء ولا وحي نزل »

أو كما أورده ابن كثير :

لعبت هاشـم بالملك فـلا | ملك جاء ولا وحي نزل

الحزب الهاشمي [ص : ١٥٤] .

فلعلها تلخيص لفحوى الكتاب .

وفـوق هـذا وذاك إدخال آراء المحللين وإدراجهـا في بعض الروايات حتى تصل إلى أن الدين إنما هو تطـور تدريجي يعكس واقـع الحيـاة وليس دنياً منزلاً من السماء .

http://kotob.has.it

يا هـذا .. لقد ابتدأت الكتاب بمقولة مجهولة منسوبة إلى عبد المطلب : « إذا أراد اللّٰه إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء » ، وختمته بتلك المقولة المنسوبة إلى يزيد ، فكانا كالقوسين وضعت بينهما تلفيق الحزب الهاشمي ، والأمر لا يعدو فى رأسك إنشاء دولة وليس ديناً ... فاللّٰه تعالى حسيبنا فيك .

❑ ❑ ❑

http://kotob.has.it

قراءة لفكر « سيد القمني » في كتابه
« حروب دولة الرسول ﷺ »
الجزء الأول

١

يقول المؤلف : ☚

« وبالإيلاف وللإيلاف ، كان يتم توزيع المكاسب بشكل تناسبي ، بما يضمن حماية طريق الإيلاف من إغارة البدو ، وتأمينه لمصلحة الجميع ، وهو ما يقول فيه « المسعودي » موجزاً : « وأخذت قريش الإيلاف من الملوك ، وتفسير ذلك الأمن » . حروب دولة الرسول [ص ١١] .

فهل الإيلاف كان مع الملوك من غير العرب ، أم مع القبائل العربية ، وأين هذا مع ما ذكرته من قبل بأن الحزب الهاشمي كان يستأثر بهذا الإيلاف ، ثم أين نصيب المدينة التي عدت ونفيت ذلك في صفحات سابقة بأنها لم يكن يصيبها شيء من التجارة لانشغالها بالحروب ؟!!

وهم أهل الحرب والحلقة ألم يكونوا قادرين على إزعاج تلك القوافل .

http://kotob.has.it

٢

« وقد هيأ مكة للقيام بهذا الدور التاريخي ، مجموعة متسارعة من الأحداث . وظروف تلاحقت لتراكم على صفحة المنطقة وتتوزع على خريطتها ، حيث كان مركز اليمن الزراعي والتجاري قد تهاوى قبل العصر الجاهلي الأخير بزمان ، بينما تضعضعت أحوال الممالك العربية الشمالية « الغساسنة والمناذرة » في العصر الجاهلي الأخير ، قبل الإسلام بفترة وجيزة ، ووقعت تحت الاحتلال المباشر من الفرس والروم ، وهو ما أحدث – ولاشك – فراغاً سياسياً في المنطقة الممتدة من سواحل المحيط الهندي جنوبا ، وحتى الخط الفاصل بين الإمبراطوريتين في بادية الشام شمالاً » . حروب دولة الرسول [ص ١٢] .

وهل كانت للغساسنة والمناذرة مكانة مستقلة عن الفرس والروم ؟ أم هم أمراء للروم والفرس ، ثم هل امتد سلطانهم إلى داخل جزيرة العرب والعرب لم تكن تدين لغيرهم ، والدليل قتل عمرو بن هند لعمرو بن كلثوم .

فأي فراغ سياسي حصل بالمنطقة ؟ لم يكن هناك فراغ ناتج عن ضعف الغساسنة والمناذرة .

فهم أصلاً لم يملؤوا شيئاً . وأما تضعضع سكان اليمن فأمر لا نسلم به ، فالزراعة كانت بالأمطار أفضل حالاً من الحجاز ، وتجارة الشرق كانت تمر عبر اليمن ، فهذا تحليل منك ناقص وملفق كعادتك فى غيرها .

http://kotob.has.it

٣

« وإضافة إلى الإيلاف بعد التقريش ، تمكنت مكة ، على المستوى الداخلي للجزيرة ، من استقطاب القبائل المتناثرة في الباطن والأطراف لسوقها المركزي ، بتكتيك تدفعه المصلحة يتجاوز المفاهيم الدينية القبلية المتعصبة ، فقامت تستضيف في كعبتها أرباب قبائل الجزيرة على تعددها وتناقضها ، تلك الأرباب التي كانت في نظر أصحابها أسلافاً صالحين ، وكان الرب هو جد القبيلة » . حروب دولة الرسول [ص : ١٤] .

من الذي أتى بالأصنام ، هل قصي صاحب الإيلاف أم عمرو بن لحي ؟ فعمرو بن لحي هو الذي أتى بالأصنام قبل سيادة قريش بمكة ، وقبل الإيلاف من أصله كما يذكر كتاب السير .

فلا يعد هذا تكتيكا من أجل التجارة أو غيره ، وإنما لما كان لدى العرب من بقية دين إبراهيم - عليه السلام - من تعظيم البيت ، وأيضاً هذا تركيب لأمرين بصورة غير جيدة للخروج بنظرية روائية لا أصل لها .

٤

ويقول : [redacted] « ونرى من واجبنا هنا التوضيح - حتى لايختلط الأمر - حيث كان بنو عبد مناف وبنو عبد الدار أبناء لقصي سيد مكة - المتقرشة - الأول والمطلق النفوذ ، والأكثر مالاً ، وكان طبيعياً أن يكون ورثته في مقدمة قريش البطاح ، وليس كما ذهب « دلو » لكون وفرة مالهم الأساسي كانت من التجارة ، وإنما لورثتهم ألوية التشريف والسيادة عن سلفهم « قصي » ، مما أعطاهم فرصة الحصول على النصيب الكامل من المكوس الجمركية لبضائع الترانزيت المارة بمكة ،

http://kotob.has.it

وهي الألوية التي يشرف كل منها على لون من الخدمات المأجورة ، التي كانوا يؤدونها للتجار المارين بمكة بقوافلهم ، والتي حملت أسماء ألوية التشريف التي نظمها « قصي » ، للحصول على النصيب الأعظم من المكوس ، وتمثلت في « السقاية ، والرفادة ، والحجابة ، والسدانـة ، واللواء ، والندوة .. الخ » . والاعتراض من جانبنا يقوم على حجة أن تلك المرحلة كانت قبل انتقال قريش إلى مرحلة التجارة لحسابها ، إلا أن إشـارة الكاتب « دلو » ، التي تؤكد أن الوضـع المالي لأبناء القبيلة ، قد أصبح يحتل الموقع الأول من الاعتبار ، فهو الأمر الذي لا يمكن النزاع حوله .

ومع ذلك الثراء الذي أصابت حظوظه أفراداً من عشائر مكية مختلفة ، ومع تحول هؤلاء النفر عن قبض العشور إلى التجارة لحسابهم ، ومع حجم تلك التجارة الهائل ، كان طبيعياً ، بل كان محتماً ، أن تبدأ الانقسامات الطبقية الحادة في الظهور بوضوح داخل القبيلة الواحدة » .

حروب دولة الرسول [ص ١٦ - ١٧] .

لم يذكر لنا التاريخ أن هذه الألوية كانت مغنماً ، فبالرغم من أنها تشريف فهي مغرم ، فالرفادة هي إطعام الحاج ، والسقاية سقايتهم ، والحجابة الاحتفاظ بمفتاح الكعبة . فأين المكوس التي تعود على أصحاب الألوية ؟!

ثم الادعاء أن الانقسامات الطبقية ظهرت مع حجم التجارة الهائل فلم نكن نعلم أن هنالك حدوداً للطبقات كانت موجودة ، فكانت الطبقات متداخلة ، وموزعة على مختلف القبائل . بل كان كل ذي مال وإن قل يستطيع أن يوظفه لدى التجار من قادة القافلة ويحصل على نصيبه . فالقافلة كانت خيرا يعود على الجميع وإلا لما امتن الله على قريش كلها .

http://kotob.has.it

٥

ويواصل : « ولكن بعد التطور السريع ، واستقرار أكثر القبائل ، خاصة القوية ، على الطريق التجاري الرئيسي ، أو الطرق الفرعية ، وظهور الفوارق الطبقية الحادة داخل القبيلة ، لم تعد القبيلة مسئولة كل المسئولية عن الفرد فيها ، وبدأت تظهر حالات خلع الأفراد الذين يمكن بحمقهم جلب الضرر للقبيلة التي شرعت في الاستقرار » .

حروب دولة الرسول [ص ١٨] .

إن ظاهرة الخلع والولاء ليست مرتبطة بالنمو الطبقي فهي سابقة للإيلاف ، فلم تكن بمكة فقط بل حتى في وسط الجزيرة، فربطها بالتمييز الطبقي والمصالح التجارية من قبيل التفسير الخاطئ لها .

ومن قال إن القبائل القوية كانت على طريق القافلة ؟ فأين القبائل التي سكنت نجد ومنها تميم وبنو حنيفة وأكثر ربيعة فهم لم يكونوا على طريق القافلة وهم أشد القبائل .

٦

ويقول : « وهكذا أمسى ممكناً أن تجمع المصالح بين أصحاب الثروات على تفرقهم بين قبائل مختلفة وعلى أن يجمع الشقاء بين المستضعفين على تفرقهم بين قبائل مختلفة ، وهو مايشهد عليه بدء ظهور تجمعات أكبر من القبيلة ، تمثلت في أحلاف يأتينا خبرها في أسمائها عبر كتب السير والأخبار ، مثل حلف ذي المجاز وتنوخ ، وحلف قريش والأحابيش ، وحلف الفضول ، وحلف المطيبين ، وحلف لعقة الدم ، وحلف الأحلاف ، وحلف الرباب ، وحلف الحمس .. الخ » .

حروب دولة الرسول [ص : ١٨] .

http://kotob.has.it

إن الاستدلال بالأحلاف التي ذكرتها استدلال باطل ، فقد كانت الأحلاف إنما تكون بين القبائل وليست بين الطبقات ، فكان ينبغي حسب التفسير الطبقي أن تكون الأحلاف بين الفقراء ضد الأغنياء .

ولا ينفع مع هذا استدراكك بأن المحتوى الطبقي اختفى بالشكل العشائري فإما عشائرية ، وإما تفسير ماركسي للتاريخ . ثم هل كان حلف الفضول إلا لنصرة المظلوم ؟ فلماذا تخلطه مع غيره وتقرنه به وكان أعظمها وأقواها .

٧

ثم يقول : « وإن كان من العلمية التوضيح أن ذلك الانقسام بدوره لم يكن تام التحديد بفواصل قاطعة مانعة ، بل كان يتضمن بعض التداخل الطبقي بين العشيرتين ، فضمت الطبقة الثرية أفراداً من هاشم ، مثل العباس بن عبد المطلب ، وأبو لهب « عبد العزى » ، يشاركون أمية المصلحة الطبقية ، ولذلك فإن المحتوى ، وإن تغير، فقد ظل يتخفى بأردية عصبية النسق ، وظل الشكل القديم محافظا مع تغير المحتوى ، لقد كانت المرحلة مرحلة بدء ، بدء تحول ، بدء طور انتقالي » .

حروب دولة الرسول [ص ١٩] .

إن التفسير الذي ادعيته مردود عليك فلم تكن مكة لا تحوي سوى بني هاشم وبني أمية ، فأين بنو مخزوم ومنهم أبو جهل ، وعدي ، وتميم ، فما استقام لديك التقسيم الطبقي ولا التقسيم العشائري ، فجعلت العلاقة كلها تدور بين بني أمية وبين بني هاشم ، مع أن أعدى أعداء الرسول لم يكن من بني أمية ، بل هو من بني مخزوم وهو أبو جهل بن هشام . ونسيت أن أحد السابقين

http://kotob.has.it

إلى الإسلام كان من بين بني أمية ، وهو سيدنا عثمان رضي اللّٰه عنه . وكان أعدى أعداء رسول اللّٰه أبو لهب وهو من بني هاشم .

٨

ويقول : « فاستبطن المحتوى الجديد ، داخل فكر قديم ، لكن فقط للمسامرات الفكرية ، والندوات الديوانية ، والممارسات الطقسية ، والتبريرات النفعية ، دون إيمان حقيقي ، فعلى المستوى الواقعي ، أمسى ظاهراً رفض العربي وخاصة المكي ، لكثير من المعجزات الميتافيزيقية القديمة ، خاصة إذا ما كان ذلك المكي من الطبقة الثرية الأرستقراطية ، المترفة والمتحققة ، حتى أصبحت تلك الميتافيزيقا القديمة في مأثورها الجديد ، على لسان الصفوة التي أتاحت لها الثروة التزود بالثقافة الحضارية في مدارس الإمبراطوريات وجامعاتها ، مجرد أساطير الأولين ، وما كان يتم استدعاؤها عن قناعة ، بل من باب التخديم على المصالح المادية ، ولم يعد الفكر الديني ومفاهيمه ، سوى أسلوب لتسيق المكاسب ، ومطية لمنافع مادية بحتة .

ومن ثم تخبرنا صدور كتب السير والأخبار، بتسامح مطاط في قبول أي دين وأي معتقد ، مهما بدا شاذًا وغير مألوف ، شرط أن يكون دافعاً لمزيد من الحضور التجاري ، أو على الأقل شرط ألا يكون متضارباً مع المصلحة التجارية ، وكان أمراً مفروغ الحدوث ، أن يبلغ ذلك التناقض مداه على كافة المستويات » . حروب دولة الرسول [ص ٢١] .

ألا يتناقض ما ذهبت إليه في هذه الفكرة بأن هذا التسامح المطاط المدّعى ضد الشعور القومي الناشئ لدى الأحناف بضرورة توحيد اللّٰه كما في كتابك « الحزب الهاشمي » والتي اعتبرتها توجهاً قومياً .

http://kotob.has.it

والأعجب من هذا أنك نسبت المترفين الذين دخلوا جامعات الإمبراطوريات بالصفوة الذين أصبحوا يعدون الدين أساطير الأولين ، ولم يكن يتم استدعاؤها إلا من باب التخديم للمصالح المادية ، فأين هذه الجامعات المزعومة ؟ وهل وصل الأعراب في ذلك الزمن إلى الرقي الذي وصل إليه العلمانيون اليوم ، من أن الفكر الديني ليس سوى أسلوب لتنسيق المكاسب .

أليست هذه العبارة بصورة أو أخرى موافقة لقول ماركس وأتباعه من الملاحدة : إن الدين أفيون الشعوب . ثم انظر إلى هذا الإطراء لمعتنقى هذا الفكر بأنهم الدارسون في المدارس الحضارية ، ولذلك أصبحوا يعدون الرسالات السماوية من الأساطير .

وأيضاً كان من شروط المثقف المتحضر عندك هو عدم الإيمان بالميتافيزيقيا ، ومن المعلوم أن الميتافيزيقيا هي ما وراء الطبيعة بتعبير الفلاسفة ، وما نسميه نحن المسلمين بالغيبيات ، ويدخل في ذلك : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، فحتى تكون مثقفاً متحضراً يجب ألا تؤمن بهذا وهو أسلوب العلمانيين .

٩

ويقول : — « كذلك كانت فئة المضطهدين والمعدمين والعبيد ، في حالة رفض نفسي وعقلي لأرباب لاتعدل في تقسيم الأرزاق ، ومن ثم كان رفض تلك الأرباب لدى المضطهدين ، قناعة مهيأة للإعلان العملي السافر . وقد برز الاعتقاد المكي في إله واحد فوق أرباب القبائل وأسلافها المتعددين ، الواقفين في فناء الكعبة ، وأمسى معترفاً به

http://kotob.has.it

بشكل نهائي في العصر الجاهلي الأخير ، وهو ما قررته بعد ذلك آيات القرآن الكريم في نصوص كثيرة متعددة .

لذلك ظل التشرذم القبلي قائماً ، وجنين الوحدة المقبلة لعرب الجزيرة في حالة إرهاص ومخاض ، دون ميلاد حقيقي ، يجمع العرب جميعا في مصلحة واحدة ، ووحدة قومية جامعة في ظل إله واحد ، ولذلك انتشر الاعتقاد في مهمة باقية لهذه الأرباب القبلية المتفرقة ، وهي التشفع لأتباعها لدى الإله الواحد ، واتخاذهم إليه زلفى وتقرباً ، وهو ماكان - على المستوى النفسي - إخضاعا داخلياً ذاتيا للقبائل ، لملأ مكة وسيادة ذلك الملأ ، عن طريق الاعتراف بسيادة إله الملأ على أرباب القبائل ، وقد صورت آيات القرآن الكريم ، المعنى الذي انتهى إليه أرباب القبائل بتصوير بليغ ، يليق بصدق الوحي الكريم ، وتطابقه مع واقع مكة والجزيرة ، دون تفاوت ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ [الملك : ٣] بقول يأتى على لسان المشركين : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] . حروب دولة الرسول [ص : ٢٢] .

ونقول لك :

أولا : الدعوة لم توجه للمضطهدين فقط ، وإنما هي دعوة عامة ، ويكفي أن تعلم أن أوائل المسلمين هم سادات قريش : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد اللّٰه ، وأبوعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد .. ثم تتالى الآخرون من موالي وغيرهم .

والعشرة المبشرون بالجنة ، خمسة منهم من أثرى أثرياء المسلمين ، فالمال في الإسلام ، ليس عيباً في حد ذاته ، ولكن طريق اكتسابه هو المهم .

http://kotob.has.it

ثانياً : وأما ادعاؤك بأن الاعتقاد المكي ترسخ باعتقاد إله واحد فوق أرباب القبائل ، وأصبح أمرا معترفا به . فنقول : هل أنكر القرآن عليهم أنهم لا يعرفونه سبحانه ، أم أنكر عليهم عبادة أرباب من دونه ، وهو الشرك .

ثالثاً : وأما الاستدلال بآية ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ فهل الإنكار هنا على التقرب إلى اللّٰه الذي حاولت جاهداً حصره بالشفاعة ، أم أن الإنكار على صرفهم للعبادة لغير اللّٰه من سجود وذبح وغير ذلك . أو لم ينكر عليهم القرآن في آيات أخرى أنواعاً من الشرك ؟ فالأمر لم يقتصر على حد يسير من شركهم ، وإنما وصل إلى الشرك الأكبر الجلي الظاهر الذي فيه تسوية معبوداتهم مع اللّٰه سبحانه في العبادة ، ولذلك أنكروا الدعوة إلى التوحيد كما في قوله تعالى عنهم : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص : ٥] وكما في قول اللّٰه حكاية عن قول المشركين : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء] .

وأما الإخضاع الداخلي لإله الملأ من قريش لجميع القبائل فما هو الإثبات لديك بأن بقية العرب لم تكن تعرف اللّٰه ، أو أنهم كفرة باللّٰه وليسوا مشركين . فهذا تحليل عجيب . ثم ما هو دخل القومية في الأديان ؟ ألا تعلم أن مؤسسي القومية العربية المعاصرة كانوا من النصارى في الشام ؟ وهل يفرق القومي بين دين ودين ؟

http://kotob.has.it

ويقول : ■ « ومثل ذلك الانتماء كان كفيلا بجعل أمر قيامه بدفع الأمر نحو غايته ونضوجه لصالح الطبقة التاجرة ، أمرا غريبا لأول استطلاع ، لكنه يعود طبيعياً تماماً ، إذا ماتذكرنا أن النبي عليه الصلاة والسلام ، كان من مكة ، ومن قريش تحديداً ، دون سائر قبائل بلاد العرب ، واذا وضعنا في حسباننا الظرف الذي كان يدفع الحراك نحو غايته ، تلك الغاية التي لم تعطلها دعوة النبي بل دفعتها حثيثاً نحو نتائجها المنطقية ، مع اعتبار الخبرة النبوية في الطفولة والصبا بالشظف والإملاق ، في وسط طبقي هائل التفاوت ، ثم خبرة أخرى بحياة الدعة والطمأنينة بعد الزواج من أم المؤمنين ، السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وكانت إحدى نساء قريش الثريات المعدودات ، وهو الزواج الذي كان عاملا ضمن عوامل ، لانتقاله إلى انتماء جديد ، لكنه انتماء خبر القديم ، وأحس به حرمانا واستضعافا وهوانا لا ينسى ، فكان الدفع نحو إلغاء تلك القسمة المجتمعة بداية ، والتي بدأت تحنفاً وتقشفاً وتعبداً في حراء ، رغم النعمة ، على طريقة طائفة الحنفاء الذين انتشروا في الجزيرة العربية ، وفي مكة خاصة ، في العصر الجاهلي الأخير ، يدعون إلى التوحد وإلي التوحيد وإلى المساواة وإلى العدل الاجتماعي » . حروب دولة الرسول [ص ٢٤] .

إنها سقطة لم يقع فيها أبو سفيان قبل أن يصبح مسلماً ، فحينما علم بزواجه ﷺ من أم حبيبة قال : « هو الفحل لا يجدع أنفه » بل وكانت قريش تسميه الصادق الأمين ، وارتضته حكما في وضع الحجر عند بناء الكعبة .

http://kotob.has.it

وأما عن القوة الجسدية فصرعه لركانة أقوى مصارع في قريش ، يظهر أن ليس فيه ضعفاً ، وأنه أوتي من القوة الجسدية مايفوق أعظم الناس قوة . ثم أصبح الظرف هو الدافع للحراك والتغيير . فالتغيير كان لظروف اجتماعية ، حتى النبوة والرسالة أخضعتهما لهذا الحراك وصراع الطبقات ووسائل الإنتاج ، لم لا ، إذا كان الفكر الماركسي يرى التطور يطال حتى الأديان التى ينكرها من أساسها .

١١

ويواصل قوله : أما المنهج الأمثل الذي كانت تطلبه الأحناف لتحقيق التوحد ووحدة الأعراب وقبائلها ، فهو التوحيد الربوبي ، والدعوة بدعوة الإله الواحد ، والسبيل إلى تحقيق ذلك ، فيما ذهبوا إليه ، نقرأه في ملل الشهرستاني بلسان الحنفاء وهم يقولون :

إننا نحتاج في المعرفة والطاعة إلى متوسط من جنس البشر ، تكون درجته في الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانية ، ويلقي إلى الإنسان بطرف البشرية .

وهم بذلك إنما يطلبون النبوة ، ولابد للوحدة السياسية من توحيد علوي يتمثل في سلطة إلهية واحدة موحدة عبر نبي عربي ، وهو ما يظهر واضحا في قراءة « أحمد إبراهيم الشريف » لواقع الجاهلية الأخيرة قبل الإسلام مباشرة في قوله :

والدليل على أن الجاهليين كانوا يتطلعون إلى نظام جديد ، أنهم كانوا – حسب تفكيرهم – يتحدثون عن علامات ونذر تنبئ عن قرب ظهور نبي منهم ، وقد روى القدماء معجزات ونذراً قالوا : إنها وقعت قبل ظهور الإسلام إرهاصاً به ومنبئة بقرب ظهوره ، وتلك الروايات – إن صحت !! – كانت دليلاً على أن الجاهليين تطلعوا إلى الإصلاح ،

http://kotob.has.it

وإلى ظهور مصلح من بينهم ، وكان الإصلاح قديما لا يتأتى إلا على أيدي الحكماء والأنبياء ، وهذا التطلع الطبيعي في كل جماعة إحساس ضروري يسبق كل حركة إصلاحية ويمهد لها ، وكانت البيئة مستعدة لقبول النظام الجديد ، لأنها بيئة لها وحدتها المميزة ، من الناحية اللغوية ، ومن ناحية الجنس .. وكان من المتوقع لو لم يظهـر الإسـلام أن يدخل العرب في إحـدى الديانتين « المسيحية أو اليهودية » لولا أنهم بدأوا نهضة قومية ... لذلك يريدون ديانة خاصة يعتبرونها رمزاً لقوميتهم .. ديانة تعبر عن روح العروبة وتكون عنواناً لها ، لذلك بحث عقلاؤهم عن الحنيفية دين إبراهيم الذين كانوا يعدونه أبا لهم » .

حروب دولة الرسول [ص ٢٥] .

لو كان التحليل الذي ذهبت إليه ، هو بحث عن دين يعبر عن روح العروبة لما لجؤوا إلى دين إبراهيم عليه السلام ، فإبراهيم ليس عربيا وإسماعيل ليس عربياً ، حتى أن اسميهما ممنوعان من الصرف للعُجْمَة والعلمية كما يقول النحاة . فهل يستنكفون عن اليهودية والمسيحية وهما دينا أبناء إبراهيم ليعودوا إليهم مرة أخرى لو كان التحليل القومي يفيد في هذا الموضوع .

ولا تنس أن العرب ظلت تفرق بين العرب العاربة والعرب المستعربة كما ذكرت في كتبك السابقة .

فإن لم يكن هو الحق فما كان أغناهم عن أن يسقطوا في سقطة قوية حسب الدين القومي الذي تريد أن تثبته .

ثم إذا كان فهمهم للدين فهماً قومياً فما هو دخل بلال وسلمان وصهيب وغيرهم من غير العرب ؟ ولماذا آمن غير العرب بالإسلام وهم أكثر من ٩٠٪ من تعداد المسلمين ؟ وملكت الأتراك زمام الحكم فلماذا لم ينبذوا الإسلام

http://kotob.has.it

لأنه دين قومي عربي ؟ ولماذا حتى اليوم يدافعون عنه ضد الحكم الماسوني العلماني في تركيا ؟ ولماذا لم يعد الفرس لدينهم بعد أن حكموا أنفسهم ؟ وكذلك المغول والهند والأفارقة . إن هذا تحليل ساقط يكذبه الواقع .

١٢

ويقول : « أما الأكثر دلالة ، ويضاف إلى مجموعة الإفادات السابقة ، في رصيد الإجابة عن السؤال المطروح المستغرب ، هو أنه رغم عدم إفادة المصادر الإسلامية بوضع رجال الدين في مكة فإن تلك السدانة جاءت بدورها غير واضحة كما لو كان الغموض مقصودا بكتبنا الإخبارية ، ولم يبن بتلك الكتب ما إذا كانت السدانة طبقة بالمعنى المفهوم عن رجال الدين ؟ وإن كان ما يفسر ذلك الغموض هو ارتباط الدين بالتجارة ، مما جعل قريشاً تحوز جميعها قداسة رجال الدين بالنسبة لسائر أعراب شبه الجزيرة ، وإن وجدنا وسط تلك الضبابية مجتهداً معاصرًا ، يعلمنا أن ذلك المنصب الديني كان متوارثاً في البيت الهاشمي تحديداً ، ثم من بعده في البيت المطلبي بالذات » .

حروب دولة الرسول [ص : ٢٦] .

إن ادعاءك بأن السدانة كانت في بني هاشم فهي في بني شيبة إلى اليوم ، وحينما فتح رسول الله ﷺ مكة ، طلب عليّ بن أبي طالب أن يجمع لهم السدانة والسقاية . فقال المصطفى ﷺ : هذا يوم بر ووفاء . ونزلت الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] .

فادعاؤك أن سيادة بني هاشم قامت على الأمر المتوارث أمر مجاف للواقع .

ثم إن تربية عبد المطلب في يثرب التي كان ينتشر فيها فكر أهل الكتاب

http://kotob.has.it

لا تدل على الحنيفية من قريب ولا من بعيد . وحسبك أن التوراة لم تذكر شيئا عن إبراهيم وإسماعيل وأبنائهما من العرب . فلو كان ما ذهبت إليه صحيحا لاعتنق عبد المطلب اليهودية .

ولم نعرف أن حنيفيًا واحداً ظهر في المدينة - التي تصر على تسميتها يثرب - مع ورود الأحاديث في النهي عن تسميتها بذلك . ولم يأت توضيح - كما تريد - عن السدانة وعن رجال الدين ؛ لأنه لم يكن هناك دين وإنما خليط من الأوهام والشرك ، عدا الأحناف ، فلا غموض مقصود ولكن بحثك عن مقصود في ذهنك دعاك إلى ادعاء الغموض ، كما قلت : إن السدانة كانت في بني هاشم دعماً لفكرة الحزب الهاشمي التى ولدت فى رأسك والتى هى فى حقيقة الأمر فكرة متهاوية ، علماً أن السدانة لم تكن بأيديهم .

١٣

ثم يقول : « ثم ما كان أكثر نكاية للملأ ، برفض الدعوة لقواعد التجارة السارية ، بعد أن خبر النبي في تجاربه السابقة وتجارته ، ما تؤدي إليه هذه القواعد من تعطيل وتجميد للحركة التجارية ، عند حدود المكاسب الأكثر عائدية للأرستقراطية المكية وحدها ، فقام يهاجم كنز الذهب والفضة وتعطيلهما عن أداء دورهما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتنديده بلا هوادة بالربا والمرابين لدورهما في سحق صغار التجار بغرض تركيز الثروة بيد فئة لا تؤدي للمجتمع خدمات منوطة بوضعها السيادي ، ثم ما يؤدي إليه الربا في النهاية من استرقاق المدين ، وهو ما يلقي بأيد مسحوقة لعمل غير مأجور ، وكان لا بد أن يسفر الأمر عن جفوة فعداء جهير ، أدى بالنبي ﷺ

http://kotob.has.it

إلى وجهة أخرى مرحلية ، على خطوات الطريق الاستراتيجي الطويل ، تحول بموجبها نحو المستضعفين وهم دوماً مادة الحروب لمصالح الطبقات المسيطرة ، ومادة الانتقال الثوري لمصالح طبقة غيرهم والمعدمين والعبيد ، يدعوهم إلى النسب ، وامتلاك كنوز كسرى وقيصر ، التي تتضاءل أمامها كنوز الملأ ، وإلى الشرف والكرامة ، لتشكيل نواة أولى لأمة جديدة واحدة من دون الناس » . حروب دولة الرسول [ص : ٢٩] .

لم يتحول ولم يثبت قط أن المصطفى ﷺ تحول من دعوة الأشراف إلى المستضعفين ، وكما ذكرت لك أن غالبية أوائل المؤمنين والمهاجرين من سادات قريش ويكفي للدلالة على هذا مصعب بن عمير الذي كان يعسوب مكة إذا سار في طريق انتشر عطره وشذى رائحته فيكون دليلاً على سيره في الطريق .

ولا ينفع في هذا المقام التحليل الطبقي الماركسي لا من حيث سرعة استجابة الأغنياء ولا من حيث دخولهم في المعارك ، ويكفي أن أول معركة قدم فيها المصطفى ﷺ أبناء عمه قبل غيرهم [١] . ولو كانت الطبقات التي أشرت إليها بأنها مادة الحروب لمصالح الطبقات لدفع بالموالي فداء لأهله .

---

(١) روى عن الإمام على رضى الله تعالى عنه فى غزوة بدر أنه قال : تقدم - يعنى عتبة ابن ربيعة وتبعه ابنه وأخوه ، فنادى : من يبارز ؟ فانتدب له شباب من الأنصار ، فقال : من أنتم ؟ فأخبروه ، فقال : لا حاجة لنا فيكم ، إنما أردنا بنى عمنا ، فقال رسول الله ﷺ : « قُمْ يا حمزة ، قُم يا على ، قُمْ يا عُبَيْدَة بن الحارث » فأقبل حمزة إلى عتبة ، وأقبلت إلى شيبة ، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان ، فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملنا على الوليد فقتلناه ، واحتملنا عبيدة .

أخرجه أبو داود [٢٦٦٥] وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٢٣٢١] : صحيح .

http://kotob.has.it

وفي موضع آخر تجعل الحروب مغنماً للفقراء ودافعاً لهم وسبب ثرائهم « المهاجرون الأنصار » وتارة تجعلهم سادة الحروب ، فلا دين ولا دوافع إيمانية ، إنما العامل المحرك هو المال والثروة جرياً على طرق التحليل الماركسي مخلوطة بفكر قومي غير سليم .

١٤

ويقول : [redacted] « وتبع تلك الخطوة خطوات متتابعات سريعة ، فتم تكثيف الهجوم المباشر على الأثرياء ، وتوعدهم بسوء المآل ، حتى أسفر الهجوم أحيانا عن ذم الثروة في ذاتها ، مع وعيد وإنذار بعذاب مقيم ، لمن يمارسون قواعد تجارية يجب تجاوزها ، ومن أجل سيولة ونضوج أفضل ، يسمحان بإشراك المجتمع كله في الحركة الاقتصادية ، فكان الهجوم على آكلي أموال اليتامى والمساكين ، وعلى احتكار مواد المعيشة الأساسية ، واستغلال الأرستقراطية لحاجة الناس من أجل ربح أقصى ، فسفه أمر من جمع المال وعدده متصوراً أن ماله أخلده ، غير عالم أن خلوده سيكون بالنبذ في الحطمة ، نار الله الموقدة ، مع النذير للمطففين الذين ما أغنى عنهم ما لهم وما كسبوا » .

حروب دولة الرسول [ص : ٢٩] .

إن الإسلام - كما تزعم - لم يهاجم الثروة بل هاجم طرق الكسب الخبيث . وحتى المذاهب الأخلاقية التي لا علاقة لها بالدين تحارب طرق الكسب الخبيث عن طريق أكل أموال اليتامى والمساكين ، والاحتكار والتطفيف في الموازين . فهل هذا يعتبر تكتيكاً أيضا ، كما ذهبت .

http://kotob.has.it

وهل عاد الإسلام وألغى حربه لهذه الوسائل بعد أن استقر . أم ظلت حرباً شعواء على طرق الكسب الخبيث إلى يوم القيامة .

فالتكتيك - كما هو معلوم - أمر وقتي ينتهي بانتهاء الغرض منه .

وأما سرد الآيات القرآنية مع تحريفها فأمر غير مقبول لقد قلت :

« فسفه أمر من جمع المال وعدده متصوراً أن ماله أخلده ، غير عالم أن خلوده سيكون بالنبذ في الحطمة نار الله الموقدة » .

والمقصود بها : الوليد ابن المغيرة الذي تكبر بماله وراح يغمز ويلمز عندما مرَّ المصطفى ﷺ .

١٥

ويقول عن « يثرب قبل الهجرة » :

خرجت قريش إذن - بعدائها للدعوة - عن قواعدها التي سنها الملأ ، وقَعّدَها الأسلاف منذ « قُصَي » ، في حرية الاعتقاد ، التي كانت تكفل سيولة الحركة التجارية ، وتضمن اكتظاظ الأسواق بالرواد على مختلف الملل ، ومن ثم أفصحوا عن رفض مبرم للدعوة الجديدة ولصاحبها ، واحتسبوها - عن غفلة - حلقة في تكتيك البيت الهاشمي ، لصالح إمساكه بعنان السلطة وإلغاء سلطة الملأ ، مما أدى بصاحب الدعوة إلى يأس مطبق من إفهام تلك الرؤوس المكية الصلبة . ولم يبق سوى البحث عن مكان آخر بعيداً عن مكة .

ولما كانت الأرض قد مهدت سلفاً ، ببرمجة هاشم في تحالفه مع أهل الحرب والدم والحلقة في « يثرب » ، وزواجه من البيت الخزرجي ، وما تبعه فيه عبد المطلب بن هاشم بزواج آخر يصادق على الحلف ،

http://kotob.has.it

فقد كانت الخئولة اليثربية مدعاة للمراهنة على نواة أخرى للدولة المقبلة خارج مكة في « يثرب » ، المدينة المنافسة الحقيقية لمكة .

ومعلوم أن علاقة مكة بيثرب كانت علاقة تنافسية ، لكن مع اختلاف عميق بين كليهما في التشكيل الاقتصادي والاجتماعي ، فبينما كانت التجارة هي عصب الاقتصاد المكي ، فإن أعمدة الاقتصاد اليثربي قد أضافت إلى عماد التجارة ، وزراعة الكروم والحبوب ، وكانت حبوب يثرب غذاء استراتيجيا لأهل مكة ، هذا مع نشوء الشكل الحرفي حيث تعاظمت صناعة السلاح إلى حد كبير وحققت اكتفاءها الذاتي ، مع فائض جيد للتصدير ، من سيوف ودروع وجحف ورماح وسهام ، ولباس حرب من خوذ للرأس لا تظهر غير عيني المحارب ، ودروع ذات سمات رومانية تغطي الجسد كله .

أما الشكل المجتمعي ، فرغم أنه كان أميل إلى الاستقرار كنتيجة مباشرة لحرفة الزراعة ، فإنه كان أقرب إلى القبلية المضطربة ، نتيجة التكوين الهجين لعناصر ذلك المجتمع ، لوجود عنصر غير أصيل العروبة والاعتقاد ، مثلته ثلاث قبائل يهودية كبرى ، هي قينقاع والنضير وقريظة ، بينما مثل العنصر العربي ، قبائل نازحة من اليمن ، هي قبائل الأوس والخزرج ، الذين حلوا على يهود يثرب ولم يجد اليهود في وجودهم غضاضة ، بل على العكس ، وجدوا فيهم تنشيطا للاقتصاد اليثربي ، وكأي تاجر سلاح ، كان لا بد من دسائس ، تؤدي إلى صراعات تورث الضغائن والثارات ، بين الأوس والخزرج ، لمزيد من التنشيط الاقتصادي » . حروب دولة الرسول [ص : ٣١] .

لقد احتوت هذه الفقرة على عدة مغالطات وهى :

١ - لقد اتجه المصطفى ﷺ قبل المدينة إلى الطائف يلتمس إسلام أهلها وأوذي أذىً شديدًا ، ولكنك تغافلت عن هذا الأمر لإثبات نظرية التكتيك الهاشمي والخؤولة اليثربية .

http://kotob.has.it

٢ - ذكرت أن حبوب المدينة كانت غذاء استراتيجياً لأهل مكة، والمدينة لا تصدر القمح بل التمر ، وقد ذكرت أن الحبوب كانت تأتيهم من مصر عن طريق ميناء الهجير . والهجير على الساحل ، والمدينة تبعد عن الساحل .

وكانت مكة تأتيها الحبوب من بادية الحجاز ، والتي كانت توزع الحبوب إلى المدن الحجازية إلى ما قبل خمسين عاما والمصدر الآخر هو اليمامة ، وقصة زعيم اليمامة الذي أسلم ومنع الحبوب عن مكة مشهورة .

٣ - وأما ما ذكرته عن صناعة السلاح التي أتقنها اليهود، فصناعة السلاح في ذلك الزمن ، كانت بدائية، من دروع وسيوف ونبال . وكانت تصنع بمكة أيضاً . وكان أحد الصناع خباب بن الأرت الذي كان حدادا يتقن صناعة السيوف ، وكان سعد بن أبي وقاص يتقن صناعة النبال كذلك وغيرهما كثير . وقد تغنى العرب بالسيوف اليمنية والهندية ولم يتغنوا بالسيوف اليهودية .

ولكن ماذا نفعل مع من ينكرون الحقائق ويصرون على إدخال تجارة السلاح في التفسير المادي للتاريخ . وقد ذكرت أن الأرض التي مهدت سلفاً ببرمجة هاشم في تحالفه مع أهل الحرب من الأوس والخزرج . فأي أرض مهدت ؟ فإن كان هناك تمهيد فهو من الله ، وما كان لهاشم علم بما سيحدث . فأي تخطيط لدى هاشم بلغ هذا المبلغ ؟ إنه الفعل الإلهي وحده الذي هيأ الأسباب مع عدم اعترافنا بهذا السبب ، فلولا اقتناعهم بالإسلام لما هاجر إليهم .

١٦

ويقول عن المستوى الفكري : ☚

« أما على المستوى الفكري ، فكان واضحا أن يثرب في اختلاف كبير عن مكة ، حيث أدت عوامل عدة، إلى تكون الفكر اليثربي بألوان جد مخالفة للفكر المكي ، فبينما كان الفكر المكي قد تجاوز مجموعة العقائد القديمة على مستوى جدية الاعتقاد وصدق الإيمان ، وتحولت العقائد عنده إلى أداة يمكن تخديمها لصالح المكاسب التجارية ، وتحولت قصص السالفين من أبطال وأنبياء إلى أساطير الأولين ، فإن وجود اليهود في يثرب ، مع كتابهم المقدس ، وحكاياتهم عن قدامى أنبيائهم ، وسلوكهم وفق شرائع محددة وضعها أولئك الأنبياء ، وضع التاريخ الديني ، والنبوي منه تحديداً ، موضع احترام بين عرب يثرب ، ناهيك عن النبوءة التوراتية المتواترة ، عن مجيء نبي آخر الزمان ، ليقيم لليهود دولتهم الغابرة ، التي سقطت وانتهى أمر يهودها بالشتات » .

حروب دولة الرسول [ص : ٣٣] .

إن زعمك بأن وجود اليهود بيثرب مع كتابهم المقدس هو الذى وضع التاريخ الديني والنبوي موضع احترام بين عرب يثرب ، فأقول : يا لها من مغالطة كبرى فابحث في التوراة وانظر ما كُتب فيها من قذف للأنبياء ومن اتهامات باطلة لهم ، حيث لم يسلم منهم نبي واحد بما حرفوا في التوراة .

ثم استنتاجك أن العرب اليثاربة حاولت تعقب آثار التوراة بالاستجابة للنبي المصطفى بما كان مخبوءا في رحم التوراة فكرة لا يصدقها الواقع ، بل هو الإيمان والدليل على ذلك أن اليهود كانوا هم الذين يستفتحون بالنبي كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم

http://kotob.has.it

مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩] ، وكانوا يهددون العرب به ، فأين الجو الذي كان مهيئاً وأين المستوى الفكري الذي شاع هناك كما زعمت . لقد كان اليهود يغذون مشركي مكة بأسئلة لإحراج المصطفى ﷺ مثل السؤال عن ذي القرنين والروح وغيرها . فعداؤهم وصل إلى المصطفى وهو في مكة . ألم يصل للأنصار وهم بالقرب منهم ؟ أليس هذا تلفيقاً ؟

١٧

ويقول : [redacted] « ثم كان التوحيد التوراتي مدعاة لاختلال عرب يثرب بالوثنية ، مما هيأهم لقبول فكرة التوحيد ، والإقبال عليها عندما جاءت عربية ، يدعو إليها نبي عربي ، يفاخرون به اليهود الذين طالما تفاخروا عليهم بتاريخهم النبوي ، وكتابهم المقدس . هذا فضلاً عن تواضع النضوج الاقتصادي والاجتماعي في يثرب ، مقارناً بما حدث في مكة ، فبينما أصبحت الأفكار الدينية في مكة وسيلة لمزيد من الارتزاق ، فإن العكس كان عند عرب يثرب ، حيث كانت الحرمات التي فرضها السلوك اليهودي ، تمهيدا طيبا لقبول عقيدة إيمانية توحيدية ، ليس فقط لتحقيق أهداف بعينها ، بل بنفوس تأثرت بالتراث الديني التوراتي حولها ، مما جعلها أكثر قبولا لتصديق الدعوة وتقديس الإيمان ، هذا إضافة إلى الثراء الفكري ، الذي صاحب ذلك المناخ ، وسببته متاخمة يثرب للمناطق الحضارية العريقة في الشمال ، على حدود الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية » . حروب دولة الرسول [ص : ٣٤] .

http://kotob.has.it

إذا كانت الفكرة قومية -كما تقول - فلِم لَم تتقبلها قبائل الأوس والخزرج ، وهي العرب العاربة باعتبار أصولهم اليمنية ، وهم أهل السيف والحرب ، والأموال والزراعة ، والحصون والآطام كما ذكرت . ألم يكن الأفضل لهم ادعاء النبوة لأنفسهم ؟ فكيف ينفرون من اليهود لأصلهم غير العربي ؟ ويتبعون نبيًّا عدنانيًّا إسماعيلي الأصل ؟ أليس هذا أفضل من اتباع نبي عدناني ؟

ألا ترى أن هذا الادعاء يناقض الفكر القومي للدين الذي تزعمه .

١٨

ويقول عن الهجرة :

« وإعمالاً لكل تلك الظروف ، يمكننا أن نقرأ ببعض الوعي، لقاء العقبة الأول والثاني بين رسول الله ﷺ وبين نقباء يثرب ، لنرى فيه وثيقة ميلاد الدولة وهي تدون في التاريخ ، باتفاق بين أخوال النبي اليثاربة ، وبين النبي الأمين ، والتي ظهرت في البدء كما لو كانت مجرد اتفاق دفاعي عن شخص النبي، حيث كان النبي في مكة ممتعاً ببيته الهاشمي ممن عاداه وخالفه ، وكان معنى الاتفاق على الهجرة إلى الأخوال ، هو الانتقال إلى حمى جديد ، يرفع الضغط عن الأعمام ، في شكل يظهر كَلون من الحماية ، وكان للأحداث دلالتها الصادقة ، التي تنطق بمدلولاتها في ذهاب « العباس بن عبد المطلب » عم النبي ، وهو بعد على دين قومه ، مع ابن أخيه ، للقاء اليثاربة سرًّا في العقبة الثانية ، وهو لم يذهب - فيما يقول الطبري - « إلا لأنه أحب أن يحضر أمر

http://kotob.has.it

ابن أخيه ويستوثق له ، وكان هو أول المتكلمين ، في هذا الاجتماع التأسيسي ، فقال :

« يا معشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزة في قومه ، ومنعة في بلده ، وقد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم وافين له بما دعوتموه إليه ، ومانعيه ممن خالفه ، فأنتم وماتحملتم ذلك ، وإن كنتم مسلميه وخاذليه بعد خروجه إليكم ، فمن الآن دعوه ، فإنه في عزة في قومه ، ومنعة في بلده » . حروب دولة الرسول [ص : ٣٤ - ٣٥] .

ادعيت في كلامك عن الهجـرة عن لقاء العقبة مع نقباء يثرب بأنه اتفاق بينه وبين أخواله ، ثم فسرت من وهمك وحللت من عندك بقولك : وكان مجرد اتفاق دفاعي ، والغرض منه الانتقال إلى حمى الأخوال ؛ لتخفيف الضغط عن حمى الأعمام .

نعم كان الاتفاق دفاعيا فقط . ولكنك لم تلتفت إلى العبارات التي ذكرها العباس ، وذكرها المصطفى ﷺ : « أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم » فهل نحتاج إلى تأويل بعد هذا التصريح ؟

وقول العباس : « وقد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم » فهل هذا تكتيك هاشمي أو وحي إلهي .

أما علمت أنه عرض نفسه على غيرهم من القبائل ، فاشترطوا أن يكون لهم الأمر بعده ، فرفض ، فلماذا تجاوزت هذه الروايات ولم تنقلها[1] .

---

(١) عن جابر قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة ؛ وفي المواسم بمنى يقول : من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة » حتى أن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه =

http://kotob.has.it

أظن أنه لن ينفعك بعد هذا ادعاؤك أن الحلف كان حربيا ؛ لأن المصطفى ﷺ وقبل غزوة بدر قال : « أشيروا عليّ أيها الناس » وتكلم المقداد بن الأسود وقال كلاما عظيماً ، فكرر المصطفى قوله : « أشيروا عليَّ أيها الناس » حتى قام سعد ، فقال : لعلك تريدنا يا رسول اللّه . فقال : « أجل » .

أليس هذا يؤيد التزام الرسول بالعهد السابق وهو المنع وليس الحرب ، ولم يزج بالأنصار في خوض المعركة إلا بعد أن شاورهم وقال سعد قولته المشهورة : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على

= من يثرب فآويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول اللّه ﷺ يُطرد فى جبال مكة ويخاف ، فرحل إليه منا سبعون رجلًا حتى قدموا عليه فى الموسم فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا : يا رسول اللّه ، نبايعك ، قال : « تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى اللّه لا تخافون فى اللّه لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » .

قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغرهم فقال : رويدا يا أهل يثرب فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول اللّه ﷺ وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على اللّه ، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة فبينوا ذلك ، فهو عذر لكم عند اللّه . قالوا : أمط عنا يا أسعد فواللّه لا ندع هذه البيعة أبدا ولا نسلبها أبدا ، قال : فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة .

أخرجه أحمد [٣/٣٢٢] ، والحاكم [٢/٦٢٤ رقم ٤٢٥١/٢٦١] ، وقال الذهبى فى التلخيص : صحيح ، وأخرجه البيهقى فى الكبرى [١٧٧٣٥] .

http://kotob.has.it

ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد .. »[1] .

(١) كان الأنصار قد بايعوا الرسول ﷺ فى بيعة العقبة الثانية على أن يحموه فى بلدهم ، ولم يبايعوه على القتال معه خارج المدينة ، لذلك اقتصرت السرايا التى سبقت بدراً على المهاجرين ، ونظرًا لوجود الأنصار مع المهاجرين ببدر وتفوقهم العددى الكبير فقد أراد الرسول ﷺ معرفة رأيهم فى الموقف الجديد . فكان أن شاور أصحابه عامة وقصد الأنصار خاصة ، وقد روى ابن إسحق خبر المشورة بسند صحيح قال :

« فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر ابن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أرَاك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له .

ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا علىّ أيها الناس ؟ » وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك ما نمنع منه أبناءنا ونساءنا .

فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم .

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

قال : « أجل » .

قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبر فى الحرب ، صُدق عند اللقاء ، لعل الله =

http://kotob.has.it

وكان هناك متسع من الوقت لدى الأنصار كي يعودوا قبل أن يلتحم الجيشان ، ولكن ماذا نصنع في التفسير المادي للتاريخ ؟ وماذا نصنع لأخذ نصوص وترك أخرى لإقامة نظرية مكذوبة لا يمكن أن تقوم إلا باستبعاد عنصر الإيمان والدين والوحي .

ولقد تناسيت في تحليلك دوافع الخروج الحقيقية وهي : استيلاء قريش ظلماً وعدواناً على أموال المهاجرين ، فأبو جهل اغتصب دار سعد بن أبي وقاص ، وسلب صهيبا الروميَّ مالَه ، وكذا بقية المهاجرين ، ومنطوق الآية التي أذنت في القتال تدل على ذلك : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج] .

= يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله . قال : فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه .

ثم قال ﷺ : « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم »(١) .

فلما رأى النبى ﷺ طاعة الصحابة وشجاعتهم واجتماعهم على القتال ، وحبهم للتضحية من أجل الإسلام بدأ بتنظيم جنده ، فأعطى اللواء - وكان أبيض - إلى مصعب ابن عمير ، وأعطى رايتين سوداوين لعلى بن أبى طالب وسعد بن معاذ ، وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة . السيرة النبوية الصحيحة [٣٥٨/٢ ، ٣٥٩] .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية [٢٦٢/٣ - ٢٦٣] من رواية ابن إسحق بإسناد صحيح .
وقال ابن كثير : وله شواهد من وجوه كثيرة ، فمن ذلك رواية البخارى ، والنسائى ، وأحمد ، ويشير ابن كثير إلى رواية البخارى ورواية الإمام أحمد لقول المقداد بن الأسود ، الفتح [٢٨٧/٧] ، ومسند أحمد [٢٥٩/٥] حديث رقم [٣٦٩٨] من ط أحمد شاكر .

http://kotob.has.it

فكل ما قامت به قريش لم تذكره ، وإنما ركزت على الدوافع الاقتصادية فقط ، ونسيت المناوشات والغارات الصغيرة التي كانت تقوم بها قريش على حدود المدينة فى غزوة بدر الصغرى وإتلاف الأملاك والمواشي .

١٩

وجاء في صفحة [٤٧] :

« والمثل المضروب في الآيات هنا ، عن أول ملك لبني إسرائيل ، رفاق الحلف الدفاعي في جماعة يثرب التضامنية ، وهو الملك المعروف في العهد القديم من الكتاب المقدس باسم « شاؤول » ، والوارد في آيات القرآن الكريم باسم « طالوت » ، وقد اختاره لهم في الآيات « نبيهم » غفلاً من أي تعريف ، وهي المعرفة التي يمكن الحصول عليها بالرجوع إلى الكتاب المقدس ، حيث يلتقي ذلك النبي تماماً ويتطابق مع شخصية القاضي الكاهن « صموئيل » ، وفي سفرين باسم « صموئيل » بالكتاب المقدس ، يمكنك العثور على كثير من التفاصيل بهذا الشأن ، حيث تعرض الإسرائيليون تحت حكم نظام القضاة الكهنة - وهو نظام قبلي يجمع الحكم الدنيوي مع الديني - لعدد من الهزائم ، أمام سكان الساحل الفلسطيني ، وكان مرجع تلك الهزائم كما هو واضح بتلك الأسفار ، نتيجة استمرار النظام القبلي ، الذي شتت الولاء بين اثنتي عشرة قبيلة « الأسباط » ، وأوقف تطور المجتمع القبلي الإسرائيلي نحو حكومة مركزية واحدة قوية ، وجعل جيشها مجموعات غير منظمة ولا موحدة ، تعود بولائها إلى متفرقات القبائل ، التي ربما تعود - أو لا تعود - إلى صلات قرابية بعيدة فيما بينها .

http://kotob.has.it

وخضـع « صموئيل » لضرورات الظـروف ، واختار لهم « شاؤول » ملكاً ، ليصهر القبائل جميعا في وحدة واحدة ، وشعب واحد ، بقيادة حكومة واحدة ، لها جيش واحد ، وبالفعل – حسبما تخبرنا رواية التوراة – تمكن «شاؤول» ومن تبعه من ملوك مباشرين « داود وولده سليمان » من صهر تلك القبائل المتفرقة في كونفدرالية واحدة ، وتمت مركزية الحكم ، التي انتهت بتفوقهم على أصحاب الأرض ، وإقامة الدولة المركزية » .

٢٠

وجاء في صفحة [٤٨ و ٤٩] : [redacted]

« ومن ثم ؛ كانت قراءة الواقع تشير إلى سير التطور إلى نتائجه المحتمة والضرورية ، والتي ستتشكل في المستقبل المنظور ، منظومة سياسية مركزية موحدة ، تحت قيادة زعيم أوحد ، ولم يكن ثمة توضيح يمكن تقديمه لمفاهيم الأرستقراطية القرشية ، ولا للمسلمين الأوائل وهم مادة الدولة الطالعة ، سوى إلقاء الحالى في مرآة الماضي ، لكن الآيات هنا – وهي تطابق واقع جزيرة العرب – تختلف عن رواية التوراة ، وهي تطابق واقع فلسطين القديم ، فبينما التوراة تحكى عن مطالبة الشعب الإسرائيلي نفسه للكاهن «صموئيل» بملك يوحدهم ويقود جيوشهم ، فإن الآيات الكـريمة تؤكـد أن ذلك الملك جاء باصـطفاء إلهي ، وهو ما يستدعي على الفور اصطفاء المصطفى ﷺ لكن لتفرض ذلك الملك على بني إسرائيل – في الآيات القرآنية – فرضا بقرار إلهي ، وهو الأمر الذي يطابق واقع الحال المكي مع الدعوة الإسلامية ، ويخالف ما جاء في التوراة عن حال التاريخ الإسرائيلي القديم ، ومن هنا ، يتم تعشيق

http://kotob.has.it

الماضي مع الحاضر في المثال المضروب بقرار علوي : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ » [البقرة : ٢٤٧] .

ونقول مستعينين بالله تعالى : إن الآية لم تشر إلى اسم النبي الذي أخبر بني إسرائيل بأن طالوت ملك ولا أدري كيف يتأتي لك شرح القرآن برأيك ولطالما عِبْتَ على المسلمين المؤرخين إدخال الإسرائيليات في التراث الإسلامي ، تحليلك هذا يعتمد على ما هو شر من الإسرائيليات فأنت هنا تجعلها حاكمة على القرآن وليست مفسرة ، ليس هذا فحسب ، بل وصفت النبي بالكاهن الصموئيل فهل هذا من فرط الثقة في علمية وصحة التوراة ؟ وإن كان ما ذهبت إليه صحيحا فلِمَ لم يعترض اليهود في المدينة وكان فيهم الأحبار وهم يترصدون ويتسقطون الأخطاء للمصطفى ﷺ ؟ ومحاولة المقارنة بين اصطفاء طالوت واصطفاء المصطفى تشبيه في غير محله فلا يوصف المصطفى بأنه ملك . ليس هذا فحسب بل شاؤول الذي سبق داود وسليمان زعمت أنه جَيَّش جيوشاً لتعارض بذلك القرآن ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

ثم إنك تعود في مواضع أخرى وتصف ملك سليمان بأنه محمية من محميات فرعون فحينما تريد توهين الأمر وفي موضع آخر تقويته لا لشيء إلا لإثبات نظرية تعشق الماضي في الحاضر وهو المذهب الذي درجت عليه في جميع كتبك بإعادة الرسالات السماوية إلى أصول أسطورية سومرية وفرعونية واستدللت على ذلك بما جاء في [ص ٤٩] :

« كان الوحي يسترسل شارحاً لوضع الحاضر مقارنا بما حدث في الماضي ، ليحفز همم المسلمين ، فيحكي لهم عن « شاؤول – طالوت »

http://kotob.has.it

بعد أن استقر له أمر الملك ، وبدأ حملاته على مدن الساحل الفلسطيني ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ... قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، وجالوت هنا هو « جوليات » الزعيم الفلسطيني في رواية التوراة ، لكن رواية التوراة تختلف مرة أخرى عن رواية القرآن الكريم حيث كان ائتلاف القبائل الإسرائيلية فى مملكة واحدة تشكيلاً هائلاً وتجييشاً لعدد ضخم من المقاتلين ، ومن ثم يكون تطابق الآيات ليس مع التاريخ التوراتي كما ترويه التوراة ، لكن مع واقع المسلمين والمشركين ، حيث المشركون هم الأكثرية ، والمؤمنون هم الأقلية ، لكن الحضور الإلهي إلى جانب الحق كان كفيلاً بحسم الموقف ، فالآيات تستطرد ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وإعمالاً لذلك ، وحتى تتطابق الروايتان ، ويتطابق الواقعان ، ونبوة الحاضر المنتصر بإذن الله ، بملك الماضي .

يحكى أبو أيوب الأنصاري ، عندما خرجوا إلى بدر : « فإذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فأخبرنا النبي ﷺ بعدتنا ، فسر بذلك وحمد الله ، وقال : عدة أصحاب طالوت .

٢١

وجاء في صفحة [٥٠] : [redacted]

« وكان الرد على تثاقل بعض المسلمين عن الخروج إلى أموال قريش ، عودة أخرى للقديم ، تذكيراً ، وتنبيهاً ، وتحفيزاً ، بذات المثل الإسرائيلي : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] .

http://kotob.has.it

وهذه جماعة إسرائيل لا تعترض على اختيار الملك لعدم سعته من المال ، بل هي تطلبه ، فتتطابق الروايتان القرآنية والتوراتية ، لكن الحكمة تنزع الماضي من سياقه لرسم صورة الحاضر ، وإتمام صياغة الرسالة ، المطلوب من المسلمين إدراكها ، وفهم دلالاتها : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] .

نعم ، القتال في سبيل الله ، وهو قتال - في التاريخ التوراتي القديم - لهزيمة سكان الساحل الفلسطيني ، وهي الآيات التي تستدعي القديم لحاضر يثرب ، تأجيجاً لنوازع نفسية في المهاجرين تحديداً ، فتقول : ﴿ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] .

إن التوراة لا تقول بخروج بني إسرائيل من ديارهم وأبنائهم حينذاك ، بل كانوا - حسب روايتها - مهاجمين لا مدافعين ، محتلين وغاصبين ، وهذه روايتها ، وإثمها مردود عليها في المخالفة ، لكن ما نعلمه يقيناً ، أن الذين أخرجوا من ديارهم مهاجرين ، وتركوا أبناءهم واللوعة من أهل مكة تشتعل في نفوسهم ، هم المسلمون المهاجرون إلى يثرب ، وبالطبع كان لابد أن تفعل تلك الآيات في نفوسهم فعلها وأثرها » .

أقول وبالله التوفيق : لا أدري من هو المقصود بقولك : الحكمة التى تنزع الماضي برسم صورة الحاضر هل هو من أنزل القرآن أم من نزل عليه ثم لا يفوتك أن تعارض القرآن مرة أخرى بأن التوراة لا تقول بإخراج بني إسرائيل من ديارهم وأموالهم . وأقول لك : إن المقصود هو خروجهم من مصر التى كانت فيها ديارهم وأبناؤهم ولقد أفضت في ذلك في كتبك السابقة .

http://kotob.has.it

ومطاردة فرعون لهم ، ليس هذا فحسب بل أغفلت نظرية الدين القومي فكيف يفرح العرب بانتصار بني إسرائيل على الكنعانيين الفلسطينيين .

ثم تجعل التوراة تذكر تجييش الجيوش والقرآن يجعلهم فئة قليلة ، ويجعلهم رفضوا الملك مع أن اللّه زاده بسطة في الجسم والعلم ، وتعارض القرآن بأنهم لم يعترضوا بل طلبوا الملك ، فما هو المقصود من معارضة القرآن بالتوراة ؟ هل لصحتها لديك ولدى علماء التوراة الذين ذكرت أنهم يؤمنون بتحريفها ؟ ثم لا يفوتك أيضاً أن تلمز بأن القصة الواردة نزعت من الماضي وتم توظيفها للحاضر ، فهل وصل العبث بتفسير القرآن إلى هذا الحد ؟

وجاء في صفحة [٥١ ، ٥٢] : [redacted]

« وبينما كانت الأحوال في مكة على وتيرتها الرتيبة وهدوئها ، وقبل وصول ضمضم الغفاري ، ألقت « عاتكة بنت عبد المطلب » عمة النبي ، وسليلة البيت الهاشمي ، بما حرك ذلك السكون الراكد المطمئن ، برواية عن رؤيا رأتها ، حملها أخوها « العباس بن عبد المطلب » إلى مجلس الملأ ، تقول فيها :

واللّه لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني .... رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله ، مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها :

ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار ، إلا دخلتها منها فلقة .

http://kotob.has.it

وبلغت الرواية أبا الحكم بن هشام ، وربما ذهب إلى تصور ترتيب بعينه بين عاتكة وابن أخيها في يثرب ، وذلك في ضوء إيمان عرب زمانه بالرؤيا وذهابهم في تفسيرها التنبؤي مذاهب وقراءات وعيافة ، وفألا ، ثم لا جدال أنه عندما تتحدث هاشمية عن قوم بأنهم «آل غدر» فإنها تقصد لا شك البيت الأموي المعادي ، فكان أن قام يخاطب « العباس » بشأن رؤيا شقيقته ، قائلاً :

يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ .. أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم ، حتى تتنبأ نساؤكم ؟ - أو أما رضيتم يابني هاشم بكذب الرجال ، حتى جئتمونا بكذب النساء - قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقًا ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً ، أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

وبينما لم تكن تموجات رواية عاتكة قد سكنت بعد ، على سطح الاستكانة القرشية المترفة الآمنة ، وصل « ضمضم الغفاري » بعد الأيام الثلاثة ، وهو يصرخ ببطن الوادي ، واقفا على بعير له ، وقد حول رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول :

يا معشر قريش ؛ اللطيمة ، اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؟ الغوثَ ، الغوثَ .

وحدث بعدها ما جاء في رواية البيهقي : « فتجهز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ،كلا والله ليعلمن غير ذلك » .

http://kotob.has.it

٢٢

وجاء في صفحة [٥٣] : [redacted]

« لكن « أبا الحكم – أبا جهل » الذي أدرك – كواحد من رجال الملأ المقدمين – أن تهديد طريق الإيلاف ، إنما يعني تهاوي الهيبة القرشية ، مما قد يدفع القبائل الأخرى إلى ذات المحاولة ، وتهون قريش بين العربان ، وتضيع المصالح والمكاسب ، ثم ما يستتبع ذلك من فقد قريش لثقة الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية ، في القيام على شأن المواد المطلوبة في مواقيتها ، في زمن حرب حرج ، يكون فيه أي تأخير عاملاً مؤثراً وفاعلاً في الانتصارات والهزائم ، وهو ما قد يدفع إحدى الإمبراطوريتين إلى ركوب مغامرة تأمين الطريق باحتلاله ، وربما احتلال مكة ذاتها ، وهو ما يمكن أن ينقل الصراع الإمبراطوري إلى باطن الجزيرة ، فما كان من أبي الحكم إلا أن نادى بعدم عودة الرجال إلى مكة ، ودعاهم إلى استعراض هيبتهم أمام القبائل ، باحتفال كبير ، اختار له أحد أسواق العرب الكبرى ، في موقع وادي بدر ، حيث الماء والخضرة » .

ولإيضاح ذلك نقول : لقد أوردت رؤيا عاتكة وتهكم أبي جهل عليها ، وأنه سيكتب كتابا أنهم أكذب بيت في العرب . فهل النصيحة التي نصحتها عاتكة لهم صدقت أم لا ؟ فلما لم يدرك صدقهم واستمر في عناده كان ذلك سبباً في هلاكهم ، والعجيب بعد ذلك أن تذهب لتكمل وصف أبي جهل بما يؤدي إلى أنه مخطط استراتيجي يخشى الدوائر على جزيرة العرب من الإمبراطوريتين ولكن في كل عصر لنا أبو جهل يدور في فلك استراتيجية أبي جهل في إطعام الطعام وسقى الخمور وعزف القيان بدلا من أن يعد العدة لمعركة فاصلة ، ياله من مفكر حمل هموم الأمة العربية ؟!!

http://kotob.has.it

وجاء في صفحة [٥٣ و ٥٤] :

« وهكذا عاد الركب موجها نحو بدر ليقيم سمره الاحتفالي لليال ثلاث ، وكانوا خمسين وتسعمائة ، وقيل : كانوا ألفاً ، وقادوا مائة فرس ... معهم القيان ... يضربن بالدفوف ويغنين .

وهناك أحداث صغيرة لا تخطئها العين المدققة ، لعبت - بعد ذلك - دوراً في حسم الأحداث ، ربما كان أولاها بالملاحظة ، هو قرار بني زهرة الرجوع جميعا إلى مكة ، بعد أن تأكد لديهم سلامة القافلة ومرافقيها ، فلم يخرج إلى بدر زهري واحد » .

ولا نملك إلا أن نقول : يا هذا ، اتق اللّه ؛ زعمت أن رجوع بني زهرة عن الخروج بعد أن تأكدت لديهم سلامة القافلة ومرافقيها فلم يخرج إلى بدر زهري واحد ، وعللت ذلك بأنهم أخوال النبي ﷺ ولم تورد القصة كاملة . وملخصها هو : أن ابن أبي شريق الذي سمي الأخنس فيما بعد ، وكان حليفا للنبي ﷺ جاءهم فقال : يابني زهرة ، قد نجا اللّه أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جنبها وارجعوا فإنه لاحاجة لكم بأن تخرجوا ، وقد ورد في السيرة الحلبية نص ذلك : إن الأخنس خلا بأبي جهل فقال له : أترى محمداً يكذب ؟ قال أبو جهل : ما كذب قط . كنا نسميه الأمين ، ولكن إذا كان في بني عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يكون لنا ؟ هذا هو جواب المفكر الاستراتيجي حامل هموم العرب وتجارتهم ، إن هو إلا الصلف والكبر والحسد فعلام تتبعه بنو زهرة ؟

http://kotob.has.it

ولماذا أغفلت أن الأخنس في طريق عودته إلى مكة أحرق نخلاً للمسلمين مما آذاهم بالرغم من عدم اشتراكه في المعركة .

وجاء في صفحة [٥٥] : ☚

« وعن ذلك الاحتفال المهيب ، الذي كان يحمل داخل مهابته ضعفاً وخوفاً ، ثم عدم تجانس الفريق المكي ، والذي سببه إصرار أبي الحكم على اصطحاب الهاشميين ، ليتشفى فيهم لفشل ولدهم في الاستيلاء على قافلة أبي سفيان ، وربما لو علم بما غيبته له الأيام المقبلة ، لتركهم بمكة غير آسف ، ثم الخوف القرشي من بيت كناني واحد ، لولا إجارة سراقة » .

وجاء في صفحة [٥٦] : ☚

« هذا بينما كان « جهيم بن الصلت » سليل عبد المطلب الهاشمي ، يروي لهم وهم ينيخون بالجحفة رؤيا جديدة ، فيقول : « إني رأيت فيما يرى النائم .. إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس ، حتى وقف مع بعير له ، ثم قال : قتل عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم ابن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان ، وفلان ، فما كان من « أبي الحكم » إلا أن قام يخفف عن الناس الأثر النفسي للرواية ، في وسط عربي ثقافي عادة ما كان يصدق الرؤيا ، بقوله الساخر المتحدي : وهذا نبي آخر من بني عبد المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا . وماكان تعبير أبي الحكم « إن نحن التقينا » إلا شكًّا في الأخبار التي وصلت عن النبي وأصحابه ، وعدم يقين بوقوع الوقعة المرتقبة » .

هل كان أبو جهل يملك أن يرغم الهاشميين ، فلم لم يرغم أبا لهب الذى تخلف وهو من هو في عداوة رسول الله ﷺ ولم تنس أن تعلق على فعل أبي جهل ولو علم بما تخبئه الأيام لتركهم غير آسف .

http://kotob.has.it

أما والله لو سمع نصحهم وصدقهم لما لقي ما لقي ، ولكن هو الصلف الذي ساقه إلى بغض بني هاشم والتهكم عليهم مع علمه بصدقهم فأذاق الله مبغضيهم ما أذاق أبا جهل .

٢٤

وجاء في صفحة [٦٠] :

« وهكذا ، تحول اتفاق الأنصار مع النبي في العقبة الثانية إلى غايته المضمرة ، وأدرك الأنصار أنه قد آن أوان الإفصاح عن كامل بنود ذلك الحلف ، التي وعوها مبكراً في قولهم للنبي آنذاك :

« إن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا ، فأجل النبي الإمالة بالسيف إلى فيما بعد ، وقد جاء أوان الما بعد ، الذي طور البنود المعلنة ، من ميثاق دفاعي لتسفر عن البند المرجأ الذي يجعل الميثاق حلفاً هجومياً محاربا ، فتحولت عناصر الجماعة الإسلامية كلها ، مهاجرين وأنصار ، إلى دولة محاربة هجومية ، دولة عسكر ومغانم متكاملة مقاتلة ، كالقبيلة تماماً ، وبذات منطقها ، لكن بعد أن تحول الولاء عن القبيلة وسلفها المعبود إلى الدولة ممثلة في رجال الحرب والدم والحلقة ، الذين تحولوا عن الإجارة إلى الإغارة .

وهنا نقطة التحول المادية الخطيرة ، التي لعبت دوراً عظيماً في جذب الأتباع من مستضعفي القبائل ومحاربيهم ، بعد أن ظل النبي في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو دون إجابة العدد الكافي من المستضعفين إلى دعوته ، حيث كانت الدعوة تؤجل الوعد بالنعمة والرفاه إلى الآجل في رغد جنة الخلد ، وهو ما ظهر كما لو كان تأجيلاً ميتافيزيقيا لحل قضيتهم ، وإرجاء رفع الشقاء المادي عن حياتهم الآنية ، في مجتمع

http://kotob.has.it

تجاري مادي بحت ، ولهذا عندما تم الإعلان عن مغانم أحلها الله لرسوله والمؤمنين من أموال المشركين ، أصبح الحل حقيقة مادية دنيوية ملموسة ، ومكاسب عينية ماثلة أمام المستضعفين ، تدعوهم إلى دخول جيش الدولة الجديدة ، وهو الهدف الذي سيفصح عن نفسه عمليا في المكاسب التي ستحققها الغزوة البدرية لجماعة المسلمين، لتحول حالهم الشظف إلى حال آخر ، وفي تحالف القبائل المحيطة بالمدينة مع القوة الإسلامية » .

وهنا بعد أن تذكر قصة سعد بن معاذ الذى قال فيها : « لو خضت بنا هذا البحر لخضناه » ، تدعي أن اتفاق العقبة مع الأنصار أظهر غايته المضمرة ، وهل من المعقول أن لا يظهر المضمر إلا قبل المعركة بسويعات ؟ لو كان الأمر كذلك فإن التفكير البشري الاستراتيجي كان يحتم أن يظهر ذلك المضمر في المدينة حتى يخرج كل القوم .

وأما النقطة المادية الخطيرة التى أشرت إليها لجلب الأتباع المستضعفين لجمع الغنائم كما زعمت يتناقض مع ما ذكرته سابقا بأنه توجه بالدعوة إلى الفقراء والعبيد والموالي والمستضعفين ومنّاهم بملك كسرى وهو في مكة قبل الهجرة . ألا يوجد هنا تضارب بين الأفكار ؟ فالأجدر بك البحث عن تحليل آخر . ولا غرو فنحن أمام تلفيق ماركسي للتاريخ .

٢٥

وجاء في صفحة [٦١] :

« وعنـد التعبئة تقـرر أن يحـارب المسلمون بنظـام الصفوف المتحـركة ، من « النبالة » حملة النبـال ، و « السيافة » حملة السيوف ... الـخ ، وفي

http://kotob.has.it

ذلك يقول ابن كثير : « وقد صف رسول الله ﷺ أصحابه ، وعبأهم أحسن تعبئة .. وعن أبي أيوب يقول : صفنا رسول الله يوم بدر ، فبدرت مني بادرة أمام الصف ، فنظر إليهم وقال : معي معي .. وكان في يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية .. وهو مستنتل « متقدم » من الصف ، فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : استوِ يا سواد » .

وكالعادة لم تكمل النص فالرجل قال : يا رسول الله ، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى[1] ، قال : فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : « استقد » ، قال : فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وقاله[2] .

وهل يصح اجتزاء النصوص فنؤمن ببعض ونذر الباقي ، وهل هذا من المنهج العلمي ؟!!

---

(١) فأقدني : أى اقتص لى من نفسك .

(٢) إسناده مرسل . وهو من أنواع الضعيف ذكره ابن هشام فى السيرة [٢/٢٨٦] ، وأخرجه الطبرى [٢/٤٤٦] فى تاريخه ، وابن الأثير [٢/٤٨٤] فى أُسد الغابة ، وعزاه لابن عبد البر ، وابن منده ، وأبى نعيم ، وأورده ابن كثير [٣/٢٧١] فى البداية ، وابن حجر [٣/١٤٨] فى الإصابة كلهم من طريق ابن إسحاق مرسلًا . وقال ابن عبد البر : قد رويت هذه القصة لسواد بن عمرو ، لا لسواد بن غزية .
قال ابن حجر : لا يمتنع التعدد ، لا سيما مع اختلاف السبب ، ثم أورده مرسلًا عن أبى جعفر الصادق .

http://kotob.has.it

وجاء في صفحة [٦١ ، ٦٢] :

« ولم يترك القائد شيئاً للصدفة ، فأي خطأ - مع الفارق العددي - يمكن أن يؤدي إلى كارثة ، ومن ثم ، وقبل أن يصل بدراً ، أمر رجاله فتوقفوا صامتين ، ثم ركب ومعه أبو بكر ليتسقط بنفسه أخبار عدوه .

حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، ما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك » ، قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإذا كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، المكان الذي به رجال رسول الله ﷺ ، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي فيه قريش ، فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « نحن من ماء » .

وفي « الإمتاع » أنه قال : « نحن من ماء وأشار بيده إلى العراق » ثم يتفق رواة السيرة على رد الشيخ المندهش على نفسه - وهو يغمغم - « ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟! » .

وينزعج « الحلبى » راوي السيرة من رد النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا يدرك الحذر المفترض في قائد عسكرى مقبل على معركة ، ولا يرى في ذلك القائد سوى الجانب النبوى المتعالي ، وأن للنبوة صفات تتناقض مع رد الرسول على الأعرابى ، فيقول فى تساؤل استنكارى ، أو في استنكار متسائل :

http://kotob.has.it

وقد تقدم في أوائل الهجرة ، أنه لا ينبغى لنبى أن يكذب ، ولو صورة ، ومنه التورية .

ومن ثم يبحث الحلبى عما يطمئن قلبه ، فيكشف أنه لا بأس من كذب النبي ، ليس لضرورات يقتضيها الظرف الموضوعى ، ولكن لأنه وجد فى كلام القاضى البيضاوى حديثاً عن النبى ﷺ أن النبى إبراهيم سبق وكذب ثلاث كذبات ، ويقصد الحلبى هنا الحديث : « كذب إبراهيم ثلاث كذبات كلها فى اللّه ، قوله : إنى سقيم وقوله : فعله كبيرهم هذا ، وقوله للرجل الذى عرض لسارة : « إنها أختى » ، وهنا يطمئن الحلبى ويكتفى بذلك تبريراً لنفسه وتطميناً لها ، إزاء رد قول النبى للشيخ الأعرابى ، ولم ير إطلاقاً في ذلك الرد ، غرضاً عسكرياً وحذراً مباحاً ، يصرف البدوى عن معرفة قائد المسلمين ، ويشككه في معلوماته عن موقع الجيش الإسلامى ، ويصرفه عن تقصي أمرهم ، احتياطاً لسرية وأمان مسيره » .

لقد صدق رسول اللّه وهو الصادق دائما ، وحينما قال : « نحن من ماء » ، لم يخالف عهده فالمولى سبحانه وتعالى يقول في سورة الطارق عن خلق الإنسان أنه : ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٦] . الآية فحافظ رسول اللّه ﷺ على السر والعسكر ولم يكذب لأنه الصادق الأمين ، ولا يقول إلا حقا .

وأما تعريضك بنبي اللّه إبراهيم واتهامه بالكذب وأنت الباحث الكبير فالعقل البشري يأبى أن يتبع الناس من جرب عليه الكذب ولو مرة ، فهل يصدق قوم نبيًا يكذب ، ودليل الأنبياء الصدق والأمانة ، ولو كان عندك أدنى علم بالقرآن لعلمت أن في قراءة الإمام الكسائي في قوله تعالى في قصة إبراهيم لتحطيم الأصنام : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ ﴾ [الأنبياء : ٦٣] والوقوف عليها إلزامي ، وهو جواب لصدر الآيات : ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ [الأنبياء : ٦٠] فنسب الفعل إليه ولم يكذب .

http://kotob.has.it

وجاء في صفحة [٦٤] :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ، ومائة ألفاً ، فخفف الله عليهم ، فنسخها بالآية الأخرى : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ » . [الأنفال : ٦٦] .

ولو أخذنا الأمر بظاهره ، لكان المعنى أن الله جل وعلا لم يكن يعلم بضعف المسلمين ، ثم علمه متأخراً ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ ﴾ [الأنفال : ٦٦] ، وحاشا لله أن يقصر علمه عما يليق بكماله ، ومن ثم لا يكون هناك معنى لنسخ الآية الأولى بالثانية ، سوى تفاعل الوحى الكريم مع ظرف الواقع ، حيث تتناسب الآية الأولى مع خبر أول بعدد أفراد قريش ، وهو ما كان يعادل عشرة إلى واحد بالنسبة إلى عدد المسلمين ، بينما تتناسب الآية الثانية مع الخبر التالى الذى جاء يحمل نسبة أخرى هو اثنين إلى واحد ، وهو ما يطابق العدد المقبول لقريش بالنسبة لعدد المسلمين ، بعد انخزال بنو زهرة عنها بثلث الناس ، وكذب سراقة بن مالك أو إبليس بشأن مجيء كنانة مع قريش ، فكان النسخ ، وجاء صدق الوحي مطابقاً للواقع ، وإعلاماً للمسلمين المحاربين بعدد عدوهم النهائي » .

http://kotob.has.it

ونقول : إن كان تحليلك صحيحا ، فكان ينبغي أن يكون عدد جيوش قريش عند الخروج عشرة أمثال جيش الرسول أي ثلاثة آلاف ونيفا وهم لم يكونوا كذلك عند الخروج .

وعند نزول الآية الثانية كان ينبغي أن يكون عددهم ستمائة وستة وعشرين وليس ألفاً فابتغ لك تحليلا غير هذا .

٢٩

وجاء في صفحة [٦٦] : [redacted]

« موقع الفريقين : وحتى نتمكن من وضع تصور لخريطة المواقع في بدر ، وموقع كل من الطرفين فيها ، نقف مع القائد وموقعه بين أتباعه المسلمين ، وهو ما أوضحه قول سعد بن معاذ له :

يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعد عنك ركائبك ، حتى نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ... فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير ، ثم بنى للرسول عريشاً كان فيه .

وتتفق كل كتب السير على موقع ذلك العريش ، بأنه كان « فوق تل مشرف على المعركة » ، وبعد بناء العريش ، دخل إليه النبي ومعه أبو بكر ، واتفق على أن تحيطه حراسة من الأنصار بقيادة سعد بن معاذ » .

نقول : خبر العريش في بدر مشهور أما إشارة سعد فقد ضعفها علماء الحديث وحتى الرواية الضعيفة لم تكملها وأسقطت منها : « فإن خلفنا أقواما

http://kotob.has.it

ليسوا بأضعف منا إيمانا » وهي بالنص : « فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبًا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ويمنعك اللَّه بهم يصحبونك ويجاهدون معك » .

فأقول : هذا هو الإيمان فحرص الرجل على استمرار الرسالة هو المعتبر لديه وليس الغنائم ، وهكذا كان صحابة رسول اللَّه ﷺ على الخلق الذى لا يفهمه إلا المسلمون .

٣٠

وجاء في صفحة [٧٣ ، ٧٤] :

« الحكمة والتهور :

ومن ثم ، كان إعمال العقل والتروى ، والبحث عن رأي سديد ، للخروج من الفخ بأقل قدر من الخسارة ، فكانت حكمة « حكيم ابن حزام » الذى جاء « عتبة بن ربيعة » أحد كبار أشراف مكة وسادة الملأ المقدمين ، وكان عتبة رجلاً جليلاً عجوزاً ثقيلاً ، ليقول له :

يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر . هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس .

وهكذا سجلت عبارة حكيم لقريش مرة أخرى حبها للسلم ، وسعيها للأمن ، ذلك الحب والسعى الذى فرضه عليها تكوينها النفسي ، وفرضه على نفسها تكوينها الاقتصادي والاجتماعي ، وحرصها على مصالحها ، ومن ثم كان من يسعى إلى الحفاظ على تلك المكاسب ، بتحقيق السلم ، يظل مذكوراً فى شرعها بالحكمة والسداد والشرف

http://kotob.has.it

إلى آخر الدهر ، ومن هنا قام « عتبة ابن ربيعة » عاملاً بحكمة « حكيم ابن حزام » ، يخطب في أصحابه :

يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموهم لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا ، وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما يريد .

هكذا كان حال قريش ، وتلك كانت دعوتها وحكمة حكمائها ، بينما على الجانب الآخر وراء السواتر وفوق التل ، كان صوت المصطفى ﷺ يجلجل فى أصحابه ، حتى لا يتركوا فرصة قد لا يجود بها الزمان مرة أخرى للقضاء على رؤوس الشرك :

- والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، إلا أدخله الله الجنة .
- وهذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها .
- وأن ما يضحك الرب من عبده غمسة يده فى العدو حاسراً .
- ومن قتل قتيلاً فله سلبه .
- ومن أسر أسيراً فهو له .
- ويا منصور أمت » .

إنك تمدح عبارة حكيم بن حزام وتصفها بحب قريش للسلم وسعيها للأمن لتكوينها النفسي ، بعد أن تغفل رواية وردت في مصادرك التي تعتمد عليها وقد جاءت في السيرة الحلبية أن الرسول ﷺ بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المكيين ليقول : ارجعوا وإنه إن يلي هذا الأمر في « الحرب » غيركم أحب إلى من أن تلوه ، ثم قال حكيم بن حزام عند ذاك : قد عرض نَصَفا فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف .

http://kotob.has.it

وقال أبو جهل المفكر الاستراتيجي : والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم . أليس هذا مصدر فكرهم . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ... ﴾ الآية [الأنفال : ٤٨] .

أفلا يكون الشيطان قد تلبس بأبي جهل من رأسه إلى أخمص قدميه يوسوس له فلما التقى الجمعان واستحرت السيوف في المبارزين نكص على عقبيه ، فأسلمت قريش أكتافها للمسلمين كما قالوا عندما عادوا إلى مكة .

وأما حب قريش للسلم فقد تجلى في تعذيب المسلمين فمنهم بلال وصهيب وخباب وآل ياسر أجمعين، خصوصاً سمية التي رماها أبو جهل المحب للسلم في موضع عفتها بالرمح فمن سنّ سنة الخوازيق إلا أبو جهل في كل العصور . وإذا كانت قريش محبة للسلم فلماذا طاوعت سفيهها أبا جهل ؟

٣١

وجاء في صفحة [٧٧] :

« وذاهلة وقفت قريش ، التى تحول حفلها من دفوف وقيان وخمر وسمر ، إلى حرب ودم ، فأراد « عتبة » بذات الحكمة ، أن يسلك سلوك العرب ، فيدعو إلى مبارزة تنهى الأمر عند حد ، وتوقف نهر الدم الموشك على التدفق ، بهزيمة أحد الطرفين فى مبارزة عادلة، تنتهى بانسحاب المهزوم واعترافه بالهزيمة ، فيروى ابن هشام « خرج عتبة ابن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن شيبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ،

http://kotob.has.it

وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث . وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم ، يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا » .

وبهذا النداء كانت قريش لا تزال تحسب العواقب وتتحاشى مخاطرها ، لأن مبارزة بعض أهلهم أمر يمكن بعد ذلك علاجه بين الأهل وبعضهم ، أما مبارزة الأنصار ، فهي ثأر باق بين مدينتين ، لا يعلم إلا الله منتهاه ، وهو ما قد يقضي تماماً على طريق الإيلاف المار قرب يثرب ، واستجاب النبي الكريم لرغبة قريش فقال : « قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي ، فلما قاموا دنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علي : علي ، قالوا : نعم أكفاء كرام ، فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله » .

لم تشأ تتخل هنا أيضا عن قريش وحكمتها المزعومة « أهل الله في نظرك » فتقول : إن قريشا ما زالت تحسب العواقب لأن مبارزة بعض أهلهم أمر يمكن علاجه ، وتسوق مقالة عقبة وهو يحاول أن يثني أبا جهل : « والله لئن أصبتموهم لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه » .. فكيف نوفق بين هذا التحليل وما قاله عقبة ، ولكن هذا فقه تبرير تصرفات أبي جهل بما لم يخطر على بالهم ويناقض أقوالهم ، ولقد مقت الصحابة بأنهم قتلوا أهاليهم وأقاربهم ، وهنا لم تذم المشركين لإصرارهم على قتل محارمهم ، فبحق أنت بهذا أفضل محام لمشركي قريش !

http://kotob.has.it

وجاء في صفحة [٨٤ ، ٨٥] :

« ويتابع ابن هشام فيقول : إن النبى ﷺ أخذ على أبى العاص أن يخلى سبيل زينب ، ويرسلها إلى حيث سينتظرها أتباع من يثرب على حدود مكة ، وعن عبد الله بن أبى بكر قال : « حدثت عن زينب أنها قالت : بينما أنا أتجهز بمكة للحوق بأبى ، لقيت هنداً بنت عتبة ، فقالت : يا بنت محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ فقالت : ما أردت ذلك ... فلما فرغت بنت رسول الله من جهازها ، قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته وخرج بها يقودها نهاراً وهى فى هودج لها ، وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها ، حتى أدركوها بذى طوى ... وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهماً ، فتكركر الناس عنه ، وأتى أبو سفيان في جلة من قريش فقال : أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال : إنك لم تصب إذ خرجت بابنته علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا ، إن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التى كانت ، وإن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بها عن أبيها من حاجة ، وما لنا فى ذلك من ثورة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدثت الناس أننا قد رددناها ، فسلها سراً والحقها بأبيها ، ففعل » .

وفى الروايات ، أن الذين طاردوا زينباً ، كانا هبار بن الأسود ، ونافع ابن عبد القيس ، فروعاها فأفرغت بطنها وكانت حاملاً ، ولما رجع الرجلان إلى مكة ، قابلتهما هند تذمهما وتقول :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أشباه النساء العوارك

http://kotob.has.it

والنساء العوارك هن الفوانج ، أما النبى فكان له موقف آخر من الرجلين إذ أمر ببعث سرية ، أمر رجالها أن يظفروا بهبار ونافع ، وأن يحرقوهما بالنار جزاء ما قدمت يداهما في حق ابنته ، لكنه عاد فأرسل لهم قبل خروجهم :

إنى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين ، إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » .

هذه هي حكمة مشركي قريش التى فُتنت بها ، إنها ترويع الحوامل حتى يسقطن وعدم حفاظها على حقوق النساء ورعاية الأُمهات حتى الأجنة في بطونهن . وفي القول الذي نسبته إلى أبي سفيان قبل إسلامه ترجمة صادقة عن الاهتمام بالظواهر وإن خالفت البواطن .

وأما البيت الذي نسبته لهند فقد كان حبها لبني هاشم عظيما حتى وصل إلى بقر البطون ولوك الكبد قبل أن تسلم . أولم تسمع عمن أكل كبد حمزة ؟!

٢٣

وجاء في صفحة [٨٦] :

« والقول الشريف هنا يفصح عن خبيئة نفس المصطفى عليه الصلاة والسلام لأهله وبلده ، وعن التناقض الآتى الذى سيفصح عن نفسه في أواخر الحياة النبوية المشرفة ، فى فتح مكة وتوزيع المكاسب فى هبات وإقطاعات وأعطيات لأهل قريش من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم ، ثم ما أفصح عنه اجتماع سقيفة بنى ساعدة ، وانتهى بصب الأمر فى النهاية بيد قريش ، أما الآن وفى ظرف بدر الراهن فإن قطع المسلمين للطريق التجارى ، والاستيلاء على قوافل مكة ، وقتل رجال حكومة الملأ

http://kotob.has.it

الصناديد والرؤوس والأشراف ، كان حلقة - فرضها الظرف ، وعدم وعى المكيين - فى حلقات التطور الحتمى الآتى ، ودفعاً للموقف عبر مسيرته الضرورية ، وإبلاغاً للروم والعجم أن الأمر قد صار إلى مدينة أخرى ، وإلى يد أخرى ، ونظام آخر » .

وهنا تعود إلى التفسير المادي للتاريخ . وإنا نسألك هل كان قول رسول الله ﷺ لأبي قتادة : « أن تحقر عملك مع أعمالهم »(١) هو عمل الدنيا أم عمل الآخرة ورفع راية الإسلام بعد ذلك سواء بعد الفتح أم في عهد رسول الله ﷺ أو الخلفاء الراشدين وفي الدولة الأموية وغيرها ؟ لقد رفعت قريش راية الإسلام بعد إسلامها ويكفي أن نذكر لك أن عكرمة بن أبي جهل مات شهيداً في اليرموك بعد أن زود الجيش بثلاثة آلاف من عبيده ومواليه بأسلحتهم وعتادهم ، ولعلك نسيت أن قريشاً لم ترتد بعد أن آمنت حينما ارتد الناس وهذه من معالم النبوة الصادقة للمصطفى ﷺ .

ولكني أعجب لقولك : « والقول الشريف هنا يفصح عن خبيئة نفس المصطفى ﷺ » . فهل كان للمصطفى ﷺ خبيئة مقطوع بها يضمرها فى نفسه ؟ وهل كان يظهر ما لا يبطن حتى يخبئ لأهله وبلده أموراً كما ذكرت ؟ هذا قول لا يليق بالمصطفى ﷺ ، ألا تعلم أن الخلافة لم تنتقل إلى بني هاشم بعد أن

(١) أخرج البخارى [٦٩٣١] عن أبى سلمة وعطاء بن يَسار أنهما أتيا أبا سعيد الخُدرى فسألاه عن الحَرُورِية أسمعت النبى ﷺ ؟ قال : لا أدرى ما الحَرورِية سمعت النبى ﷺ يقول : « يخرج فى هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تـحْقِرُونَ صلاتكم مع صلاتهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حُلُوقَهُم - أو حناجرهم - يمرقون من الدين مُرُوقَ السهم من الرمية ، فينظر الرامى إلى سهمه إلى نصله إلى رِصافِهِ فيتمارى فى الفُوقَةِ هل عَلِقَ بها من الدم شىء ؟ » .

http://kotob.has.it

تحملوا عبء الدعوة قبل إسلامهم وبعد أن أسلموا وصدق الله العظيم : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] .

حتى هذه المودة والمحبة لآل البيت الأطهار نجد اليوم منكم من يبخل بها عليهم ، فلم يقف الأمر عند هذا الحد بل اتهامهم بالتخطيط والتكتيك ونقل الملك لغيرهم !! فياله من تكتيك وياله من حـزب يخطط ويتعب ليستسلم لبني أمية بعد ذلك ، إن هذا لهو الضلال المبين ، نعوذ بالله من الخذلان .

٣٤

وجاء في صفحة [٨٩] :

« عن « علي بن أبي طالب » كرم الله وجهه – فى وقعة بدر – قال : « حملني الرسول على فرسة فجمزت بى ، فوقعت على عقبى ، فدعوت الله ، فأمسكت ، فلما استويت عليها ، طعنت بيدى هذه فى القوم حتى اختضب هذا ، وأشار إلى إبطه » . محققا لنفسه بذلك ضحك الله من عبد يغمس يده فى العدو .

وهو الأمر الذى يدعو إلى التساؤل حول رواية كتب السير والأخبار ، عن كراهة « سعد بن معاذ » لرؤية ما يصنع المسلمون بالمشركين ، وعن كون تلك الكراهة ناتجة عن أخذ المكيين أسرى ، بدلاً من قتلهم ، والتساؤل مع اختضاب إبط « علي » بالدم : هل كان المتفشى فى بدر هو القتل أم الأسر ؟ وأيهما كان غرض المعركة الأساسى ؟

إن تعادل عدد القتلى والأسرى ربما يغنى عن طرح السؤال ، لكن فى واقع ما حدث تحت غبار وقعة بدر ، ما يشير إلى رغبة متأججة فى الثأر

http://kotob.has.it

من صناديد الملأ القرشى ، الذين سبق أن أخرجوا المسلمين من ديارهم وأبنائهم ، فهناك وقائع لها نفس دلالات قول الإمام علي كرم الله وجهه ، أعطاها مشروعيتها دعوة الآيات :

﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

والأمر على الترتيب فى الوحى هو :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد : ٤] .

فأولاً : ضرب الأعناق ، وفصل الرقاب ، وكل بنان ، ثم بعد ذلك : شد الوثاق طلباً للفداء ، دعما ماديا للمسلمين ، أو المن على البعض الآخر ، رغم شركهم وعدم إيمانهم ، كما سنرى له أمثلة الآن » .

وصف القرآن حتى لا تنساق وراء تحليل غير متكامل للآيات فهذه هي الآيات : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران] ، وفى آية أخرى : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

وفى آية أخرى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال] .

وفى تفسير الطبرى تحقيق أحمد شاكر [جـ ٣ - ٤٣] أرجع الطبري الضمير فى قوله : ﴿ فَٱضْرِبُوا ﴾ إلى المؤمنين وليس إلى الملائكة وهذا هو الفرق بين كتب التفسير المحققة وغيرها ، وكذلك كتب السيرة المحققة عما سواها ، ولو قرأنا هذه الآيات قراءة ظاهرية بحتة وجدناها تشير فى موضع إلى أن الغاية هى سوق البشرى وطمأنة قلوب المؤمنين : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] ، وفى الآية الأخرى كررت نفس العبارة ، أما فى الآية الثالثة فالأمر موجه إلى الملائكة ، يتضح من قوله تعالى : ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأنفال : ١٢] ، ومن هذا يستدل على أن مهمة الملائكة هي التثبيت ، والتثبيت قد يتخذ صورا عديدة منها : الظهور لبعض الصحابة فى أشكال بشرية مألوفة لتشجيعهم وهو الثبات وعدم الانهزام ، ومن ناحية أخرى نسب المولى تعالى إليه إلقاء الرعب في قلوب الكافرين ، وإلقاء الرعب والتصرف فى القلوب هو حق للمولى سبحانه وتعالى ويصدق هذا كثير من الآيات والأحاديث ، ومنها دعاء المصطفى ﷺ : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك »(١) .

وبعد هذا فأي أسطورة أشرت إليها في صفحة [٩٦] إذ تقول :

« وأثناء ذلك سيلمح لونا من المزايدة التى ترقى بالحدث الموضوعى من مستوى الواقع إلى فضاء الأسطورة ، أو هى على الأصح تهبط بالأسطورة لتغطية أرض الواقع » .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد [١١٢/٣] ، والترمذى [٣٥٢٢] ، وقال : حسن ، وقال الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٧٩٢] : صحيح .

http://kotob.has.it

وتكمل بعد ذلك في العبارة الأخـرى إذ تقول :

« **وقد كان الوعد بنزول الملائكة من وراء الكون المنظور** » .

إلى أن تصل فتقول :

« **أحد أهم العوامل التى ساعدت على إعطاء الخيال الإنسانى مساحة واسعة للمزايدة فإن هبطت الملائكة فلا بأس إذا من حدوث أى خارق آخر** » .

فدعنا هنا نسأل : هل الأسطورة هي الملائكة ؟

ثم افتراضك الوعد بنزول الملائكة هو الذى ساعد على إعطاء الخيال مساحة للمزايدة ، مع علمك بأن الذى وعد بنزول الملائكة هو اللّٰه ؛ لأن القرآن هو كلام اللّٰه . أفترى أن القرآن احتوى على الأساطير أو فتح بابا للأساطير ؟ إن هذه العبارة تحتوى على الكثير والكثير ، وكان ينبغى أن تعلن رأيك صراحة عن الأسطورة : أهم الملائكة أم القرآن ؟ حتى لا يتخبط قارؤك في التأويل ، ويضيع قصدك ويصير تحليلك من ضمن الأساطير الخطيرة . ولكن أذكِّر القارئ بما قاله د. حسن حنفي في مداخلته « التمهيد » فليراجع .

٣٥

وأشرت فى صفحة [٩٣] وفى آخر سطر منها :

« **ومهما بحثت عن سر وراء قتل ذلك الأسير - غير عدم إيمانه بالدعوة - فلم تجد سوى أنه كان أحد رؤوس قريش** » .

مع أنك في صدر الفقرة أشرت إلى أن نوفل بن خويلد كان يصيح في قومه إن هذا اليوم يوم العلا والرفعة ، ألا يعتبر بهذا من المحرضين على رسول اللّٰه

http://kotob.has.it

ودينه ولو ناقشنا أمره وأمر أمثاله من كبار مشركي قريش وطبقنا عليهم اتفاقيات الحروب فلا ينطبق عليهم إلا وصف مجرمي الحرب .

ولعلك تتبعت مطاردات الحلفاء للألمان المنهزمين حتى اقتنصوهم واحدًا واحدًا حتى ولو بعد حين ، ومما زاد في سماجة حجة هـذا الرجل أنه حاول أن يرشي المسلمين إذ ذكرت أنه قال : أما لكم في اللبن حاجة وبالطبع جواب المؤمن بل لنا في نصرة دين الله حاجات .

وذكرت في صفحة [٨٩] قصة أبي البختري بن هشام الذي أمر المصطفى ﷺ بعدم قتله لأنه كان أكف القوم عن رسول الله وهو بمكة ، ولما قام به في نقض الصحيفة التي كتبت ضد بني هاشم(١) .

(١) قال ابن هشام : قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال لأصحابه يومئذ : « إنى قد عرفت أن رجالًا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مستكرهاً » قال : فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس !! والله لئن لقيته لألحمنه السيف [قال ابن هشام : ويقال : لألجمنه] قال : فبلغت رسول الله ﷺ ، فقال لعمر بن الخطاب : « يا أبا حفص » قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ بأبى حفص : « أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ » فقال عمر : يا رسول الله دعنى فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيداً (١) . سيرة ابن هشام [٢/٢٩١ ، ٢٩٢] .

(١) إسناده ضعيف ، أخرجه ابن سعد [٤/١٠-١١] فى طبقاته ، والحاكم [٣/٢٢٣] وحدث فى نسخة المستدرك خطأ ، فقيل : عن العباس بن معبد عن أبيه ، والصواب عن بعض أهله كما أخرجه البيهقى [٣/١٠٤ ، ١٤١] عن الحاكم فى دلائل النبوة ، والطبرى [٢/٤٤٩ - ٤٥٠] فى تاريخه ، وأورده ابن كثير [٣/٢٨٤ - ٢٨٥] فى البداية نقلًا عن ابن إسحاق .

http://kotob.has.it

ألا يحق للمصطفى ﷺ أن يكافئ المحسن فهذا موقف يختلف عن ذلك فهذا مؤمن بحرية الاعتقاد وصلة الرحم فكافأه المصطفى بالأمر بعدم قتله وذلك مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

٣٦

وفى صفحة [٩٠] ذكرت تفاصيل قصة أبى البختري إذ أصر على أن يجير مشركا محاربا استمر فى القتال حتى قرب انتهاء وقعة بدر وهي يوم كامل ، ترى فعلاَمَ يجير صاحبه ؟ ثم إنه أبى إلا أن يقاتل الصحابى حمية لصديقه فهل كان للصحابى أن يتركه ليقتله(١) ؟ لا أظن أن أي منطق حربى يؤيد هذا الكلام ، ثم ختمت هذه الفقرة بقولك :

« وإن كان فى ذلك إنقاذ حياته وترك زميله يقتل بإباء عربى يثير الإعجاب وفيه إجابة أولى عن السؤال المطروح » .

(١) قال ابن هشام : قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبى البخترى لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، لقيه المجذر بن ذياد البلوى حليف الأنصار ثم من بنى سالم بن عوف ، فقال المجذر لأبى البخترى : إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك ، ومع أبى البخترى زميل له قد خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بنى ليث ، واسم أبى البخترى العاص ، قال : وزميلى ؟ فقال له المجذر : لا والله ما نحن =

http://kotob.has.it

وأي سؤال هذا المطروح أهو الذى افتتحت به قولك إذ قلت فى صفحة [٨٩] :

« هل كان المتفشى في بدر هو القتل أم الأسر ؟ وأيهما كان غرض المعركة الأساسي » .

فلا أظن أن الأحداث تؤيدك فالمعركة من أساسها لم يخطط لها المسلمون ، بل توالت النذر والنصائح على قريش بالعودة والتحذير ، وكان من جملة تلك النذر رؤيا عاتكة قبل الخروج ونصيحة عتبة ورؤيا الهاشمي الآخر ، والحديث الذى دار مع سيد بنى زهرة قبل انحيازه مع بنى زهرة ، بل ورسالة المصطفى التي بلغها عمر بن الخطاب قبل المعركة ليس ببعيد .

فمن الذى أصر على القتال واستئصال المسلمين ؟ أليس طغاة قريش وعلى رأسهم أبو جهل ؟

« وذكرت قصة عبد الرحمن بن عوف في صفحة [٩٠ ، ٩١] التي جاء فيها :

أما الشاهد الثانى ففى رواية « عبد الرحمن بن عوف » عن مقتل « أمية ابن خلف » حيث قال « عبد الرحمن » : « كان أمية صديقاً لى بمكة ،

= بتاركى زميلك ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك ، فقال : لا والله إذن لأموتن أنا وهو جميعاً لا تحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة ، فقال أبو البخترى حين نازله المجذر وأبى إلا القتال يرتجز :

لن يُسْلِمَ ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد(١) . سيرة ابن هشام [٢/٢٩٢] .

---

(١) وانظر : تاريخ الطبرى [٢/٤٥٠] فى تاريخه ، والدلائل [٣/١٤١] للبيهقى ، وابن كثير [٣/٢٨٥] فى البداية كلهم نقلًا عن ابن إسحاق .

http://kotob.has.it

وكان اسمى عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة ، فكان يلقانى إذ نحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سماكه أبواك ؟ فأقول : نعم . فيقول : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، قال : فكان إذا دعانى ، ياعبد عمرو لم أجبه ، قال : فقلت له : يا أبا علي اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبد الإله ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه وأتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر مررت به ، وهو واقف مع ابنه علي بن أمية ، آخذ بيده ، ومعي أدراع قد استلبتها فأنا أحملها ، فلما رآنى قال لي : ياعبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فيَّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ، قلت : نعم ، ها للّه ذا ، فطرحت الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول :

ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم فى اللبن من حاجة ؟

ثم خرجت أمشى بهما ، قال ابن هشام : يريد باللبن أنه من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

فواللّه إنى لأقودهما ، إذ رآه بلال معى ، وكان هو الذى يعذب بلالاً بمكة ليترك الإسلام ...

فلما رآه قال :

رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا .

ثم صرخ بأعلى صوته :

يا أنصار اللّه ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا .

فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة ، وأنا أذب عنه ،

فهذا رجل تأبى عليه عزته الهرب مع من هرب ، فيقف فى الميدان

http://kotob.has.it

مستمداً الشجاعة والدفء من الإمساك بيد ولده علي ، حتى إذا لقي صديقه المسلم ناداه طالباً منه أسره مع ولده ، ليضمن معاملة أفضل وهو في الأسر ، كما يضمن لصديقه أقصى انتفاع متى حان وقت الفداء ثم هو يبدى دهشته لكثرة القتل ، بينما بالعقلية التجارية يكون الأسر أكثر نفعاً لعائديته بإبل ولبن ومال وذهب ، واختتم ابن كثير مقتلة أمية وولده على برواية عبد الرحمن بن عوف : « فلما خشيت أن يلحقونا ، خلفت لهم ابنه لأشغلهم ، فقتلوه ثم أتوا حتى تبعونا ، وكان رجلاً ثقيلاً ، فلما أدركونا قلت له : ابرك ، فبرك فألقيت نفسي عليه لأمنعه ، فتخللوه بالسيوف من تحتى » ، أو بتعبير ابن هشام : هبروه بأسيافهم ، من الهبرة ، وهى القطعة العظيمة من اللحم ، أى قطعوه » .

إن أمية بن خلف لم يدع عنجهيته حتى فى أحلك الظروف ، ويظن أن ماله ينجيه ويعرض رشوة للمسلمين إذ قال لعبد الرحمن بن عوف : أما لكم فى اللبن من حاجة[1] ؟! لا بل لهم فى قتل رؤوس من حاربهم حاجات ، ومن منع عليهم حرية دينهم وللوصف الذي وصفته لأمية :

---

(١) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : « كاتبت أمية بن خَلَف كتابا بأن يحفظنى فى صاغِيَتى بمكة وأحفظه فى صاغِيَتِهِ بالمدينة ، فلما ذكرت « الرحمٰن » قال : لا أعرف الرحمٰن ، كاتِبْنى باسمك الذى كان فى الجاهلية ، فكاتبته « عبدُ عمرو » . فلما كان فى يوم بدر خرجت إلى جبل لأُحرزَهُ حين نام الناس ، فأبصَرهُ بلال ، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال : أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا أمية . فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا ، فلما خَشِيتُ أن يَلحَقونا خَلَّفتُ لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ، ثم أَبَوا حتى يتبعونا – وكان رجلًا ثقيلًا – فلما أدركونا قلت له : ابرُكْ ، فبرَكَ ، فأَلقيتُ عليه نفسى لأمنعه ، فتجللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه . وكان عبد الرحمن بن عوف يُرينا ذلك الأثر فى ظهرِ قدمه .

أخرجه البخارى [٢٣٠١] . =

http://kotob.has.it

= قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنيه أيضاً عبد الله بن أبى بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لى صديقاً بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة ، فكان يلقانى إذ نحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سماكه أبواك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : فإنى لا أعرف الرحمٰن فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، وأما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، قال : فكان إذا دعانى يا عبد عمرو لم أجبه ، قال : فقلت له : يا أبا على ، اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبد الإلٰه ، قال : قلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإلٰه ، فأجيبه ، فأتحدث معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على بن أُمية آخذ بيده ، ومعى أدراع لى قد استلبتها فأنا أحملها فلما رآنى ، قال لى : عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإلٰه ، فقلت : نعم ، قال : هل لك فىّ ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعم ها الله إذا ، قال : فطرحت الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط !! أما لكم حاجة فى اللبن ؟ ثم خرجت أمشى بهما .

قال ابن هشام : يريد باللبن : أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن(١) .

وقال ابن إسحاق : حدثنى عبد الواحد بن أبى عوف ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، قال : قال لى أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإلٰه ، من الرجل منكم المعلم بريشة نَعَامَةٍ فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى ، وكان هو الذى يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام ، =

(١) خبر صحيح ، وإسناده منقطع ، أخرجه الطبرى [٤٥١/٢ - ٤٥٢] فى تاريخه ، والبيهقى [٩١/٣] فى الدلائل ، وأورده ابن كثير [٢٨٥/٣ - ٢٨٦] كلهم نقلاً عن ابن إسحاق وأخرجه البيهقى [٩١/٣] من طريق ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف فذكره مرسلاً ، وأخرجه الحاكم [٣٠٧/٣] ، والبيهقى [٩٠/٣] فى دلائل النبوة من طريق آخر بنحوه .

http://kotob.has.it

فهذا رجل تأبى عليه عزته الهرب مع من هرب فيقف فى الميدان مستمداً الشجاعة والدفء من الإمساك بيد ولده علي .

وفى آخر الفقرة تقول : [redacted] **« وكان رجلا ثقيلا »** .

فهل كانت شجاعة أم ثقلاً ؟ ولِمَ يرمى ثقيل نفسه فى المعركة ؟! ما ذاك إلا بدافع العنجهية والكبر واستصغار المسلمين ، وهل كان أمية بن خلف يسير على قدميه ؟! أم كان له من الرواحل والجياد ما يمكنه من الفرار أو الانسحاب ؟ ألا يحق للمؤمنين أن يثأروا لأنفسهم وكرامتهم التى دأبت قريش على إهدارها وكانت تَعتبر فقرهم منقصة وإيمانهم تجارة تباع باللبن . هذا هو تحليلك لموقف الصحابة أنصاراً ومهاجرين ، التعيير بالفقر ، وحب الغنى هو الدافع لهم .

= فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : « أَحد أَحد » قال : فلما رآه قال : رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا ، قال : قلت أى بلال [أبأ] سيرى ؟ قال : لا نجوت إن نجا ، قال قلت : أتسمع يا ابن السوداء ؟ قال : لا نجوت إن نجا ، قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار اللّٰه ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا ، قال : فأحاطوا بنا ، حتى جعلونا فى مثل المَسَكَة وأنا أدب عنه ، قال : فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط ، قال : فقلت : انج بنفسك ، ولا نجاء بك ، فواللّٰه ما أغنى عنك شيئاً ، قال فهبروهما بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما ، قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم اللّٰه بلالًا ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرى[1] . سيرة ابن هشام [٢/٢٩٤ - ٢٩٦] .

---

(١) إسناده حسن . أخرجه الطبرى [٢/٢٧٢ ، ٢٧٣] فى تاريخه ، وأورده ابن كثير [٣/٢٨٦] فى البداية كلاهما نقلًا عن ابن إسحاق . وفى سنده ابن أبى عون ، وهو صدوق يخطئ .

http://kotob.has.it

٣٧

ومما يؤيد هذا التخبط ما أوردته في صفحة [٩٣] :

« وكان في الأسرى « النضر بن الحارث » ربيب مدرسة جند يسابور الذي تعلم هناك علوم الحضارات ، بما فيها أخبار الأقدمين ، في بعث أثرياء مكة أبناءهم لمدارس الحضارات ، وكان يقعد مع زميله « عقبة ابن أبي معيط » للنبي بمكة مقعد رصد ، ليتوجهوا له باستفسارات كثيرة بقصد الإحراج والإيذاء ، وعادة ما كانوا يعقبون بقولهم للناس : تعالوا ، نقول لكم أفضل مما قال ، وللصدفة العجيبة أن يقع مع « النضر » في الأسر ، رفيقه المثقف « عقبة بن أبي معيط » ، ليسيرا في ركاب الركب المنتصر مقيدين » .

أما المثقفون الذين تعلموا في مدرسة جند يسابور الذين تعلموا هنالك علوم الحضارات بما فيها أخبار الأقدمين « الأساطير » كما زعمت والتى هي أساس للمنهج العلماني اليوم ، فهى إن صحت لم تعلمهم هذه المدارس احترام حرية الأديان فكانوا يستخدمون علومهم للتشويش على المسلمين وليس لغرض علمي ، وما يؤكد ذلك هو قولك : إن الحارث بن النضر وعقبة بن أبى معيط كانا بمقعد رصد للنبى ﷺ باستفسارات كثيرة بقصد الإحراج والإيذاء ، أما الإحراج فلم يحرج أحد المصطفى ﷺ وأما الإيذاء فنعم ، ومنها ما أشار إليه المصطفى ﷺ واصفاً ما فعله عقبة إذ جاءه وهو ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنق المصطفى ﷺ حتى ظن أن عينيه ستداران ، وجاءه مرة أخرى بسلا جزور فألقاها على رأسه الشريف ، فجاءت فاطمة فغسلته من رأسه ، فلعل هذا بعض ما تعلّمه في الجامعات الحضارية من عدم الإيمان بحرية الاعتقاد ، فانظر بين حالهم وقتل المصطفى له وزميله ، وعفو المصطفى عن

http://kotob.has.it

أبي البختري الذي لم يكن يؤذي المصطفى وهو يتعبد ، فهذا آمن بحرية الدين وأولئك لم يؤمنوا إلا بأن تعبد آلهتهم ، ثم استفضت في ذكر المزايدات التي لو لم ترهق نفسك فيها لأرحتنا واسترحت واستفضت في ذكر قصص [من صفحة ٩٦ : ١٠١] وما كان أغناك عن ذلك لو اتبعت أسلوب المحايدين فجميع أخبارك من كتب الأخبار والقصص التي لا تثبت عند التمحيص ، ولو عدت إلى كتب صحيح السيرة المحققة بموازين أهل الحديث من جرح وتعديل ؛ لوجدت أن أغلب ما أوردته من أخبار وقصص بلا سند يوثق به ، والبقية الباقية أخبار ضعيفة لفقتها من عندك ، حيث إنك أخذت جزءاً من الرواية من كتاب وأكملت بقية الرواية من كتاب آخر ، ليصب كل ذلك في منظومة قصصية لا وجود لها إلا في رأسك ومخيلتك وتستنتج منها وتحلل وتغمز وتلمز ، ولو اعتمدت منهج المحدثين لنبذت كثيراً من رواياتك وأرحت نفسك ووَفَرْتَ عرضك واسترحت .

وأما قولك عن عقبة والنضر بن الحارث : أنهما كانا يحرجان المصطفى ﷺ ، فهلا ذكرتِ قصة الإحراج ، فإن كنت تراها إحراجاً فإنا نراها دليلاً على صحة الوحي ، ذلك أن المصطفى ﷺ لم ينسب القرآن إليه ، وإنما كان يجيب ويتكلم بما يوحى إليه ، ولم يكن كما قالوا - وكما تغمز وتلمز أنت - أنه يتعلمه من الرهبان وغيرهم كما جاء ذلك منفياً في قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] .

وأما المثقفون الذين كانوا يقولون : تعالوا نعلمكم خيرا مما يقول فاقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ

http://kotob.has.it

وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل] .

في هذه الآية يتضح أن مرد استكبارهم هو الأساطير ، فهم يتحملون أوزارهم وأوزار مَنْ يضلونهم ، وكذلك من ينحو نحوهم وينسب الدين إلى الأساطير والتوحيد إلى فرعون .

ومع ادعائهم بالعلم فلم يجدوا ملجأ إلا أحبار اليهود يسألونهم من أخبار الأنبياء ، فعاد المثقفون مرة أخرى إلى ميراث الأنبياء ، فيالها من ثقافة جهلتها الأساطير فكان من أمرهم أن قريشا بعثت ابن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفا لهم أمره ، وبعض قوله ، وقالا : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن ؛ فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فرُوا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك ؛ فإنه نبي فاتبعوه ، وإن هو لم يخبركم ، فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم

http://kotob.has.it

بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ، فأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، أخبرنا ، فسألوه عما أخبروهم به ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « أخبركم غدا بما سألتم عنه » ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وقد أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف .

فهذا الإحراج المزعوم وتأخر نزول الوحي لهو دليل على أن القرآن وحي يوحى لا ينزل بأمر المصطفى ﷺ ، وإنما ينزل بأمر الله ، فحتى هو ﷺ حزن لتأخر الوحي ، ولو كان من عنده لأجاب ولو كان ممن يلحدون إليه - إن كان هناك من يعلمه - لسأله وأجاب ، هذا هو الإحراج الذي تحاشيت أن تذكره بتمامه . فأنت لا تؤمن بالإعجاز وإنما بالتطور ودخول الأساطير إلى الرسالات ومنها إلى الإسلام كما تفرضه عليك عقيدتك .

ثم يقول في صفحة [١٠٢] :

« أما المشركون « والرواة أسلموا بعد ذلك عند الفتح » ، فوجد بعضهم - فيما يبدو - في هبوط الملائكة ، تبريراً لهزيمتهم المخجلة أمام المسلمين ، فحاك بعضهم على ذات النول ، فهذا « المغيرة بن الحارث » يذكر أنه كان قال زمن بدر ، لأبي لهب : « وايم الله ما لمت الناس ، لقينا رجالاً

http://kotob.has.it

بيضاً على خيل بلق ، بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئاً ، ولا يقوم لها شيء » .

وهكذا تقدم الطلقاء بدلائهم إلى مائدة المزايدات ، ومنها رواية « ابن حجر » في الإصابة [٩/٢] ، عن « السائب بن أبى حبيش » الذى أسلم يوم الفتح الإسلامى لمكة ، ونال من الرسول نصيبه من الأعطيات ، ثلاثين وسقاً في خيبر ، فكان يحدث الناس زمن « عمر ابن الخطاب » عندما قرر عمر قطع أنصبة المؤلفة قلوبهم عنهم ، بقوله : « والله ما أسرنى أحد من الناس ، فيقال : فمن ؟ فيقول : لما انهزمت قريش انهزمت معها ، فأدركنى رجل طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض ، فأوثقنى رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدنى مربوطاً ، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر : من أسر هذا ؟ فليس أحد يزعم أنه أسرنى ، حتى انتهى بى إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله : « يا ابن أبى حبيش ، من أسرك ؟ فقلت : لا أعرفه ، وكرهت أن أخبره بالذى رأيت ، فقال رسول الله : « أسرك ملك من الملائكة ، اذهب يا ابن عوف بأسيرك فذهب بى عبد الرحمن بن عوف ، فقال السائب : ما زلت تلك الكلمات أحفظها ، وتأخر إسلامى ، حتى كان من أمرى ما كان .

أما البيهقى ، فيعقب على رواية السائب بقوله الكاشف : ولا أعلمه روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - شيئاً .

٣٨

وأضيف : فأنت ها هنا لم تصدق رواية المسلمين آنذاك ، وأيضا شككت في روايات المشركين بعد أن أسلموا وما حدثوا رؤيتهم للخوارق وليس هذا من الإنصاف والتجرد في البحث بأن تكذب هذه الجمهرة مع اختلاف مواقعهم حين المعركة .

٣٩

يقول المؤلف فى كتاب حروب دولة الرسول [ص ١٠٧] :

« واللات والعزى لا نرجع ، حتى نقرن محمداً وأصحابه فى الحبال ، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً ، كان هذا نداء أبى جهل « أبو الحكم ابن هشام » أحد رجالات الملأ القرشي ، لما أقبلت قريش إلى بدر تحتفل بنجاة تجارتها ، ثم تيقنت أن النبى وأصحابه قد سبقوهم إلى هناك » .

المثير أن الاعتماد على قول أبي جهل فى أنهم لن يرجعوا حتى يقرنوا محمداً وأصحابه بالحبال لا يمكن الاستنتاج منه كما ذهبت إلى أن الغاية منه تحاشى قريش القتل طمعاً فى الأسر ، فمن غير المعقول فى وطيس المعركة أن أستسلم للأسر لمن يريد قتلى ، وإنما هو تحميل للأمر أكثر مما يحتمل ، لإظهار أن هنالك خطة بعدم القتل ، بل هو إمعان فى كفر قريش وظن الضعف للمصطفى ﷺ ، ففى الحرب إما قتل أو أسر أو فرار ، وإذا كانت لقريش رغبة فى الأسر لفكرت فى تطويق جيش المسلمين ، وهم ثلاثة أضعاف عدد المسلمين وأكثر منهم عدة وعتاداً .

http://kotob.has.it

ويذكر أيضاً فى ذات الصفحة [ص ١٠٧] :

« بداية يمكننا الوقوف مع ما نبه إليه « أحمد إبراهيم الشريف » ، عن وضع المكيين فى مكة قبل الخروج إلى بدر ، وكيف كان الهاشميون ، آل بيت العشيرة النبوية ، عيوناً له على أهل مكة ، يرسلون له بأدق التفاصيل ، ويحيطونه علماً بأخبار الملأ ، وبالأحوال الاقتصادية والاجتماعية كلما جد جديد ، وأية تحركات مهما صغر شأنها ، مع ما كانوا يذيعونه بين أهل مكة فيما نعرفه بالحرب النفسية ، لإضعاف الروح المعنوية لرجال البيت الأموى وأشراف الملأ ، وهو ما رأيناه من جهتنا ، فى أمثلة سبق ورصدناها فى موقعها من السياق ، كرؤيا « عاتكة بنت عبد المطلب » ، ورؤيا « جهيم بن الصلت بن عبد المطلب » ، مع التهديد الواضح والمباشر ، الذى حمله « سعد بن معاذ » من يثرب إلى مكة ، فى عمرة أعلن أثناءها إمكان يثرب قطع طريق الإيلاف الشامى ، وذلك قبل وقعة بدر بقليل » .

أما قراءة أحمد بن إبراهيم الشريف وما ذكره عن الحرب النفسية والتى رصدتها فى موقعها من السياق كرؤيا « عاتكة » ورؤيا « جهيم » فلا أدري ، هل الحرب النفسية تنبئ عما سيكون ؟! أو تحدد أسماء أشخاص وتحدد الزمن ، أليس فى هذا إفراط فى التحليل المادي ؟! فإما أن تعتبر هذه الرؤى من الخرافات التى أسقطت بالتاريخ الإسلامى كما أشار كثير من المحققين الذين سلكوا منهج أهل الحديث فى تمحيص الروايات ، وإما أن تستنتج منها ما يتلاءم معها فلا يمكن التحدث عن المستقبل ويقع كما أخبر ، ثم نعتبره جزءا من الحرب النفسية ، ثم كيف تؤمن بها وهي من الميتافيزيقيا التي لا يؤمن بها

الماديون ؟ وكما قلت للدكتور « حنفي » إنك مادي ؛ ولكن هل أصبحت لديك معقولة لأنك وجدت مكاناً لتوظيفها في بناء الأسطورة ؟

٤١

ويقول المؤلف فى [ص : ١٠٨] :

« وتتأرجح أحوال القرشيين النفسية ، مع كل موقف جديد ، ليجدّ جديد آخر ، وقد وجهوا وجهتهم نحو بدر ، فتنخزل عنهم بنو زهرة أخوال النبي عليه الصلاة والسلام المباشرون ، وأهل « آمنة بنت وهب » ، التي تركته طفلا يتيماً ، وهم من يمثلون ثلث عدد الخارجين ، ويعودون إلى مكة مكتفين من المغنم بنجاة تجارتهم ورجالهم ، راغبين عن الحفل السامر الذي دعا إليه « أبو الحكم » ، والذي تحول مع الأخبار القادمة مع المتجسسين والعيون ، إلى أرقٍ وترقب لما ينتظرهم ببدر » .

وتعليقنا : أن انخزال بنى زهرة أهل آمنة بنت وهب لا يستقيم كما ذكرنا سابقاً ، وأن بنى زهرة عرضوا على أبى جهل رأيهم فى الموضوع بأن خروجهم كان إنقاذاً للقافلة وليس للقتال ، بالإضافة إلى استماعهم النصح من المصطفى ﷺ الذى بلّغ لهم عن طريق عمر بن الخطاب فشعروا فيه الإنصاف .

٤٢

أما تبرير انهزام المشركين فيقول المؤلف فى [ص : ١٠٩] :

« ويبدو أن الكثرة العددية للقرشيين، مقارنة بعدد المسلمين ، كانت مدعاة في نظر البعض ، لعدم البحث عن أي ظرف آخر لهزيمة قريش

http://kotob.has.it

فهي المعجزة ، ولا جدال عندنا أنها معجزة انتهت بانتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله، لكن مع الأخذ في الحسبان أن تلك الكثرة القرشية ، كانت تحتوي على تناقض صارخ في الأعمار مع القلة الإسلامية ، حيث كان الجمع القرشي يحوي الأشراف والأجلة من شيوخ قريش ، مقابل جيش إسلامي يضم في معظمه شباباً كله فتوة ، مع رجال يثرب المتمرسين بالحرب المترسين بالحلقة » .

وتحليل ذلك بأن جيش قريش حيث كان الجمع القرشي يحوي الأشراف من شيوخ قريش مقابل جيش كله فتوة مع رجال يثرب المتمرسين ، فأقول : هل كان عكرمة من الشيوخ ؟ وهل كان ابن أمية بن خلف من الشيوخ ؟ وهل كان ابن أبي بكر الصديق من الشيوخ - هذا على سبيل المثال فقط لجهلك وليس الحصر - على أن جيش قريش لم يكن كله شيوخا ، فالشيوخ يعدون على الأصابع ، أما بقية الجيش فكان من الشباب والمحاربين ذوي العتاد والعدة ، فلا يستقيم هذا التحليل الذي تدعيه أيضاً .

٤٣

أما قولك فى ذات الصفحة أيضاً :

« ولا نزاع في أن وصول قريش إلى بدر متأخرة عن المسلمين بيوم كامل ، لم يعطها فرصة اتخاذ المواقع الملائمة في الحرب ، خاصة أنها ما أن دخلت وادي بدر حتى بدأت المعركة ، مع الجهد والعطش الذي أخذ بها وهي تحث الخطى أملاً في مياه بدر التي وصلتها وقد غوّرت ، مع تضارب رأي الرؤوس منها نتيجة غياب القائد الواحد ، حيث كان « أبو سفيان – صخر بن حرب » صاحب اللواء متغيبا مع قافلته ، مما

http://kotob.has.it

كان سببا في خلف عظيم بين الملأ في كل شأن منذ خرجوا من مكة ، فحاربوا بدون قائد ولا ترتيب ولا حتى نفوس مهيأة للمعركة » .

وتعليقنا : إن قولك بغياب القائد الواحد أبي سفيان يتناقض مع ما ذهبت إليه سابقاً من تعليمات أبي جهل بقوله : فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً ، ألم يكن هو القائد ، فإذا لم يكن هو القائد فعلام أطاعوه ؟ ومن المعلوم أن أبا جهل من بني مخزوم ولهم الأعنة ومنهم خالد بن الوليد .

٤٤

ثم أشرت بقولك فى [ص ١١٢] ناقلاً عن البيهقي :

« يقول « البيهقي » معقباً على غزوة بدر ، وما أدت إليه من نتائج : وأذل الله بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين ، فلم يبق فى المدينة منافق ولا يهودي ، إلا وهو خاضع عنقه لوقعة بدر » .

فذهبت تحلل بقولك : حتى إن النبى ﷺ عندما بعث رجاله بيشرى إلى يثرب ولإلقاء الرعب فى قلوب المتظاهرين بالطاعة وأن كعب بن الأشرف قال مقالته : « إن كان محمد قد قتل هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها » ، فيه دليل على أن ابن الأشرف دخل فى منطقة الخيانة العظمى ونقض العهد ويجوز قتله بكافة الطرق ، فعلام تغمز وتلمز بغير حق فى قصة قتل كعب ابن الأشرف[1] .

---

(١) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لِكَعْب ابن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسُولهُ » فقام محمد بن مَسْلَمَة فقال : يا رسول الله أتُحِبُّ أن أقتله ؟ قال : « نعم » قال : فائذن لى أن أقول شيئا قال : « قل » فأتاهُ محمد ابن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عنانا وإنى قد أتيتك أستسلِفُك =

http://kotob.has.it

= قال : « وأيضا والله لَتَمَلَّنَّهُ » قال : إنَّا قد اتبعناه فلا نُحِب أن نَدَعهُ حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه وقد أردنا أن تُسلفَنا وسقاً أو وسقين ، وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر وسقا أو وسقين فقلت له فيه وسقاً أو وسقين فقال : أَرَى فيه وسقا أو وسقين فقال : نعم . أرهنُونى ، قالوا : أى شىء تريد ؟ قال : أرهنونى نساءَكم . قالوا : كيف نَرْهَنُكَ نساءَنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فأرهنونى أبناءَكُم ؟ قالوا : كيف نَرْهُنَكَ أبناءَنا فَيُسَبُّ أَحَدُهُم ؟ فيقال : رُهِنَ بِوَسْق أو وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللَّأْمَة قال سُفيان : يعنى السلاح فواعده أن يأتيه ، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال : إنما هو محمد بن مَسْلَمَة وأخى أبو نائلة وقال غير عمرو : قالت أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة إن الكريم لو دُعِىَ إلى طعنة بليل لأجاب . قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين قيل لسفيان : سماهم عمرو قال : سمى بعضهم قال عمرو : جاء معه برجلين وقال غير عمرو أبو عبس بن جبر والحارث ابن أوس وعباد بن بِشر قال عمرو : جاء معه برجلين فقال : إذا ما جاء فإنى قائل بِشَعَرِهِ فأشَمُّهُ فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مَرَّةً ، ثم أُشِمُّكُمْ فنزل إليهم مُتوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال : ما رأيت كاليوم ريحا أى أطيب وقال غير عمرو : قال عندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب ، قال عمرو : فقال أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال : نعم . فشمه ثم أَشَمَّ أصحابه ثم قال : أتأذن لى ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه . قال : دونكم فَقَتَلُوهُ ، ثم أتوا النبى ﷺ فأخبروه .

أخرجه البخارى [٤٠٣٧] .

وقال الحافظ ابن حجر : قوله : « آذى الله ورسوله » فى رواية محمد بن محمود بن محمد ابن مسلمة عن جابر عند الحاكم فى الإكليل « فقد آذانا بشعره وقوى المشركين » وأخرج ابن عائذ من طريق الكلبى أن كعب بن الأشرف قدم على مشركى قريش فحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين . ومن طريق أبى الأسود عن عروة « أنه كان يهجو النبى ﷺ والمسلمين ويحرض قريشاً عليهم ، وأنه لما قدم على قريش قالوا له : أديننا أهدى أم دين محمد ؟ قال : دينكم . فقال النبى ﷺ من لنا بابن الأشرف ؛ فإنه قد استعلن =

http://kotob.has.it

وأشرت فى [ص ١١٣] : ☚

« وكان الأسـود بن عبد المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعـة ابن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحل النحب ؟ هل بكت قريش على قتلاها . لعلي أبكي على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوفي قد احترق ، قال : فلما رجع الغلام إليه قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته ، فذاك حين يقول الأسود :

أتبـكي أن يضـــل لها بعـير ويمنعها من النـــوم السـهود
فلا تبـكي عـلى بكـر ولـكن على بدر تقاصـرت الجدود » .

فإن كان بنو هاشم قد أُصيبوا ، وكان الأسود بن عبد المطلب أيضاً أصيب له ثلاثة أبناء : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، فأولاً هؤلاء من الشباب وهذا ما يُدحض الفرية السابقة فى أن قريشا من الشيوخ ، وأيضاً فيه ما يُدحض أن بنى هاشم كانوا كلهم عيوناً للمصطفى ﷺ ، فهل لم يكن هؤلاء منهم ؟!

= بعداوتنا » ووجدت فى « فوائد عبد اللّٰه بن إسحق الخراسانى » من مرسل عكرمة بسند ضعيف إليه لقتل كعب سبباً آخر ، وهو أنه صنع طعاماً وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو النبى ﷺ إلى الوليمة فإذا حضر فتكوا به ، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه ، فأعلمه جبريل بما أضمروه بعد أن جالسه ، فقام فستره جبريل بجناحه فخرج ، فلما فقدوه تفرقوا ، فقال حينئذ : من ينتدب لقتل كعب . ويمكن الجمع بتعدد الأسباب .

فتح البارى [٨/٧٧] .

http://kotob.has.it

ثم تحمل الأمر أكثر مما يحتمل عندما قلت فى ذات الصفحة : ■

« فتضرب في غضبها أمن كسبها ، في رواية « ابن كثير » عن خروج « سعد بن النعمان » الأنصاري معتمراً إلى مكة ، لنرى تلك العمرة ذات غرض واضح للجس والاختبار ، ومعرفة مدى ما وصلت إليه أعصاب قريش ، ومما ليس له معنى - في رأينا - أن ينزل أنصاري إلى مكة ، وأفلاذ كبد مكة لم تزل دماؤها لينة طرية على أرض بدر ، لولا غرض واحد يستحق ذلك ، فيقول ابن كثير : « خرج سعد بن النعمان ابن أكال ، أخو بني عمرو بن عوف معتمراً . وكان شيخا مسلماً ، في غنم له بالبقيع ، فخرج من هنالك معتمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجًا أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو » .

فهل كان من العدل أن يؤخذ حاج معتمر أسيراً ؟ وهل هذه فطنة قريش وحكمتها مما دفع المصطفى ﷺ إلى أن يطلق سراح عمرو بن أبى سفيان فداء للحاج الأسير ؟ أم تريد تبريرا لفعل أبى سفيان حينما كان مشركاً بإلصاق تهمة التجسس ورصد الأخبار حتى يكونوا رأساً برأس مع أسير الحرب عمرو ابن أبى سفيان ، ثم هل كان المصطفى ﷺ فى حاجة لمن يتجسس له الأخبار ، وهناك بنو هاشم الذين يأتون له بالأخبار - حسب زعمك - أليس هذا تناقضاً ؟ وهل سيأتيهم حاج بأخبار أكثر دقة من بنى هاشم ؟

http://kotob.has.it

وأما التحليل الذى أوردته فى [ص ١١٦] بقولك :
« هذا مع نتائج أخطر على مستوى شكل الدولة الاجتماعي المقبل ، كناتج لتعزيز سلطة النبي الحاكمة ، وهو الأمر الذي أدى إلى تراجعات عن الأممية المطلقة ، والأخوة المطلقة « المؤاخاة » التي كادت تكون مشاعاً ، وإلغاء نظام المؤاخاة ، بعد ما حاز المهاجرون من نفل طيب ، وأموال من فك الأسرى ، لتطفر الدعوات الأولى للامتلاك والتبرجز ، والتي بدأت ترغيبا في امتلاك كنوز كسرى وقيصر ، كذلك سنرى فيما بعد ، أن المشاركة في بدر كانت أساسا في الحصول على الهبات ، ومقياسا للأعطيات ، بعد أن اعتلى المحاربون السابقون مكانهم المتميز في الدولة ، وبينما كان الباقون منهم على قيد الحياة يتحولون نحو الثراء والامتلاك ، كان يتم استحضار روح الآيات المكية الأولى ، التي كرست الملكية الفردية ، وقدمت عقلنة واضحة للتفاوت الطبقي ، من قبيل :

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [النحل : ٧١] .
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٥] .
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

لتبدأ مرحلة جديدة على الخط الاستراتيجي ، متجاوزة المرحلة التكتيكية المتحالفة مع المستضعفين ، تستكمل خططها الأصلي ، لكنها وهي بسبيل ذلك تشكل تراجعا محسوبا عن الأممية المطلقة » .

http://kotob.has.it

وأُذكر القارئ بكلام جولد تسهير فى التمهيد أول الكتاب عن الخطط وتغيرها في المدينة .

كما أنك تأبى إلا أن تفسر التاريخ تفسيراً ماركسياً بادعاء إلغاء نظام المؤاخاة مع أن المؤمنين إخوة إلى أن تقوم الساعة ، وظهور التبرجز نظير الحصول على الأموال ، ولا تنسى طبعك فتسير حركى تخضع الآيات الآنفة التى ذكرتها لتجعل كل ذلك نقلة من المرحلة التكتيكية إلى المرحلة الاستراتيجية ، فالتكتيك كان تحالفاً مع المستضعفين ، أما الاستراتيجية فغير ذلك ، وما كان الرسول ﷺ ليفعل هذا الأمر ، فمنذ بدء الدعوة وهو يدعو إلى المساواة وإلى العدل ولم يستخدم المستضعفين قط دون غيرهم ، بل وتركيبة المهاجرين الأوائل كانت تحمل جميع الفئات ، بل وجميع القبائل وجميع بطون قريش ، وذلك كله ثابت فى كتب التاريخ والسير ، ولكن الهوى يعمى ويصم .. ألا يوجد ذرة من التنزيه ، تنزيه المصطفى ﷺ ، وتنزيه القرآن عن الفكر المادي ، فإنه غير خاضع لأهواء البشر والدليل قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ .

٤٧

ونتابع القراءة مع الكاتب إلى [ص ١١٧ ، ١١٨] حيث يقول :

« ومن ثم فإن قراءة نتائج غزوة بدر ، تلاحظ بداية الأسلوب الوسطي المتوازن للدولة بين النقائض ، فتدعو لتوحد أممي تحت راية واحدة ، وسيادة دولة موحدة ، وتحت إمرة سلطة نبوية واحدة ، لكنها تضم في

http://kotob.has.it

شكلها الاقتصادي لونا طبقيا لا نزاع فيه ، وتحوي في شكلها الاجتماعي قبائل متوحدة ، لكنه توحد غير منفرط إلى فردية مطلقة ، إنما ترابط لأضمومات قبلية في هيئة حزم موثقة بوثاق واحد في إطار الدولة ، وهو ما تلحظه القراءة المدققة لنزول المسلمين إلى بدر تحت راية واحدة للرسول ، وشعار واحد هو : « يا منصور أمِت » ، لكنها انقسمت إلى رايات ثلاث تسير تحت ظل راية الرسول ، وتنادت بثلاثة شعارات ، تحت الشعار الموحد ، فكان للخزرج رايتهم ، وللأوس رايتهم ، وللمهاجرين رايتهم ، وكان لكل من الحزم الثلاث نداءات شعارية ثلاثة .

هذا بينما تم الإبقاء على الفردية والولاء الفردي والمسئولية الفردية ، ولكن في عالم الفكرة عالم السماوات الإلهي ، العالم الآخر في علاقة المسلم بربه ، فتم تأجيل الفردية المطلقة بمسئولية الفرد الكاملة والذاتية إلى فيما بعد ، لأن تلك المسئولية المطلقة إنما تعني أيضا حرية مطلقة ، وهو ما يتصادم مع الصرامة المطلقة المطلوبة للسلطة النبوية لإقامة الدولة دون معوقات وهو ما يفسر لنا تجاور الآيات التي تؤكد مسئولية الفرد عن أفعاله أمام الله ، والآيات التي تؤكد من جانب آخر الجبرية والحد من تلك الحرية المطلقة » .

وتعليقنا : أنك تصر على أنه الأسلوب الوسط للدولة بين العقائد ، فراية واحدة ، وسيادة دولة واحدة ، وسلطان النبى ، إلا أن هنالك لوناً طبقيًا لا نزاع فيه ، فما زالت الطبقية والبرجوازية ومصطلحاتها الحديثة هذه تطبق على أقوام لم يدر بخلدهم هذا التحليل ، وأن التحالفات القبلية ما زالت موجودة ، واستدلالك بالثلاث رايات ألم تكن الثلاث رايات والثلاث شعارات هي الطريق الأقوم لمعرفة الجنود بعضهم البعض ؟ أم هى الإثارة القبلية ؟

http://kotob.has.it

ثم انتقلت إلى تحليل عجيب بأن المسئولية الفردية انتقلت إلى عالم الفكرة عالم السموات الإلهى ، علاقة المسلم بربه ، فهل علاقة المسلم بربه تشمل فقط العبادات ؟ إن الإسلام أدخل التنظيم فى كل حياة المجتمع ، وأولها علاقة المسلمين بالمجتمع ، وعلاقة الأفراد جميعاً بالمجتمع ، وحقوق المجتمع التى جعلها اللّه جزءاً من التكاليف ، فهل الزكاة - والتى هى عبادة - ينال اللّهَ منها شىء . ولو درست العبادات لوجدت أن جلها يعود بالنفع على الفرد والمجتمع ، بل والتكافل ألا يعود على المجتمع بالرغم من أنه يأخذ شكل العبادة فى الصدقات .

٤٨

وبعد تحليل طويل تنتهى فى [ص ١١٨] بقولك :

« وبسبيل حدوث ذلك ، ستبدأ الدولة تفصح تدريجيا عن وجهها الطبقي دون مواربة ، ليهدأ تنديد الآيات بالثروة وأصحابها ، مع خفوت متساوق في حديثها عن المستضعفين في الأرض ، ولكن ليظل التوازن بين النقيضين وعدم حسمه وسيلة بيد المستضعفين عندما يرتدي الصراع الطبقي زيه العشائري ، في صراع علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان ، وفي عدد آخر من ثورات المستضعفين ضد الدولة ، والذي ارتدى عادة زيه الفاطمي والهاشمي والعباسي ، العشائري أيضا » .

ولا أدري أي دولة تقصد بها ؟ هل هى دولة الرسول ﷺ ويا لها من دولة ، سيدها فقير ، وعشيرتها الأقربون فقراء ، ثم إنك لا تكتفى بهذا الحد بل تُدخل القرآن العظيم فى ترهاتك بقولك :

« ليهدأ تنديد الآيات بالثروة وأصحابها ، مع خفوت متساوق فى حديثها عن المستضعفين فى الأرض » .

http://kotob.has.it

فهل الآيات لها أيضاً تكتيك واستراتيجية وطبقية ؟! فإن كنت مصرًا على التنديد بالثروة ، فالإسلام لم يندد بالثروة فى حد ذاتها ، وإنما ندد بطرق كسبها غير المشروعة ، ونندد بما يرافقها من خيلاء لدى البعض وغرور وتكبر .

إن قراءة الآيات بشكل غير مرتب ، وذكر آيات وإخفاء أخرى ، وإغفال أسباب نزولها ، للاستشهاد بها وبالحوادث التاريخية لبناء نظرية قصصية خيالية لا وجود لها إلا فى ذهن مؤلفها أمر خطير لم تبتدعه أنت ، بل سبقك إليه الكثير من أدعياء العقلانية قديماً وحديثاً ، ولم يغير ذلك من الحقائق ، فالحق واضح جلي ، والباطل مهزوم مفتضح .

٤٩

وجاء فى [صفحة ١١٧] : [redacted]

« انهيار الحكومة الجمهورية البدائية الملأ وما تأسس على أنقاض ذلك من مملكة وراثية كبري » .

ولا أدري لماذا ضربت الصفح عن فترة الخلافة الراشدة والتى هى الامتداد الطبيعى لزمن النبوة ، والتى أشار إليها المصطفى ﷺ .

ولِمَ لم تذكر قوله تعالى : ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى : ٣٨] ، ولِمَ لم تذكر قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

ولم تذكر تنديد المصطفى ﷺ بالملك العضوض ، ولكن هذا هو حصيلة التحليل المادى والماركسي والطبقى والداروني للتاريخ .

كذلك بعد أن استفضت في قصص قتل اليهود ابتداءً من كعب بن الأشرف ، فتثبت شيئا وتنكر الآخر ، كإنكارك بأن كعباً شبب بنساء المسلمين [ص ١٢٧] ،

http://kotob.has.it

وكأن اليهود الذين دأبت على انتقادهم وتحريفاتهم ونقض مواثيقهم في كتبك السابقة انقلبوا إلى سادة وأشراف .

كأنه ليس من المشهور والمستفيض بين الناس نقضهم للعهود والمواثيق حتى بلغت في ذلك مبلغًا وصفت فيه القرآن بالسياسة إذ تقول في صفحة [١٢٨ ، ١٢٩] : ☜

« وعليه ، آذن فجر الأيام البدرية ، بمغرب مرحلة آن غروبها ، وأخذت آيات القرآن تتالى تحمل روح السياسة الجديدة ، تنسخ ما قد سلف من آيات المرحلة السابقة ، بآيات تنبئ بما هو آت ، توطئة لخلاص يثرب الكامل لسادتها الجدد .

نعم ، قالت الآيات في المرحلة السابقة يقيناً :

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] .
- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٤] .
- ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٣] .

لكن السياسة الجديدة ، جاءت بقرارات جديدة وحاسمة تقول :

- ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .
- ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران : ٨٣] .
- ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وهي السياسة التي ابتغت انضواء اليهود الكامل : السياسي والعقدي ، بحيث لا يكونون أحلافاً على ذات القدر من الندية السياسية والدينية ، أو العمل على إجلائهم عن يثرب ، أو استئصال شأفتهم ، وهو الأمر الذي سيتم تحقيقه بإصرار ودون هوادة ، والذي كان سببه الوضع

http://kotob.has.it

الخاص لليهود كأصحاب كتاب سماوي ، ودستور عقدي ، وهو ما جعلهم المنكر السماوي الحي لنبوة النبي العربي ، وهو ما كان يشكل خطراً دائما وحقيقياً على الدولة وأيديولوجيتها . وهنا تروي لنا كتب السير قصة غزوة « بني قينقاع » ، تلك القبيلة اليهودية التي يصف المؤرخون المسلمون رجالها بأنهم « كانوا أشجع يهود ، وكانوا صاغة ، وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت ، وعبد اللّه بن أُبي بن سلول » .

فهل عرفت أسباب نزول كل آية من تلك الآيات ، فضلا عن فهمها وشرحها وأخذت تضرب الآيات بعضها ببعض ، وتحسب أن هنالك تضاربا ، فلو كان هناك تضارب لم تكن الآيات الأُولى قرآنا يتلى ، يتعبد به إلى اليوم ، ولكن أَبيت إلا أن تقحم القرآن في سياسة رأسك وأوهام عقلك .

فواللّه ما كان القرآن الكريم ليحاكى ويداهن ، وليس لليهود من وضع خاص كأصحاب كتاب سماوي ، ودستور عقدي كما أشرت إلا بمقدار ما أعطاهم اللّه تعالى ترغيبا لهم وإعذارا إليهم ، فلم تشكل أفكارهم خطراً دائما وحقيقيا على الدولة وأيديولوجيتها كما تزعم . وهل الإسلام أيديولوجية أم دين ؟

وإن الاستغراق في هذا التحصيل ، ووصف الدين بالأيديولوجية أمر لا يليق ، ناهيك عن الخبط والخلط في فهم الآيات لإثبات نظريتك المادية في سطور حتى في الدين ، فكم كان عدد اليهود ، بل كم هو عدد اليهود الأُصليين من ذرية إسرائيل اليوم الذين بقوا على الدين اليهودي ، فلو استخرجت من إجمالي اليهود المعاصرين ، اليهود الخزر فإنك لا تجد من أبناء إسرائيل إلا النزر اليسير ، حيث تحول جزء كبير منهم إلى المسيحية ، وجزء آخر إلى الإسلام ، فأي خلط هذا ؟

http://kotob.has.it

ثم ما ذكرته من قصة غزو بني قينقاع ، واستنادك فيها إلى قصص وروايات وهمية ، وإن وردت في بعض كتب التاريخ فليس هذا من الأسلوب المقبول ، فمن المعلوم أن التاريخ دُوّن فى عصور مختلفة وفى ظل نزعات مختلفة ، وكان أكثر المؤرخين اعتدالًا يذكر النص بسنده ويقول : إنما أديت كما أُدّى إلى ، فقبل السرد في التحليل كان ينبغي التأكد والتوثق .

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

حتى ما ذكرته من قصة عبد الله بن أُبى ابن سلول وتوسطه لليهود ، فضحه المولى عز وجل في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة] .

٥٠

ثم ألا تستحي من الله كما ذكرت في [ص : ١٣٦] حيث تقول :

« ولما بلغت الأنباء رسول الله والمسلمين ، فرح المسلمون ، ورأى من لم يخـرج منهم إلى بدر فلم يصب مغنماً ، أن له نفلاً في وقعة قريبة ، فيروي « ابن هشام » « فقال رجال من المسلمين ، ممن كان فاته بدر :

http://kotob.has.it

يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا » .

هذا بينما كان « عبد الله بن أُبى بن سلول » ، ذلك الذي تصفه كتب السيرة بأنه زعيم المنافقين ، يرى غير ذلك ، والجهاد عنده هو الجهاد سواء داخل المدينة أم خارجها ، ولايجد - وهو الرجل الموسر - في المغانم رغبة ، قدر ما كانت نظرته تقدم على رؤية تعمل الخبرة القتالية ، والحكمة العسكرية ، وكان الخروج من المدينة إلى « أُحد » حيث عسكر المشركون على بعد ما ، لا يزيد عن ثلاثة أميال من المدينة ، يعني لابن سلول هزيمة محققة للمسلمين ، ومن هنا تقدم بالرأي يقول :

يا رسول الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا ، أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

وقامت الأنصار بدورها تقول :

يا رسول الله ، ما غلبنا أحد أتانا في دارنا... فكيف وأنت فيها ؟

ومع ذلك ، ظل الراغبون من المتحفزين للنفل ، أو للقاء الله على حميتهم للخروج إلى قريش ، وظلوا بالنبي يحفزونه حتى قام فلبس لباس الحرب ، فوضع البيضة على رأسه وتدرع بدرعين ، وكان ذلك يوم الجمعة من شهر شوال ، من السنة الثالثة للهجرة .

وخرج المسلمون ، ولكن على مشارف المدينة ، لا أكثر من ميل منها ، قرر « ابن أبي » العودة بأتباعه وهو سيد الخزرج ، فناداهم بقوله : ارجعوا أيها الناس ، عصاني وأطاع الولدان ، وما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ؟ » .

وهنا ترفع من درجة عبد الله بن أبي ابن سلول الذي وصفه القرآن بالنفاق ، وتصفه بالحنكة السياسية والعسكرية ، ولا رغبة له في الأنفال ، فهو الرجل الموسر ، فقال ما قال ، وهكذا حالكم جميعاً ، الذى فى صف الإسلام تحطُّون من شأنه ، ومن يعمل ضد الإسلام وكتابه فأنتم معه حتى آخر قطرة حبر من قلمكم لعلكم تنالون بها الرضوان عند أهل نوبل ، وما هى منكم ببعيد . ثم تصف الراغبين في الخروج إلى أحد بالمتحفزين للنفل أو للقاء حمية ، وأن الذين حفزوا رسول الله ﷺ على الخروج هم المهاجرون والأنصار الذين فاتهم شرف حضور غزوة بدر ، وتأبى إلا أن تفسر التاريخ تفسيرا ماديا ولا تدخل الجانب الإيماني ولو للحظة ، فتارة تقر مواقف المنافقين وتمجدها ، وتارة تمجد مواقف المشركين ، وهنا يأتي الأمر إلى المؤمنين حقا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله في محكم كتابه وتجعل دافعهم للخروج هو الأنفال ، وتعتبر عودة عبد الله بن أبي حكمة وحنكة تعده أمراً هيناً ، واستنبطت منه الحنكة العسكرية بإنقاذ أتباعه إزاء واقعة هي في رأيه لون من الانتحار .

وفي هذا الصدد تذكر في [ص ١٣٧] : [redacted]

« ومن ثم فكان حال الجيش الإسلامى ، كحال قريش في بدر ، منقسما على نفسه ، لكنه في أحد ، كان لايشكل أكثر من ربع جيش قريش ، وهي عوامل موضوعية ، كانت كفيلة لمن يقرأها أن يتنبأ بهزيمة ماحقة للمسلمين ، وهو ما قرأه « ابن أُبي » الذي صقلته الحروب بالحنكة العسكرية ، فنصح بعدم الخروج ، ثم رأى إنقاذ أتباعه ، فعاد بهم إزاء وقعة هي في رأيه لون من الانتحار ، ولا شك أن عودته كانت

http://kotob.has.it

من جانب آخر ضغطاً على المسلمين ليتراجعوا إلى المدينة ، وكان مثل ذلك الموقف كفيلاً بوضع « ابن سلول » في التاريخ الإسلامي كرأس للمنافقين ، وهو ما عبرت عنه عبارة ابن هشام :
فرجع بمن اتبعه من قومه، من أهل النفاق والريب » .

أي أنه أراد بذلك أن يضغط على المسلمين ليتراجعوا ، كأن رسول اللّه ﷺ ليس فيهم ، أما سمعت أن رسول اللّه ﷺ راجع الصحابة وشاورهم فى الخروج أو المقام وتلاوقوه وأكرهوه على الخروج ، فلما عزم عليه راجعهم صوابهم وأرادوا أن يثنوه ﷺ عن عزمه فقال ﷺ : « إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل »[(١)] ، أفكنت ترى أن ضغط ابن أُبي ابن سلول كان سيطيعه النبي بعد أن رفض واتخذ قرارا بالخروج ؟ إنه لو تراجع حينئذ عنه لفسّر بالتخاذل والخوف والتردد ، والعجيب أن تدافع عن أتباع ابن أُبي ابن سلول بعد أن وصفهم القرآن بالنفاق . كما ادعيت قَبلُ الحنكة لأبي جهل .

وبذلك تمجد عدم أخذ ابن سلول الوعد الأول مأخذ الجد واعتماده على معطيات الواقع وأن قرارهم كان مبنياً على حصانة يثرب وحرصه على إنقاذ مدينته .

يا سبحان اللّه ، أكان حرصه أشد من حرص رسول اللّه ﷺ على المدينة وأهلها .

ثم تقول : [redacted]
« إن محاولة بعض المفسرين لهذه الآية هي بجعل سبب نزول الآية « أُحد » والبعض الآخر علق النصر بالصبر والتقوى » .

---

(١) أخرجه أحمد [٣٥١/٣] ، والدارمى [٢١٥٥] .

http://kotob.has.it

فلِمَ لم تكمل التحليل ؟ فموقعة أُحد جولتان ، الجولة الأولى بأكملها للمسلمين حينما التزم الرماة بأمر رسول الله ﷺ ، وما وقعت الانتكاسة إلا حين فرّطوا في أمر رسول الله ﷺ ، ولا ينفع ما ذهبت إليه من تحليل .

ثم إنك لا تنسى أن تضيف في الصفحات التالية ما تشفى به ضغينتك فى عرضك تردد المسلمين للخروج في المبارزة لطلحة بن أبي طلحة ، ذلك الذي صرعه علي بن أبي طالب ، والرجل الثاني الذي خرج من المشركين والذي خرج له الزبير بعد أن دعاه ثلاثا ، ما كنت ها هنا تغفل أن خروج المسلمين كان بعد تمهل ، وأن الراغبين للقتال في الغزوتين - بدر وأحد - هم من المشركين ، ثم بعد ذلك تدعي أن قريشا هي التي تطلب السلم ، ثم ألم يسرك من شجاعة الزبير ما ذكرته كتب السير : فوثب وثبة فاستوى مع الداعي الثاني على بعيره » ثم يوثق النقل ، وكم هو طول البعير .

أليس في ذلك شجاعة وقوة منقطعة النظير، وما حصلت الانتكاسة إلا بعد أن خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ .

٥١

وذكرت في صفحة [١٤٣] :

« والله لقد رأيتنى أنظر إلى هند بنت عتبة وصواحباتها ، مشمرات هاربات ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير .

بينما يقول آخر :

والله لقد رأيت النساء يشتددن على الجبل ، قد بدت خلاخيلهن وسوقهن ، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير - الرماة - : الغنيمة ، الغنيمة .

http://kotob.has.it

وهكذا نزل الرماة يلهثون وراء الغنيمة وهو ما يصوره أحدهم : والله ما نجلس هنا لشيء ، قد أهلك الله العدو ، فتركوا منازلهم التى عهد إليهم النبي ألا يتركوها ، ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير ، فقالوا له : انهزم المشركون فما مقامنا ها هنا ؟ وانطلقوا ينتهبون وثبت عبد الله ابن جبير ، وثبت معه دون العشرة ،

لكنها لقارئ مدقق ، كانت الخطة والتكتيك ، فقد تقهقر قلب جيش المشركين ، وشمرت النساء عن سوقهن يصعدن الجبل في المعتليات ، وانطلق المسلمون خلفهن ، وترك الرماة مواقعهم ، بينما كانت ميمنة « خالد بن الوليد » في مكانها لا تتزحزح ، كذلك ميسرة « عكرمة بن أبي جهل » ، ظلت ثابتة دون حراك ، حتى إذا ما نزل الرماة ، أطبقت الأجنحة على الوسط ، وثبت القلب المتقهقر ليعاود الهجوم ، في هجمة مرتدة سريعة ، ثم ثنى « خالد » و « عكرمة » على الرماة ، فحملوا على من بقي منهم فقتلوهم مع أميرهم ابن جبير .

وأحاطوا بالمسلمين، فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والسلب ، إذ دخلت خيول المشركين تنادي فرسانها بشعارها : يا للعزى ، يا لهبل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون ... واختلط المسلمون ، وصار يضرب بعضهم بعضا من غير شعار ، وهو أمت ، أمت ، مما أصابهم من الدهش والحيرة » .

أي أنك تصف نزول الرماة لاهثين ، وتصف هزيمة قريش بتكتيك بتقهقر قلب الجيش ، وشمرت النساء للهرب ، كأنه استدراج للرماة ، وبقي خالد ابن الوليد في الميمنة وعكرمة في الميسرة ، حتى إذا ما نزل الرماة أطبقت الأجنحة في الوسط .

والله ما هو إلا خيال قصصي ليس له في الواقع شيء ، وما كان ليكون لولا نزول الرماة والانهزام المريع الذي حدث للمشركين .

http://kotob.has.it

وقد شاءت إرادة الله تأديب المخالفين فقد كان أغلب شهداء أحد من الرماة الذين تركوا مواقعهم .

وأما ادعاؤك أن الذين انفضوا عن رسول الله ﷺ كانوا من المهاجرين فادعاء غير صحيح ، فقد ذكرت كتب السيرة أن الذين تثبتوا مع رسول الله ﷺ هم ثلاثون رجلا نصفهم من المهاجرين والنصف الآخر من الأنصار .

حتى تماسك المسلمون وعادوا بعد ما حدث نتيجة الهجوم المباغت والالتفاف الذي نتج عن نزول الرماة ، بالإضافة إلى الذهول الذي أصابهم حين قيل : إن رسول الله ﷺ مات ، وسرعان ما عادوا .

ولكن وأنت القارئ المدقق ألم يلفت انتباهك شيء إذا كان المشركون قد خلصوا إلى الرسول ﷺ وأحاطوا به من كل جانب ، فلماذا لم يقتلوه ؟ ألم يكن فيه بقية من المهاجرين والأنصار دافعت عنه ﷺ فى مواجهة جيش المشركين كله والذي يبلغ ثلاثة أو أربعة أضعاف جيش المسلمين ، وأن الذين ثبتوا فقط ثلاثون رجلا ، فحتى الانكسار كان انتصاراً للمسلمين ، فلم يقتل من القادة وعلى رأسهم الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر أحد كما حدث لقريش وحملة ألويتها ، ولم يسقط لواء المسلمين لا في الجولة الأولى ولا في الجولة الثانية ، بل انتقلت الراية من مصعب بن عمير إلى يد عليّ بن أبي طالب .

ويحق لنا أن نتساءل كما تساءلت في معركة أُحد : ألم يكن هدف قريش هو استئصال المسلمين والثأر لكرامتهم ، فلِمَ لم يبيدوهم ، ولِمَ لم يتعقبوا الهاربين ؟ ولِمَ أسرعوا في الخروج من المدينة بجيش منتصر كما تدعي وأعداده خمسة أضعاف أعداد المسلمين ولم يقضوا على الجيش الذي أمامهم ولم يدخلوا المدينة وأسرعوا إلى الهرب ؟ والقارئ المدقق « كما تقول » لا بد

أن يسأل : بعد أن أحاط المشركون بالمسلمين فهذا حصار في العرف العسكري ، فكيف فك المسلمون الحصار « الذين نسبت إليهم الهرب » أليس بالقتال ؟ ثم عندما عادوا مرة أخرى ألم يخترقوا الحصار ؟ فحدث التخلخل في طوق المشركين فهل تم هذا بيسر وسهولة ؟ لماذا لا تنسبها إلى الشجاعة والبسالة والحنكة ؟!

إن المحلل الصادق يدرك أنها فرصة لم تدر لهم بخلد اهتبلوها وعاد لهم الرعب كما كان .

وقصة مطاردة الرسول ﷺ لهم صبيحة اليوم التالي وإصراره على ألا يخرج معه إلا من حضر معه موقعة أحد وهرب المشركين بالرغم من كثرة الروايات التي أوردتها ، ألا يدل على الانهزام النفسي لهم والرعب الذي تملكهم ؟

إن جيشا كهذا لو لم يكن النصر له من الله وحده لكان كفيلا للقضاء على المسلمين في أُحد واستباحة المدينة ، فلِمَ لم يصنعوه ، ولماذا لم تحقق حرب قريش أهدافها ، فأي انتصار هذا ؟

لقد ادعيت أن المسلمين انكشفوا عن رسول الله ﷺ ، وأصح الروايات التي رواها ابن هشام أن الذين ثبتوا هم ثلاثون رجلاً من الأنصار ونصفهم من المهاجرين :

فمن المهاجرين : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله ابن جحش ، وشماس بن عثمان المخزومي ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وعبد الله ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومصعب بن الزبير ، والزبير بن العوام .

http://kotob.has.it

ومن الأنصار : أبو دجانة ، ومالك بن سنان ، وزيد بن السكن ، وعمارة ابن زياد ، وقتادة بن النعمان ، وأنس بن النضر ، وسعد بن معاذ ، والحارث ابن الصمة ، وعبد اللّٰه بن عمرو بن حرام ، والحباب بن المنذر ، وأبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري ، وسهل بن حنف ، وكعب بن مالك ، ومحمد ابن مسلمة ، وغيرهم .

وأقول : لقد أشكل عليك نزول الملائكة ، ولنناقش هذا الأمر معك عقليا إن كان ثمة عقل :

إذا كان جيش المسلمين بعد انسحاب ابن أُبي ابن سلول ، كان ٧٠٠ شخص ، وجيش المشركين ٣٠٠٠ شخص ، وهو أكثر عدة وعتاداً . ولقد زعمت أن التكتيك لمشركي قريش كان هو ثبات الميمنة والميسرة وعليهما خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، فأطبق جيش المشركين على المسلمين .

ألم يكن من المفترض عقلاً أن يفني من هذا الجيش سدسه عدداً ؟ فلِمَ لم يحصل ذلك ؟

ولو زعمنا أن المسلمين انفضوا من حول رسول اللّٰه ﷺ ولم يبق إلا بعض أشخاص ، فلِمَ لم يقتلوهم ولم يقتلوا رسول اللّٰه ﷺ معهم ؟ فهل هذا إلا إمداد وتأييد لرسول اللّٰه ﷺ من السماء فوق طاقة البشر والسنن الكونية المعتادة .

ولو سلمنا برواية أن الذين ثبتوا هم ثلاثون شخصا ، وهم محاطون بثلاثة آلاف ، والقضاء عليهم ميسور آكد فى باب التأييد والإمداد الربانى أيضاً .

http://kotob.has.it

فالقصة بأي عدد شئت ثبت مع رسول اللّه ، فيها إمداد وتأييد وإعجاز ، فإما أن تسلّم بتأييد اللّه لرسوله ﷺ وهذا إعجاز ، وإما أن تسلّم بمدد اللّه لرسوله عن طريق الملائكة . ولا يلزم أن يكون هذا الإمداد أمراً مرتباً مشاهداً ، فقد يكون بالتخذيل للمشركين وعدم تسديد رميهم ، وتشتيت جمعهم ، فهي إحدى معجزتين لا بد من التسليم بإحداهما ، وإلا فالعقل يقضي بفناء هذه المجموعة للفارق العددي المذهل ، وهو ما لم يقع .

فإنكار الإعجاز أمر يخالف المنطق السليم ، أضف إلى ذلك إسراع قريش إلى ترك ساحة المعركة وهم المنتصرون حسب مفهومك .

ألم يكن من الواجب حربياً الإثخان وتحقيق الهدف وهو قتل رسول اللّه ﷺ .

وأما ما ادعيته من هرب الرسول ﷺ فهذا أمر غير معقول فقد ثبت أنه رمى بقوسه حتى انقطع وتره ، ولو لم يكن في وسط الجبهة ومقدمتها ما أصيب ؛ فإصابته تعني أنه كان في وسط المعركة .

فالآثار التي في جسمه الشريف ﷺ آثار رمي قريش ، سواء رمي بحجر أو سهم ، أو كما قيل : بسيف ... وهذه لا تقع إلا في رجل في وسط المعركة ، ولكن اللّه صرفها عنه . والذي سميته أنت أنه هروب من المصطفى ﷺ وكبار الصحابة إنما هو استعادة لأهم موقع في المعركة بعد أن خسروه بنزول الرماة وهو ما فتّ في عضد المشركين وأضعف حصارهم ؛ ويوضح ذلك قول المصطفى ﷺ : « لا ينبغي لهم أن يعلونا » .

فتراجع المشركين لديك تكتيكي واحتلال المصطفى وأصحابه لجبل الرماة مرة أخرى هروب وانكسار مما برر هذا الصمود البطولي .

http://kotob.has.it

ومن زعم أن الأنبياء لا يصابون ؟ فهذا تاريخ الأنبياء السابق منهم من جرح وأوذي ، بل ومنهم من قتل وقطع رأسه كيحيى عليه السلام .

إن الذي حدث هو مفاجئة جيش المسلمين نتيجة عصيان أمر المصطفى ﷺ فأتاهم الالتفاف من الخلف ، فأصيب المسلمون بدهشة ، والصحابة غير معصومين من الخطأ ، يعتريهم ما يعتري البشر من الارتباك والخوف . وقد هوجموا من الخلف ، وهو المأمن الذي كان لحماية ظهورهم ، فإن ابتعد بعضهم عن ساحة المعركة ما كان ذلك منهم إلا ليعودوا مرة أخرى بعد فك الحصار . ومجرد خروجهم من مشركي قريش بطولة . فإن فك الاختناق في حال المحاصرة ليس بالأمر اليسير ، وإنما يقتضي قتالاً حتى يتم الخروج من الحصار .

وأما حديثك عن الرجل الذي قال : قتل محمد ، وهو من المشركين ، فمعجزة ظاهرة للنبي ﷺ ، إذ شبّه عليه ، فما علم من الذي قتل ومن الذي لم يقتل . وشبه عليه أهو أبو بكر أم عمر وهم عظماء الصحابة ، أفليس هذا تأييد إلهي آخر يخرج عن نطاق السنن البشرية المألوفة .

وأما مسألة « قزمان » فلم تبتدأ حينما قتل نفسه بعد ذلك القتال الضاري والشجاعة التي ظهر بها . وإنما كان بإخبار المصطفى ﷺ على سبيل الإعجاز بالإخبار بالمغيبات ، إذ أخبر بنهايته قبل أن ينتحر عندما وصفه بأنه من أهل النار ، فتحقق ما قاله المصطفى ﷺ . فهي نبوءة نبوية صادقة ، ولو تتبعت كتب الحديث والسيرة لعلمت أن قزمان لم ينضم إلى جيش المسلمين إعلاءً لكلمة اللّه ، وإنما انضم بعد أن عيرته النساء بعد خروج المسلمين ، فأراد أن يثبت بطولته وشجاعته ، ولم يكن قتاله ابتغاء وجه اللّه . ومعلوم حديث

http://kotob.has.it

رسول اللّٰه فيمن يقاتل حمية ، ومن يقاتل شجاعة .. أنه من أهل النار ، وأنه لابد من القتال لتكون كلمة اللّٰه هي العليا .

فليس كل قتيل في المعركة شهيدا ، ولقد احتوت معركة أحـد على مثلين مختلفين ، فهذا رجل قاتل حمية ، وهو من أهل النار ، ورجل قاتل ولم يركع لله ركعة ، وصدق في إيمانه وإخلاصه ، وانضم إلى جيش المسلمين ، فاستشهد ودخل الجنة . وهذا دليل على اعتبار النية والإخلاص في الأعمال ، فإن ظواهر الأعمال لا اعتبار لها إن خلت من النية الصادقة والإخلاص لله رب العالمين الأمر الذى لا يفهمه العلمانيون ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ .

❑ ❑ ❑

485096

http://kotob.has.it

قراءة لفكر « سيد القمني » في كتابه

« حروب دولة الرسول ﷺ »

الجزء الثاني

١

يصر القمني على وصف الدولة الإسلامية بدولة العربان في طور نشأتها ، رابطاً ذلك بكتابيه : « الحزب الهاشمي ، والجزء الأول من حروب دولة الرسول » فيقول [ص ٧] :

> **في الجزء الأول من هذا العمل ، قدمنا تأسيسا تمهيديا يساعد على تفهم المراحل التي اجتازتها دولة العرب وهي في طور النشأة ، والتي أقام نواتها الأولى المصطفى ﷺ في عاصمتها « يثرب » عبر حروب طويلة خاضها بصحبة رجاله ، من أجل تأمين دولته الوليدة ، وتوحيد قبائل العربان تحت راية دولة واحدة ، وقائد واحد ، وعبادة واحدة .**

فحيث كانت الخطوة الأولى كما يزعم : « تقريش قبائل مكة في زمن قصي » أي جمعهم ، كانت الخطوة الثانية عنده : الإيلاف بين القبائل وقريش .

ولا ينسى هنا أن يؤكد أن مما ساعد على ذلك مركز اليمن الزراعي الذي انهار ، ولا ندري هل انهيار مركز اليمن الزراعي كان لأمد طويل قبل الإيلاف أم بعده !

http://kotob.has.it

فهو يذكر في بعض أساطيره الأصول المصرية لجرهم ، فأيهما أسبق ؟ تهاوي مركز اليمن الزراعي ؟ أم وصول جرهم ؟ وهل كان حينذاك تجارة أو إيلاف ؟

٢

ثم يشير بعد ذلك إلى تحول الولاء من القبيلة إلى الطبقة ، فيقول [ص ٨ ، ٩] :

« وبينما كان المحتوى الطبقي يسير نحو تفجير الشكل القبلي لصالح توحد القبائل جميعا ، بتقارب مصالح الأثرياء من قبائل مختلفة ، بحيث صار ممكنا رفض القبيلة وسيدها وسلفها المعبود لدى الفرد عن الشريحتين الاجتماعيتين ، الأرستقراطية والمعدمة ، فكان الأرستقراطيون ينحون نحو التوحد المصلحي الذي احتاج أدلجة أفرزت اعتقادا في إله واحد يرعى تلك المصالح ، ويكون في مرتبة تليق بمكانتهم السيادية والإدارية ، فوق آلهة الكعبة جميعاً وراعيا غائبا لمصالحهم ، كذلك كان المضطهدون والمعدمون والرقيق ، في حالة رفض نفسي وعقلي لأرباب باتت لاتعدل في قسمة الأرزاق .

ومن ثم ظل التشرذم القبلي قائما ، وجنين الوحدة المقبلة لعرب الجزيرة في حالة إرهاص ومخاض ، دون ميلاد حقيقي ، بينما انتشر اعتقاد في مهمة باقية للأرباب القبلية ، وهي التشفع لأصحابها لدى الإله الواحد الأعلى ، فاتخذوها إليه زلفى ، وهو ما كان إخضاعاً نفسياً داخلياً وذاتياً للقبائل ، لملأ مكة وسيادتهم ، باعتراف القبائل العربية بسيادة إله الملأ الأعلى على أرباب القبائل » .

http://kotob.has.it

ويخيل إليّ أن هذا الرجل يعيش في عالم غير عالمنا ، فما زالت القبائل العربية إلى اليوم يلتزم أبناؤها بولائهم للقبيلة وتتمسك بعاداتها وتقاليدها .

ثم يذكر في نفس المكان أن رب القبيلة أو سيدها هو سلفها البعيد وهو رمز عزتها جرياً على رأي بعض مخرفي علم الاجتماع « الذين سبق ذكرهم في التأسيس لكتابنا » .

وهكذا أصبح الأمر مهيأ إلى أدلجة جديدة أفرزت اعتقادا في إله واحد « كما قال » !!

وإذن .. فالألوهية مسـألة احتيـاج سياسي وطبقي وقومي عند القمنى ، وليست دينـاً موحى به من اللّه تعالى ، ويصر إصراراً عجيباً على أن تعدد الآلهة لم يكن إلا للتشفع ، منكراً أن العرب أحياناً كانت تصرف العبادة لهذه الآلهة من دون اللّه ، وإلا فلماذا سمتها آلهة وأرباباً ؟

٣

ويشير إلى بعثة النبي ﷺ التي بدأت على شكل نبوءات للكهان حول مبعث الفرد الموحد ، يقول [ص ٩] :

« وبينما صراع النقيضين يفعل فعله التراكمي ، لصالح توحد كامل ، يقضي على التمثيل القبلي ، لصالح نظام حكم مركزي جامع ، يقوم على سلطة واحدة موحدة ، لا تضع بحساباتها مصالح الملأ الأنانية الضيقة ، بل تتجاوزها بضرب التعدد السلطوي والربوبي لصالح دولة كبرى ومصالح أعظم وأعم نفعاً لكل عربان الجزيرة ، حكم يمكنه أن يوحد تلك الشراذم المتأرجحة بين القبلية والتوحد نحو أمة واحدة ،

http://kotob.has.it

بدأت تسري في الآفاق نبوءات الحكماء والكهان عن قدوم موحد فرد يتفق في مواصفاته مع حالة الجزيرة الاجتماعية ، فهو لن يأتي ملكاً ، لأن أي قبيلة سترفض فوراً أن يحكمها ملك من خارج نسبها ، لذلك سيأتي الملك بصيغة أخرى ، صيغة جامعة مانعة يقبلها الجميع ، ومن ثم سرى الإرهاص يلهب الأحاسيس القومية ، بمقدم نبي منتظر » .

وإذن فهو لن يأتي ملكاً لأن أي قبيلة سترفض فوراً أن يحكمها ملك من خارج نسبها ، لذلك سيأتي الملك بصيغة أخرى .

والقارئ الفطن يلحظ التحليل الماركسي بين النقيضين حتى يخرج منه توحد كامل ، وهي الجدلية المادية الماركسية بعينها ، فحتى النبوة أصبحت تنبؤات للكهان ، ولكنه ليس ملكاً بل نبى ، مع أن كل تحليله يتكلم عن مملكة وملك وقومية ، فلا أدري هل كانت هذه مهمة الأنبياء ؟

فإن كانت مهمتهم تقوم على القومية كما يقول ، فما شأن سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي بها ، وهل كان لقومية ناشئة أن تنضج في أقل من عشرين سنة ؟ حتى تهدد القوميات السابقة ذات القرون الطويلة ، مع الاختلاف في الإمكانات المادية والعسكرية !!

إنه المنطق الأعوج .

ولو قسنا هذه الحاجة القومية المعاصرة التي يتلمسها العرب جميعا على مدى قرن هل استطاعت أن توحد العرب ؟ وهل كانت تلك الفترة « العشرون عاماً » كافية للتوحد القومي ؟

إن كل ما جنته فترة رواج القوميـة العربية هو إدخال مصطلحات جـديدة منها : النكسة بدل الهزيمة والسلام بدل الاستسلام ، والفن بدل السقوط .

http://kotob.has.it

٤

ولا يغفل الكاتب دور تعطيل الثروات وتراكمها على شكل كنز لا تتحرك إلا في المواسم فيقول [ص ٩] :

« وكان تراكم الثروات العظيمة لدى الأرستقراطية المكية بحاجة إلى وسائل تنموية متعددة ، بينما الواقع المتشظى بضآلة وسائل الإنتاج فيه قد جعل تلك التنمية شبه معدومة ، فظلت الثروات في حالة كنز وكمون لاتتحرك إلا مع موسم التجارة ، دورة واحدة دون حراك حقيقي يعود بفوائده على المستوى القاعدي الأوسع لأفراد مختلف القبائل » .

وهذا خطأ تحليلي آخر ، فبنص القرآن الكريم كانت التجارة دورتين « رحلة الشتاء والصيف » فكيف أصبحت دورة واحدة ؟

ثم ألم يكن هناك خلال ذلك تجارة مع الحبشة ؟ فكيف كانت دورة واحدة ؟ ولعل اعتساف الأمور وليّ الحقائق أنسى الكاتب هذه الأمور .

٥

ويحاول أن يقنعنا بقصة « النعمان بن المنذر » الذي أعان اليمن بالرغم من أنه مسيحي الديانة على الأحباش مسيحيي الديانة أيضا في زمن « سيف ابن ذي يزن » . فيقول [ص ١٠] :

« كذلك تفسر تلك المقدمات ، تلك اللغة القومية الجديدة التي أخذت تسري مع سفى الرياح في فيافي الجزيرة ، وأوردنا لها نماذج في الجزء الأول من هذا العمل ، ونعضده هنا بإضافة ما وجدناه مجددا عند

http://kotob.has.it

« الدينوري » في الأخبار الطوال ، وهو يحكي عن « النعمان ابن المنذر » ، ملك الحيرة العربي المسيحي ، المنوب عليها من قبل كسرى فارس ، ذلك الرجل الذي ظهر شعوره القومي العربي تجاه قومه ، فقام يساعد « سيف بن ذي يزن » العربي اليهودي الذي ثار في اليمن على الاحتلال الحبشي المسيحي لبلاده ، فتوسط النعمان لدى كسرى ليمد سيف بن ذي يزن بالسلاح والجند ، حتى تحررت اليمن من الحبش ، لكن لتسقط في تبعية الفرس » .

هذا بكل جرأة يقول : لتسقط في تبعية الفرس ، فهل هذه هي القومية ؟ أن يخرجهم من تبعية إلى تبعية ؟ !

ثم هل كان أمر « النعمان مع سيف بن ذي يزن » قبيل البعثة مباشرة أم بأمد طويل ؟

ولكن لا مانع أن نتسقط من التاريخ كل ما يلائم ويدعم النظرية القومية المتهاوية .

ثم يستشهد بقول كسرى : أنه أزال الملك من آل عمرو بن عدي إلى إياس ابن قبيصة لأن الآخر لا يعقل .. ولا أراه إلا استبدل خادماً بخادم .

٦

ويعود هنا ليؤكد مقولته القديمة أن ذلك النبي المنتظر هو الذي أتم حلقة من حلقات أجداده قصي وعبد المطلب لصالح الطبقة التاجرة ، إذ يقول [ص ١١] : ☚

« وعليه فقد نهض بإتمام التطور وأخذه إلى نهايته الناضجة ، لصالح الطبقة التاجرة ، ذلك الفرد المنتظر ، نبي الإسلام الكريم ﷺ الذي نشأ

http://kotob.has.it

يتيماً فقيراً كادحاً من البيت الهاشمي الذي حاز شرف النسب ، لكن مع تواضع مادي ، بل كان من الغصن رقيق الحال في ذلك البيت ، غصن عبد المطلب وأبي طالب . ومع تجاوزه الصبا إلى اليفوع والرجولة ، تحول محمد إلى التجارة لصالح أثرياء مكة ، ثم تزوج من الشريفة الثرية السيدة خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – فخبر الأمرين ، وعاش الحالين ، وعاين الطبقتين ، مما كان كفيلا بوعي نافذ ، كان وراء دفع الأمر نحو غايته ونتائجه الحتمية » .

فهكذا يرىٰ المصطفى ﷺ حلقة من حلقات ابتدأها أجداده ، فلا أدري إذن لماذا يصلي ويسلم عليه ؟! ألـم يكن الأجدر بالصلاة والسلام قصي أو عبد المطلب أصحاب الفكرة الأساسية القومية ؟

٧

وليؤكد أن غاية البعثـة كانت قومية في نظـره وليست ديناً ، ذهب إلى القول [ص ١٦] :

« كان التوحيد الربوبي ناتجا لتطور ظروف المجتمع ، لكنه أيضا كان مؤسسا للدولة الواحدة ، وكان لابد أن يرافقه توحد أثنى جنسي يلغي أسلاف القبائل الذين هم أرباب في الوقت ذاته ، لتتحقق الوحدة المرجوة ، ومن ثم كان تأكيد النبي على ما سبق وأعلنه جده عبد المطلب ابن هاشم ، أن جميع قبائل العرب وإن تفرقت قبائلها وتشرذمت ، فإنها إلى أب واحد تعود ، هو إسماعيل بن إبراهيم أبو جميع الأنبياء ، الذين هم بدورهم مسلمون .

وهكذا كان التوحيد الربوبي يتمثل في الالتفاف حول لاء واحدة هي قول : لا إله إلا الله ، والقبول بالانضواء تحت سلطة نبوية قائدة واحدة

http://kotob.has.it

تتمثل في الشهادة لمحمد بأنه : رسول الله ، كأساس تنظيمي للحركة التاريخية نحو إقامة دولة مركزية للأمة الطالعة ، وبحيث ينتقل العربان من الوضع القبلي إلى الوضع القومي » .

فالتوحيد الربوبي كما يراه هو نتاج لتطور ظروف المجتمع ، وليس أساساً كما أشارت جميع الكتب السماوية ، وهو أساس القومية ، ولكن ليست القومية الإسلامية ، بل دولة العربان .

ومع هذا السقوط فقد سقط سقطة عجيبة أقبح حين أشار إلى أن المصطفى أكد ما سبق أن أعلنه جده عبد المطلب أن جميع العرب تعود إلى أب واحد هو إسماعيل بن إبراهيم .

وكأن الأمر لم يبدأ إلا بإعلان عبد المطلب أو هاشم ، وأن العرب لا تعلم أصولها ..

بل إنه شكك في ذلك في كتابه « رب الزمان » بل وشكك في وجود إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم من الأنبياء .

وبذلك يكون انتقال العربان من القبلية إلى القومية أمراً مسلماً عنده ، ولا أدري متى حدث هذا ؟

فإلى اليوم القبائل العربية متمسكة بأصولها وأنسابها ، حتى وإن هاجرت إلى أقاصي الأرض .

٨

وللدلالة على ما يبطنه الكاتب راح يقول [ص ١٧] :

« ومن هنا كان الاتجاه نحو العماد التأسيسي العقدي لإلقائه في رحم التاريخ القديم ، بربط النبي محمد بتاريخ النبوة منذ بداياتها المعروفة في

http://kotob.has.it

القصص الديني ، ليصبح تاريخ الأمة الجديدة تاريخا نبويا ، ومعرفيا سماويا ، فتتم أسلمة جميع الأنبياء السابقين ، كما يتم تقديس لغة قريش تحديدا باعتبارها اللغة العربية الكاملة ، ويتم إعادتها إلى الزمن السماوي القبل خلقي ، فتصبح لغة الملأ السماوي ، ولغة آدم أبو البشر جميعا في الجنة ، ثم لغة جميع الأنبياء ، ثم ستكون لغة أهل الجنة من بعد » .

وفي هذه العبارة ما يغني عن الشرح والتفسير ، فالعملية كلها إلقاء في رحم التاريخ ، وربط النبي بالأنبياء لبناء تاريخ لأمة لا تاريخ لها .

ثم تعبيره عن الأنبياء « بالأسلمة » وكأنهم لم يكونوا مسلمين ، وليس الدين عند الله الإسلام وبعد ذلك التهكم على اللغة العربية خالطاً بين الروايات الصحيحة والسقيمة .

ولا يسعنا في هذا المجال إلا التذكير بقول أستاذه « حنفي » : إن هذا الكاتب يدع القارئ لذكائه حتى يصل إلى النتائج ..

٩

إنه لا يستحي من الله ولا من الناس حين يجعل آيات القرآن تتتالي لتعزيز تلك التاريخية للأمة الطالعة بما حوته من قصص الأنبياء لتكون بمثابة إعادة اكتشاف للهوية التاريخية للأمة ، ثم يصف آية من القرآن بقوله [ص ١٨] :

« ومن ثم تتالت الآيات القرآنية تؤكد ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] وهي الآيات التي تعني أن تلك القبائل إنما كانت في الأصل على الدين النبوي التوحيدي الذي أسسه سلسال الأنبياء السابقين ، وأنهم انقسموا بعد ذلك قبائل وشيعاً ،

http://kotob.has.it

مما يعني أن الوحدة والتوحيد كانا الأصل ، ومن ثم ينقلب منطق التطور على عقبيه لصالح التأسيس التاريخي للأمة ، ومن ثم كان نداء الآيات :

﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ ﴾ [الشورى : ١٣] .

ويا للخسارة .. لقد انقلب منطق التطور الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بهذا المفهوم القرآني ، فلا بد أن يكون المنطق هو منطق المستر والمسيو والأساطير ، التي تقوم على التعدد وليس التوحيد .

١٠

ولعل أخطر ما وقع فيه الكاتب في تأسيسه لهذا الجزء هو الادعاء بأن المغنم المادي هو دافع المسلمين للدخول في الدين ، فيقول [ص ٢٤] :

« ولعل أهم وقعة كبرى حولت بالفعل مسار التاريخ بعدها ، كان سببها قافلة كبرى لقريش بقيادة صاحب اللواء أبي سفيان بن حرب ، وهي وقعة بدر الكبرى ، حين تحول اتفاق الأنصار مع النبي في العقبة الثانية إلى غايته المضمرة ، من ميثاق دفاعي إلى حلف هجومي محارب ، تحولت معه عناصر الجماعة الإسلامية كلها - مهاجرون وأنصار - إلى دولة محاربة هجومية ، دولة عسكر ومغانم ، كالقبيلة تماما ، وبذات منطقها ، لكن بعد أن تحول الولاء عن القبيلة وسلفها المعبود إلى الدولة ، ممثلة شخصيا في رسول الله ورمزيا في ذات الله ، وإلى المصالح المادية المباشرة التي جمعت بالفعل أعضاء الدولة ، وكان بدء الغزوات والمغانم نقطة التحول الكبرى التي لعبت دوراً عظيما في جذب الأتباع من مستضعفي القبائل ومحاربيهم ، بعد أن ظل النبي ﷺ يدعو في مكة ثلاثة عشر عاما دون إجابة ، ولم يتبعه خلال كل تلك السنوات سوى حوالي المائة نفر ، حيث كانت الدعوة تؤجل الوعد بالنعمة إلى جنة

http://kotob.has.it

الخلد ، ولكن عندما تم الإعلان عن نحلة الغنيمة من أموال الآخرين المخالفين للدعوة ودولتها ، أصبح حل مشكلة المعدمين حقيقة ملموسة ، ومكاسب عينية تدعوهم إلى الانخراط مع العصبية الإسلامية ، وبعد فترة من الزمن ستصبح تلك المكاسب كبيرة إلى الحد الذي سيدفع رجالات قريش المميزين إلى الانخراط في جيش المسلمين » .

وهكذا كثر أتباع محمد طمعاً بالمغنم المادي ، أما حينما كان الإغراء بأجر أخروي فلم يزد عدد الأتباع عن المئة ...

ويا للعجب !! كم كان عدد المهاجرين إلى الحبشة ؟ وكم كان عدد الباقين في مكة ؟ وكم كان عدد الذين يخفون إسلامهم ؟

والأدهى من ذلك : نفي دافع الإيمان عن السابقين من المهاجرين والأنصار الذين شهد الله لهم بالإيمان ومدحهم في محكم تنزيله بقوله : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر : ٨] .

مع أنه يتناقض مع نفسه حين يذكر إبان فتح مكة قول أبي سفيان حينما كانت تمر القبائل المشاركة في الفتح فلم تعظم في عينه حتى غطفان بقوتها وبأسها ، ولكن حين مرت أمامه كتيبة رسول الله ﷺ « وفيها المهاجرون والأنصار » قال : أما هؤلاء فلا قبل لأحد بهم ..

فلماذا ؟ أليسوا رجالاً كبقية الرجال « وفق التفسير المادي » ؟ أليسوا مسلحين كبقية المسلحين ، فما الذي دفع أبا سفيان الداهية إلى هذه المقولة ليخص بها المصطفى ﷺ والمهاجرين والأنصار ؟؟

http://kotob.has.it

لقد أدرك أبو سفيان قبل إسلامه ما لم يدركه الكاتب أن الفرق بين أولئك المهاجرين والأنصار وبين غيرهم ، سبقهم إلى الإسلام ، وليست الغنائم التي يذكرها « القمني » .

فو اللّه لا قبل لأحد بأولئك بسبب عنصر الإيمان الذي توفر لديهم بالكيل الأوفى ، وهو الذي قلب التاريخ ، وليس القومية والتطور الذي يدعيهما الكاتب .

١١

ويعود الكاتب للتأكيد على مسألة التمايز الطبقي في الدولة الإسلامية فيقتبس من « خليل عبد الكريم » فكرة تقول [ص ٢٦] :

بدأت الدولة تفسح بداخلها فجوات المجتمع الطبقي ، ثم فجوات المجتمع القبلي معاً ، حيث كانت الدعوة للرحم والعشيرة مدعاة لوضوح شكل الدولة في أضمومات قبلية محزمة وموثقة بوثائق الدولة الواحدة ، أما إذا تتبعنا أنساب العشرة المبشرين بالجنة ، فسنجدهم تمثيلا قبليا وسياديا لأهم البطون القرشية ، فهذا أبوبكر وطلحة يمثلان تيم ، وهذا علي يمثل هاشما ، وهذا عثمان يمثل أمية ، وهذا عمر وسعيد بن زيد يمثلان عدي ، وهذا عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص يمثلان زهرة ، وهذا الزبير يمثل أسداً ، وهذا أبو عبيدة يمثل فهر ابن مالك ، وهو التمثيل الذي أصبح يوازي في يثرب ، حكومة الملأ القرشية في مكة . « وقد لحظ ذلك بذكاء الأستاذ خليل عبد الكريم » .

ولا أجد ذكاء في استنتاج « خليل عبد الكريم » ولا في متابعة « القمني » له ، لسبب هام وهو : أن التمثيل أغفل قبائل ذات شأن عظيم ، فأين بنو مخزوم أهل الحرب من قريش ؟ وأين بنو شيبة حملة مفاتيح الكعبة وسدنتها ؟

http://kotob.has.it

وكيف تمثل قبيلة « عدي » برجلين و « تيم » برجلين أيضا وهما ضعيفتان ؟ أما « أمية » صاحبة الشأن فيمثلها رجل واحد ! وكذلك هاشم « أصحاب الحزب القائد المؤسس » يمثلها واحد !!

إنها لعمري قسمة ضيزى ... إذ بذلك يخرج الحزب المؤسس بخُفَّيْ حنين ، فلا يملك ولا يحكم . ولكن قاتل اللّه الهوى .

١٢

ويصر الكاتب ويعيد ويكرر مسألة أن القرآن قد خفف من ذم المال تناغما مع متغيرات الواقع فيقول [ص ٢٦] :

« وبعد هـذه النقلات سنلحظ دون عناء كيف خففت السـور اللاحقة والمتأخرة التي تناغمت بصدقها مع متغيرات الواقع – من حدتها إزاء الأثرياء ، وهدأ تنديدها بهم ، مع خفوت متساوق في الاهتمام بقضايا المستضعفين ، بعد أن كان هؤلاء المستضعفون المقاتلون مادة الحركة ووقود حروبها ، وتحول من بقي منهم حيا إلى طبقة كبار الملاك ، وهو ما يكفي أن نذكر له مثلاً واحداً فقط ، يتعلق بأكبر الصحابة زهداً وتقشفاً وورعاً ، وكان أرق نظرائه حالاً وأقلهم مالاً » .

فلا أدري متى ذم القرآن المال ؟ وفي أي موضع ؟

لقد ذم القرآن طرق الكسب الخبيث ، ودعا إلى الكسب الحلال الشريف ، ولم يتدخل القرآن في الطبقات فهي سنة اللّه في خلقه ليتخذ الناس بعضهم بعضاً سخرياً ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ .... ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

http://kotob.has.it

لكن الذي أعجب له هو تشبث القمني بالتحليل الطبقي بعد انهيار النظريات الاشتراكية بانهيار الاتحاد السوفيتي ومبادئها القائمة على « كل على قدر طاقته ولكل قدر حاجته » .

١٣

ويفصح القمني عن خبيئة نفسه بجلاء ليؤكد مذهبه المادي فيقول [ص ٢٧] : [redacted]

« ثم يمكننا أن نلحظ المال نفسه الذي كان محل هجوم شرس وضار ، وأحل للمسلمين مصادرته بالغزو ، وهو يتحول ليصبح بالإمكان بقاؤه وتناميه ، بعد تطهيره بالزكاة والصدقات ، ويبيت كسبا حلالًا ، وتسعة أعشار الرزق في التجارة ، والمال والبنون زينة الحياة الدنيا ، لقد كانت خطوات التاريخ في طريقها إلى إنضاج الطبقة التجارية - وليس إلغاؤها - في سبيل كيان سيادي يسد الفراغ السياسي تحت لواء عقيدة عقدتها حتمية السنن الكونية » .

فالعقيدة في نظره عقدتها حتمية السنن الكونية ، وبطبيعة الحال كل مطلع على التحليل المادي يدرك معنى الحتمية التاريخية من عصر فلاسفة اليونان وحتى هيجل وماركس . وهكذا تصبح العقيدة من نتاج السنن الكونية وليست من الله !

ولا أدري هل حتمية السنن الكونية هي التي دفعت القمني للصلاة والسلام على رسول الله ، فهل هي إذن من السنن الكونية ؟

http://kotob.has.it

ويتجه الكاتب بالهجوم على الوسطية في الإسلام ، فيقول [ص ٢٨] :

« ومن ثم خرجت إلى تاريخ العرب تلك الحالة الوسطية التي تتوازن بين النقائض ، على كل المستويات : بين القبلية وبين الطبقية ، بين العشائرية وبين الأممية ، بين الوحدة الشاملة وبين تضمن تلك الوحدة للقبائل في شكل حزم وأضمومات ، وبين إلغاء الشفعاء واستبدالهم بشفيع واحد هو نبي الإسلام ، وبين الوحدانية المطلقة للإله التي لا تقبل شراكة ، ومن ثم كانت التراجعات التي اعترفت بمقدسات القرشيين والتي كانت تعد وثنيات ، كالاعتراف بالكعبة ، ثم في فتح مكة يتم تقديس الكعبة ذاتها وحجرها الأسود ، وشعائر الوثنيين القديمة كالطواف والسعي ، وتكريس المقامات والمواضع كالصفا والمروة وعرفات . لقد باتت الدولة بحاجة إلى معبد مُؤَسسي له تاريخه ، بعد الرجوع عن القدس « أورشليم » معبد يجتمع عنده جميع العربان ، لكنه معبد قريش قبيلة الرسول في المقام الأول ، وسدنته الهاشميون آل البيت » .

وليس هذا الأمر جديداً ، بل هو دائماً ديدن العلمانيين .

ولكن أن يذكر بعد الوحدانية المطلقة للإله التي لا تقبل مشاركة ، ثم يردفها بالتراجعات ، فهل تراجع الإسلام عن الوحدانية ؟ لأنه اعترف بالكعبة والحجر الأسود ! وهل عرفات والصفا والمروة تناقض التوحيد ؟ وهل عبدها المسلمون ؟ أليس هذا نقلًا لأفكار المستشرقين ؟

وهل اعتبر الإسلام يوما ما الكعبة أو الحجر الأسود من الوثنيات قبل الهجرة أو بعدها ؟ أم هي أقوال المستشرقين وعقولهم التي تتوهم أن المسلمين يصرفون

http://kotob.has.it

شيئاً من العبادة للكعبة ؟ وهل الشعائر التي أبقى عليها الإسلام أبقى عليها لأنها من وثنيات قريش ؟ أم لأنها من بقايا ملة إبراهيم عليه السلام ؟

إن مفهوم القبلة مضطرب لدى القمني ؟ كما اضطرب لدى إبليس سجود الملائكة لآدم . وهذا حال كل من يعتقد أن المسلمين يعبدون الكعبة وفى الأثر : « إن حرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة الكعبة » (١) ... ولكنه التدليس والتلبيس .

وبعد مناقشة التأسيس الذي افتتح به القمني كتابه ، والذي انتخبنا منه بعض العبارات وناقشناها ، لا أعتقد أننا بحاجة إلى نقد بقية صفحات الكتاب « فما بُنِيَ على باطل فهو باطل » .

فالأحاديث الضعيفة والمكذوبة والسير الخرافية التي لا تصمد أمام منهج البحث العلمي الإسلامى ومناهج أهل الحديث تملأ صفحات هذا الكتاب .

ومما يزيد الأمر سوءاً : الاستطراد في التحليل المادي الأسطوري التخيلي الذي لا يمتُّ إلى الواقع بشيء من صلة .

---

(١) أخرج الترمذى [٢٠٣٢] عن ابن عمر قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع قال : « يا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إلى قَلْبِه ، لا تُؤْذُوا الـمُسْلِمِينَ وَلا تُعَيِّرُوهُمْ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الـمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعُ اللَّه عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فى جَوْفِ رَحْلِهِ » .
قال : ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . وقال الألبانى فى صحيح الترمذى [١٦٥٥] : حسن صحيح .

http://kotob.has.it

فكل منقبة للصحابة رضى اللّه تعالى عنهم بل ولرسول اللّه ﷺ يهملها ، ولا يجمع إلا سواقط النقول لإتمام عمله الروائي الأسطوري الخرافي .

وهكذا كان منهجه دائماً النقل من هنا تارة ومن هناك تارة أخرى ويأخذ ما يريد ويبطل ما لا يريد .

❑ ❑ ❑

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المصادر والمراجع

القرآن الكريم وعلومه

١ - القرآن الكريم .

٢ - تفسير الطبرى .

٣ - تفسير ابن كثير .

٤ - عمدة التفسير .

٥ - روح المعانى للألوسى .

٦ - البرهان فى علوم القرآن للزركشى .

٧ - الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى .

٨ - المدخل لدراسة القرآن - د. محمد أبو شهبة .

٩ - النبأ العظيم - د. محمد عبد الله دراز .

كتب الحديث النبوى

١ - صحيح البخارى .

٢ - صحيح مسلم .

٣ - سنن الترمذى .

٤ - سنن أبى داود .

٥ - سنن النسائى .

٦ - سنن ابن ماجة .

٧ - الموطأ .

٨ - مسند الإمام أحمد .

٩ - المستدرك للحاكم .

١٠ - سنن الدارمى .

١١ - السنن الكبرى للبيهقى .

١٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .

http://kotob.has.it

١٣ - صحيح الترمذى للألبانى .

١٤ - صحيح أبى داود للألبانى .

١٥ - صحيح النسائى للألبانى .

١٦ - صحيح ابن ماجة للألبانى .

١٧ - فتح البارى لابن حجر .

١٨ - صحيح مسلم بشرح النووى .

السيرة والتاريخ

١ - السيرة النبوية لابن هشام .

٢ - السيرة الحلبية .

٣ - السيرة النبوية الصحيحة - د. أكرم العمرى .

٤ - البداية والنهاية لابن كثير .

٥ - الطبقات الكبرى لابن سعد .

كتب ومراجع أخرى

١ - أجنحة المكر الثلاثة - عبد الرحمن حبنكة الميداني .

٢ - الإلحاد في الغرب - د. رمسيس عوض .

٣ - التحريف المعاصر في الدين «تسلسل في الأنفاق بعد الصعود في الأعماق» - عبدالرحمن حبنكة الميداني .

٤ - كواشف زيوف - عبد الرحمن حبنكة الميداني .

٥ - مكايد يهودية عبر التاريخ - عبد الرحمن حبنكة الميداني .

http://kotob.has.it

الفهرس التفصيلى للكتاب

الموضـــوع — الصفحة

بين يدى الكتاب : بقلم الأستاذ الدكتور يحيى إسماعيل ٥

مقدمة المؤلف ١١

تمهيـــد ١٧

مدخل (١) ٤٥

مدخل (٢) ٥٣

مدخل (٣) ٦١

كتاب قصـة الخـلق

١٠٨ - ٧١

قوله : فعندما كان المجتمع فى الابتداء مشاعًا كان أرباب السماء فى متعة الشيوع تمرح ، وعندما تم تقسيم العمل على الأرض تحول مجتمع السماء إلى آلهة شغيلة ، وآلهـة للتفكير والتدبير ، وعندما تمكن الإنسان من الابتكار وصنع الجديد تمكنت آلهة السماء من الخلق والتكوين !! ٧٢

قوله : الأمـر ﴿ كُن﴾ .. لم يعد الآن مجديًا بعد أن وجد الكون فعلًا بالطريقة اليدوية التصنيعية !! ٧٤

تجرؤه وســوء حديثه وقبـح عبـارته مع الأنبيـاء حيث قال عن نبى اللَّه يوسف عليه السلام : أما مصـــدر شهرة يوسف فهو أنه كان جميلًا فتانا !! والثانى : أنه كان كثير الأحلام !! والثالث : أنه كان مفسـراً أيضـاً للأحلام » ٩٩

وقـوله عن نبى اللَّه موسى عليـه السـلام : قُدِّر لهـــذا النبى أن يكون صاحب مغامرات كبرى وشهيرة .. ألقته أُمه فى اليم ، لكن « أقـدار الميلودراما » !! سـاقته إلى قصر الفرعون .. لكنه كان يعـرف أصله العـرقى مما دفعه

http://kotob.has.it

للانتصار لأحد اليهود من بنى جلدته فقتل بسبب انتصاره لعصبيته مصريًا دون أن يتحقق حتى من موضع الحق .. ولما طلبه القانون للقصاص هرب .. وهناك قابله رب اليهود ليقود شعبه المختار !! ١٠٠
رفضه مُلك نبى اللّه سليمان عليه السلام ودليله المزعوم : أنه لم يكتشف نص واحد إلى الآن يشير من بعيد أو قريب إلى مُلك باسم سليمان أو داود .. وهو أمر غريب بالقياس إلى ما ادعته التوراة عن شهرة المملكة السليمانية . وبالتالى فهو يغمز القرآن لأنه أشار لملك سليمان وكذلك حديث النبى ﷺ ١٠١

كتاب الأسطورة والتراث

١٠٩ - ١٨٠

حزنه العميق للتوجهات الإعلامية الرسمية وسعيها الدؤوب لوضع الدين على قمة الهرم الفكرى ، لخوفه من أن يظهر الدين وحده ، والإسلام تحديدًا كما لو كان هو كل تراث أمة العرب ١٠٩
غمزه ولمزه فى سيده ، ترجمان القرآن فى عصرنا وحامل لواء تقديمه للناس . فيصفه : بالمتعالم التلفازى ، وبأنه يحيل شبابنا بعيدًا عن كتب الكيمياء والفيزياء والاجتماع والتاريخ والسياسة .... إلخ ، إلى كتاب اللّه وحده !! ... ١١٠
زعمه أن إبليس ملاكًا عاصيًا وينقم على المفسرين أن جعلوا إبليس من « الإبلاس » كل ذلك بسبب لهثه وراء مراجع ملئت بالخرافات فيلعق منها ما وافق قصده الخبيث ١١٥
بحث لطيف للعلامة أحمد شاكر فى تحقيق حديث الزهرة والتعليق على روايات الطبرى ١١٧
نقمه على الإسلام إفراد اللّه تعالى بالعبادة وحده فيقول : ولم تنته عبادة الأنثى إلا فى بيئة رعوية مائة بالمائة ، ذكرية مائة بالمائة . أقصد فى الدين الإسلامى الذى تحول بالعبادة عن الأنثى نهائيا ١٢٠

http://kotob.has.it

زعمه أن وقفة عرفات لممارسة الجنس وليست للعبادة واسمع لقوله : « عُرف الجبل
باسم عرفة لأن «آدم» عرف أو جامع «حواء» عليه ، ومن هنا تقدس
الوقوف بعرفة ، وكان الوقوف بعرفة من أهم مناسك الحج الجاهلى ،
فكانوا يتجهون إلى هناك ذرافات ذكورًا وإناثاً يبيتون ليلتهم حتى يطلع
عليهم النهار . وإن العقل ليتساءل أمام مشهد ألوف الرجال والنساء
يتجهون إلى الجبل ليبيتوا هناك جميعاً حتى الصباح ؛ ما وجه القدسية
فى هذا الطقس ؟ إن لم يكن من قبل ذلك تجمعًا لممارسة طقس الجنس
الجماعى طلبًا للغيث والخصب ولا نعرف جبلاً يُجمع اسمه إلا «عرفات» ؟!
فهل الجمع هنا للجبل أم للمجتمعين على الجبل فى حالة جماع أو عرفات
يماثلون به الفعل الأول الذى قام به « إساف » عندما عرف « نائلة »
أو « آدم » عندما ضاجع « حواء » ١٢٢
ثم يضيف : « وطقس عجيب آخر هو الاحتكاك بالحجر الأسود ، وأن كلمة
«حج» مأخوذة أصلًا من فعل الاحتكاك ، فهى فى أصلها من «ح ك»
مع الأخذ بالاعتبار « **هيئة الحجر الأسود وشكله** » !!
« أرجو أن تُفهم هذه العبارة جيدًا ، وإذا فضحناهم سارعوا لأسيادهم
فى الغرب وقالوا : حيطلقونى .. حيقتلونى !! » [الناشر] ١٢٤
ويضيف : « وما لزوم طقس حلق الشعر - وبالذات عند المروة - الذى لا يمكن
فهمه بالمرة إلا فى ضوء طقوس الخصب الجنسية القديمة والذى كان بديلًا
عن الجنس الجماعى .. والحلق هو المستدير فى الشيء وهو رمز جنسى
واضح ١٣٧
بحث لطيف عن الحروف السبعة فى القرآن وقصة جمع القرآن فى عهد أبى بكر
وإعادة كتابته فى عهد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما وهل
المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ؟ ١٣٨
تفنيد زعمه لضرب ابن مسعود ودق ضلعه مع بحث لطيف فى ذلك ١٤٧

http://kotob.has.it

بحث لطيف للشيخ الدكتور محمد أبو شـهبة فى الشُّبه التى أوردت على جمع القرآن وتفنيدها وإبطال مزاعم قائليها ١٤٩
زعمه وجود التضارب والتناقض بين كثير من الآيات !! فيقول : والمعلوم أنه عندما جمع المصحف « زمن عثمان بن عفان رضى اللّه عنه » تم جمـع كثير من الآيات المنسوخة .. وهو الواقع الذى أدى إلى ظهور كثير من الآيات بمظهر التضارب والتناقض ١٧٣
زعمـه ممالأة القرآن لليهود قبل وصول النبى ﷺ للمدينة .. وأن النبى ﷺ اشـترع للمسلمين صـوم يوم الغفران اليهودى ، والتوجه فى الصلاة وجهة اليهود ١٧٦

كتاب رب الزمـان

١٨١ - ٢٠٨

زعمه أن المأثور الإسلامى كان دومًا إلى جانب الإسرائيلى ضد كل حضارات المنطقة متجاهلًا بل متعامياً أن القـرآن الكريم لعن اليهـود واتهمهم بتحـريف التوراة ، وقتلهم الأنبياء بغير حق .. إلخ ١٨٣
تمجيده للفرعونية ، وزعمه أن اليهودية كدين ليس فيه إيمان بالبعث والحساب ١٨٦
نفيـــه الصريح للنبوة والأنبياء حين يزعم : أن التاريخ كعلم ؛ لا يعرف فى وثائقه المدونة ولا فى حفائره الأركيولوجية على الإطلاق شخصًا باسم يوسف ، ولا جماعة باسم الأسباط ، ولا صديقاً للإله باسم إبراهيم ، ولا نبيًا باسم موسى ، ولا عظيما باسم داود ، ولا حكيما حاز على شهرة فلكية مُلِّك على مملكة أسطورية باسم سليمان ١٨٩
ويواصل نفث سمومه فيزعم أن التاريخ كعلم لم يسمع أبداً ولم يسجل فى مدونات مصر ، ولا فى مدونات الدول المجـاورة خبر جيش الدولة العظمى ، وهو يغرق فى بحر تَفلَقهُ عصا ١٩٠
كـذبه وادعاؤه على موسى أنه الذى أخذ آل فرعون بالسنين والرد على ذلك ١٩٢
تكذيبه للقرآن وللأحاديث الصحيحة فى أن مُلك سليمان لم يؤته أحد من العالمين ويقول : « إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث ، أو رمسيس الثانى أو بنوخذ نصر ، فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات » ١٩٢

http://kotob.has.it

وصفه للأمة المسلمة بأنها أغرب أُمة أُخرجت للناس !! وسبب اتهامه ذلك الرؤيا الإستاتيكية ، فهو برؤيته الإستاتيكية هذه يتهم الأمة بأنها تخلط التراث بمسلمات ما أنزل الله بها من سلطان بالحكى الشعبى ، بالتاريخ الحقيقى ، مع تزييف نموذجي ليلتقى بالمأثور الدينى .
يعنى بالبلدى كده الراجل عايز يقول للمسلمين : إن دينكم « سمك ، لبن ، تمر هندى » مع الاعتذار للفيلم وبطله ١٩٧

الكذاب !! يريد أن يخرج من دائرة الإيمان والكفر إلى فضاء أوسع لا يظله إلا مناخ علمي حر تماماً ، بالطبع لأنه يرى فى الإيمان تقييدا لحريته العبثية فهو يريد أن ينفلت من دين الله ، بدليل أنه يرفض أن يظل أسيرا لتواتر الوحى القرآنى والإسلام ١٩٨

يُريد أن يُبقى الآيات القرآنية حبيسة الوقائع التاريخية لأسباب النزول فقط ؛ وبالطبع انتهت هذه الأسباب الآن فلا دور إذن للقرآن بيننا الآن ؟! ٢٠٠

زعمه أن الدين الإسلامى أعاد المرأة إلى زمن حواء الأسطورى ، زمن الخطيئة الأولى ، يمركز الشر كله حولها ، فهى شيطان غواية لأنها رفيق إبليس ، ويسخر من أحاديث النبى ﷺ بأنها خلقت من ضلع أعوج ، وناقصة عقل ودين ، وما خلت برجل إلا كان الشيطان ثالثهما ؛ والرد على هذه الترهات وبيان كذبه وجهله بأحكام الدين ، ووصاية النبى ﷺ بالنساء ٢٠٥

كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول

٢٠٩ - ٢٣٢

إنكاره للدين وأنه منزل من عند الله رب العالمين وادعاؤه بأن : « الأديان الكبرى الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام ، أفرزتها المواطن السامية شرقى المتوسط ٢٠٩

إنكاره زيارة نبى الله إبراهيم لجزيرة العرب ، ونفيه لأى علاقة بين الخليل إبراهيم والإسلام ، وثقته فى التوراة الموجودة الآن أكثر من ثقته فى القرآن والدليل أنه يستدرك بها على القرآن ٢١٠

http://kotob.has.it

معاودة إنكاره للنبى إبراهيم عليه السلام جرياً وراء أسياده المستشرقين ، وعلى أساس أنه لم يُعثر فى آثار وادى النيل ، أو آثار وادى الرافدين له على أثر !! ٢١٢

اتهامه للنبى ﷺ بالكذب فى نسبته ﷺ للنبى إبراهيم عليه السلام وزعمه أن ذلك كان لتأليف قلوب اليهود ، فلما فشل النبى فى ذلك - بزعمه - أخذه من الجميع عنوة واقتدارا ، وزعم أنه جده البعيد ، وجد جميع العرب المسلمين ، ومؤسس العقيدة الإسلامية ٢١٢

اتهامه - كذباً وجهلاً بحقائق الأمور وتدليساً على القارئ - للمؤرخين الإسلاميين بأنهم استقوا معلومات هائلة ، كما وكيفا من التوراة الموجودة الآن ، وأصبحت هذه التفاصيل مرجعاً إسلامياً ٢١٤

تكذيبه للقرآن فى قصة الذى حاجّ إبراهيم فى ربه ، وإنكاره أصلًا لوجود ذلك النمروذ ؛ وزعمه أن هذا الاسم لم يعرف إلا فى بداية العصور الإسلامية ٢١٦

تأويله الخاطئ المبنى على قصور فى الفهم نتيجة للجهل بالحديث الشريف الذى ورد فى أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، وهما صحيحا البخارى ومسلم بحق خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بخصوص : الثلاث كذبات ٢١٧

اعتباره القرآن الكريم والأحاديث النبوية مأثوراً شعبيا ، واتهامه زوراً كعب الأحبار بأنه دس أحاديث الأنهار التى فى الجنة والتى وردت فى صحيحى البخارى ومسلم ، وذلك تعصباً لجنسه فهو عبرانى يهودى ، كما يقول مؤلف الشؤم هذا ٢٢١

تخبطه الشديد فى أنساب العرب حتى زعم أن العدنانيين ليسوا عربا أصلًا . وبذلك ينفى هذا الدعى الجاهل نسب النبى ﷺ للعرب ، ولا ندرى ما السبب فى ذلك ؟ فلم تفصح عنه نفس خبيثة منهم حتى الآن ، وليس ببعيد أن ينسبوا النبى ﷺ إلى الإسرائيليين فى يوم ما . ربما يمهدون بهذا الهراء ؛ لذلك ، فاعلم أيها الرويبضة - أنت ومن على شاكلتك - أن نسب النبى ﷺ الشريف إلى عدنان . متفق عليه بين كل النسابين ولا شبهة غبار عليه ، ولعنة الله على الجاحدين ٢٢٢

http://kotob.has.it

ولى قاصمة - قصم الله ظهره - يَفْجُرُ على نبى الله ، وخليل الرحمٰن الذى جعله الله تعالى أُمة وحده ، فيقول : « وعندما يترك الابن الضال بيت أبيه ، يخسر كل ما يعطى الحياة قيمة حقيقية ، وينحط إلى مستوى الخنازير ، ولو شعر فى بداءة الأمر بنشوة السرور الوقتى للحصول على الشهوة المشتهاة ، إن سقطة إبراهيم فى مصر تعطينا صورة عن طبيعته الأصيلة التى لم تكن نبيلة بأى حال من الأحوال ، فإبراهيم بطبيعته الأصيلة لم يكن يسمو كثيرا عن سائر بنى المشرق ، الذين لا يترددون عن الكذب لكسب خير ، أو دفع ضر » ٢٢٥

زعمه أن كلمة « آمين » التى يُؤَمِّن بها المصلى خلف الإمام أن أصلها يرجع إلى الواحد الخفى - هل تعرفون من هو ذلك اللهو الخفى ؟ - إنه يزعم أنه الإله المصرى القديم « آمون » والذى حُرف وأصبح « آمين » !! ٢٣٠

كتاب الحزب الهاشمى وتأسيس الدولة الإسلامية

٢٣٣ - ٢٦٨

يلف ويدور حول أن أجداد النبى ﷺ يحاولون تأسيس دولة فى شبه الجزيرة وإن كانوا عجزوا عنها فسوف يحقق هذا الحلم حفيدهم محمد !! ٢٤٧

غمزه ولمزه لزواج النبى ﷺ من السيدة خديجة رضى الله تعالى عنها ، والرد عليه . ٢٤٨

اتهامه للنبى ﷺ أنه ألَب العبيد على أسيادهم ووعدهم بكنوز كسرى وقيصر ، وأن عتقه لعبده زيد بن حارثة ثم تبنيه ؛ أعطى للدهماء من الأعراب أملًا عظيماً متجاهلًا أن القرآن الكريم هو الذى قال : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ٢٦٣

غمزه للأنصار واتهامهم بالانتهازية فى إرسالهم الوفود للنبى ﷺ ومبايعته ٢٦٥

اتهامه للنبى ﷺ بمصانعة اليهود حتى تحين له الفرصة ليتخلص منهم ٢٦٦

إفصاحه عن خبيئة نفسه الخسيسة بقوله : « أما المهمة الجليلة والعظيمة فكانت قيام النبى ﷺ بإنشاء نواة لدولة عربية إسلامية فى الجزيرة محققاً نبوءة جده : إذا أراد الله إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء ٢٦٦

http://kotob.has.it

كتاب حروب دولة الرسول ﷺ

الجزء الأول ٢٦٩ - ٣٦٢

اتهامه للنبى ﷺ بأنه تحول إلى جهة أخرى مرحلية على خطوات الطريق الاستراتيجى الطويل ، تحول بموجبها نحو المستضعفين وهم دوماً مادة الحروب لمصالح الطبقات المسيطرة ، ومادة الانتقال الثورى لمصالح طبقة غيرهم ، والمُعدَمين والعبيد يدعوهم إلى النسب وامتلاك كنوز كسرى وقيصر » ٢٨٣

ويواصل مفترياته على النبى ﷺ فيقول : وتبع تلك الخطوة خطوات متتابعات سريعة فتم تكثيف الهجوم المباشر على الأثرياء وتوعدهم بسوء المآل ... ثم يعدد كل مآثر الإسلام ونصرته للحق وللضعيف ووقوفه فى وجه الظالم وأكل أموال الناس بالباطل على أنها خطة من محمد ﷺ فى سبيل تدعيم مملكته الجديدة ٢٨٥

تصويره لبيعة العقبة الأولى والثانية على أنهما لقاء بين النبى ﷺ وأخواله اليثاربة لينتقل إلى حمى جديد يرفع الضغط عن أعمامه ، والرد على ذلك ٢٩١

اتهامه للجماعة الإسلامية كلها أنها تحولت إلى دولة محاربة هجومية دولة عسكر ومغانم متكاملة كالقبيلة تماماً ، واتهامه للنبى ﷺ بأن تأجيله لوعده بالرخاء والنعمة إلى الآجل فى رغد الجنة بأنه كان تأجيلاً ميتافيزيقيًا لحل قضيتهم ٣٠٦

محاولة غمزه للنبى ﷺ بالكذب عندما قال للأعرابى : « نحن من ماء » ٣٠٩

غمزه للمسلمين بحبهم للحرب والدماء ، ومدحه لقريش ووصفها بأنها مُحبة للسلم ٣١٣

اتهامه للنبى ﷺ بأن له خبيئة نفس والطعن فى شرفه وذمته فيقول :
« ... والقول الشريف هنا يُفصح عن خبيئة نفس المصطفى عليه الصلاة والسلام لأهله وبلده ، وعن التناقض الآتى الذى سيفصح عن نفسه فى أواخر الحياة النبوية المشرفة ... » ٣١٨

اتهامه دون دليل للمسلمين بقتل الأسرى فى بدر ٣٢٠

http://kotob.has.it

قصة أبى البخترى بن هشام بن الحارث ٣٢٤
قصة مقتل أمية بن خلف ٣٢٦
زعمه أن جيش المسلمين فى بدر كان كله من الشباب ، وجيش قريش كان من الشيوخ والأشراف ؛ لذا كانت الهزيمة لهم والانتصار للمسلمين ٣٣٨
قصة مقتل كعب بن الأشرف ٣٤٠
ادعاؤه إلغاء « المؤاخاة » وظهور طبقة برجوازية بعد غزوة بدر ٣٤٤
إشادته بأخيه عبد الله بن أُبى ابن سلول ووصفه له بالحنكة العسكرية وتنـدره على التـاريخ الإسـلامى حين يضـع ابن أُبى كرأس للمنافقين ٣٥١

كتاب حروب دولة الرسول ﷺ

الجزء الثانى ٣٦٣ - ٣٧٩

زعمه أن الحروب الإسلامية كانت بدافع المغانم ، وأنها كانت هى الوسيلة الوحيـدة لحل مشكلة المعدمين وانخراطهم مع العصبية الإسلامية ٣٧٢
اتهامه لآيات القرآن وسوره ؛ بأنها سايرت الواقع وهادنت الأثرياء ، وهدأ تنديدها بهم ، مع إهمالها لقضـايا المستضعفين بعد أن كانوا مادة الحركة ووقـود حروبها ٣٧٥
غمزه لفريضة الزكاة ، والصدقة ، واتهامهما بغسل الأموال التى استولى عليها المسلمون بالغزو فى زعمه ٣٧٦
اتهامه للدولة الجديدة بزعمه والتى ظل يدندن حولها وكيف أفلـح محمد ﷺ فيما أخفق فيه أجداده ، بأنها دولة تحوى كل النقائض ، وأنها اعترفت بمقدسات القرشيين والتى كانت تعد وثنيات ، وتقديس شعائر الوثنيين ، وتكريس المقامات ، وضرورة أن يكون للدولة معبد بعد أن تراجعت عن القـدس « أورشليم » ، وأن يكون هذا المعبد معبد قريش قبيلة الرسول فى المقام الأول ، وسدنته الهاشميون آل البيت . تدليس وكذب وافتراء ، كل ذلك بسبب إنكاره للحج فى الإسلام واعتباره شعيرة من شعائر الوثنية ٣٧٧
المصادر والمراجع ٣٨١
الفهرســـت ٣٨٣

http://kotob.has.it

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٣٨٣٦/ ١٩٩٧

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du'a for us.